جواهر البلاغة

في المعاني والبيان والبديع

تأليف
السيّد أحمد الهاشمي

ضبط وتدقيق وتوثيق
د. يوسف الصميلي





جواهر البلاغة

في المعاني والبيان والبديع

تأليف

السيد أحمد الهاشمي

ضبط وتدقيق وتوثيق

د. يوسف الصميلي




بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

كتاب جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للأستاذ أحمد الهاشمي، جمع بين صفتين يمكن أن يستفيد منهما دارسو اللغة العربية وآدابها في المرحلتين الثانوية والجامعية، أما الصفة الأولى فهي ما اشتمل عليه من شواهد مأخوذة من القرآن الكريم والشعر العربي، وما تضمنه من تطبيقات على كل موضوع من موضوعاته، ثم معالجة هذه التمارين التطبيقية. بحيث يمكن أن تتم مطالعته دون الحاجة إلى مدرس في كثير من موضوعاته، وأما الصفة الثانية فهي تفصيل القول في علوم البلاغة الثلاثة، واستقصاء المصطلحات الخاصة بكل علم، وإن أخذ ذلك مظهراً إحصائياً قد لا يتيح للدارس تذوق النص الأدبي بناء على فهم بلاغي.

إن الكتاب في طبعته السابقة، تتداخل شروح حواشيه بين صفحة وأخرى وقد يظهر الالتباس لدى القارىء داخل الصفحة الواحدة، حين يرى تداخل هذه الحواشي مع المتن أحياناً ـ ص١٥٢ ـ ١٥٣ ـ ١٥٤، إضافة إلى كثير من الأخطاء المطبعية، التي جرى تصحيحها في الطبعة الجديدة، ثم إن معظم الشواهد الشعرية لم تضبط أبياتها، الأمر الذي يجعل قراءته من الصعوبة بمكان لدى طلاب المرحلة الثانوية، وربما الجامعية، أما الآيات القرآنية الكريمة فلم يتم توثيقها، سواء تلك التي تم الاستشهاد بها مباشرة فوردت كاملة، أو تلك التي تم اقتباسها في شواهد شعرية أو نثرية، ومثلها بعض الأحاديث النبوية الشريفة، ولكن لا بد من التنويه بالاستفادة النحوية والصرفية التي يقع عليها القارىء كما في ص١٦٧ وما بعدها في شرح «الحال» وكما في ص١٠/ الحاشية/ في شرح مسألة تتعلق بالقياس.

ـ إن الاعتناء بهذه الطبعة التي أخرجتها المكتبة العصرية على هذا النحو من الإِتقان تطلب عمل ما يلي:

١ ـ توثيق الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وضبط ما أُهمِل ضبطه منها.

٢ ـ التعريف بالأعلام الذين وردت أسماؤهم في الكتاب، ومنهم شعراء ولغويون بلاغيون. وأساتذة المؤلف نفسه الذين أثنوا على كتابه.

٣ ـ تحديد بحور الشواهد الشعرية، للصلة القائمة بين فنية البلاغة وموسيقى الشعر، ووضعها في فهرس خاص.

٤ ـ وضع فهرس خاص بالشواهد القرآنية، وبشواهد الأحاديث النبوية.

وبعد فعسى أن ينتفع بهذا الكتاب طلاب العربية، وأن تكون الشروح التي أضيفت إليه زادته وضوحاً، ويسرت على المتعلمين الوصول إلى علوم البلاغة من أقرب سبيل، فالمؤلف تتلمذ على الشيخ محمد عبده الذي أظهر للدارسين كتابي عبد القاهر الجرجاني، ويسَّر تناولهما بما سمح بتطور الدرس البلاغي، وإعادته إلى مساق الذوق الأدبي، ولأن البلاغة جزء من تاريخ اللغة العربية وآدابها، فقد كان زيادة في الفائدة أن نلقي نظرة على تطورها وتبلورها من لدن كانت شواهد متناثرة إلى أن أصبحت موضوعاً للتأليف المستقل.

ـ ١ ـ

بلغت اللغة العربية في العصر الجاهلي، مستوى متقدماً من التعبير الأدبي في الشعر والنثر معاً، أتاح لأصحابها قوة تمييز فطرية بين الأساليب على اختلاف درجاتها، وأسس لما عرف بعد ذلك بعلم البلاغة، يدل على ذلك تلك النماذج النقدية الأولى التي أوردتها أمهات الكتب الأدبية واللغوية، والتي يمكن أن يكون أوضحها قبة التحكيم التي كانت تضرب للنابغة الذبياني في سوق عكاظ، حيث كان «الشعراء الناشؤون يحتكمون فيها إليه، فمن نوه به طارت شهرته في الآفاق»[(١)] وقصته مع حسان بن ثابت معروفة، حين فضل عليه الخنساء[(٢)] وكذلك قصص الشعراء مع بعضهم بعضاً، فطرفة بن العبد علق على قول المسيب بن علس:

«وقد أتناسى الهم عند ادكاره بناج عليه الصيعرية مكدم

استنوق الجمل»[(٣)] أي جعل الجمل ناقة، لأن الصيعرية سمة في عنق الناقة لا البعير، وزهير بن أبي سلمى وأمثاله ممن كانوا يسمون عبيد الشعر، كانوا ينقحون أشعارهم، ويعيدون فيها النظر بعد النظر، استدراكاً مسبقاً منهم، لأي خطأ يمكن أن ينجم عن البداهة والارتجال، حتى قالوا عن شعرهم «خير الشعر الحولي المنقح»[(٤)] ووسموا كثيراً من الشعراء بألقاب تدل على استحسانهم لأشعارهم «كالمرقش والمحبر

---

(١) ضيف شوقي: البلاغة تطور وتاريخ/ ١١/ دار المعارف بمصر ١٩٧٧ ط٤.

(٢) قدامة بن جعفر: نقد الشعر/ ٩٣/ تحقيق كمال مصطفى الخانكي القاهرة ١٩٦٣.

(٣) المزرباني: الموشح/ ٧٦.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٢٠٤ تحقيق عبد السلام هارون ط٢.

والمثقب والنابغة والكيّس والأفوه والمتنخل»[١] كما وصفوا القصائد: «بالحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات والمذهبات»[٢] دلالة على مدى الجودة التي بلغتها هذه القصائد.

ـ ٢ ـ

كان عرب الجاهلية متمكنين من لغتهم، وبلغوا في فنيتها شأواً بعيداً حتى قال خطيبهم أكثم بن صيفي «البلاغة الإيجاز»[٣]، وحين أخذ الوليد بن المغيرة بالقرآن الكريم لدى سماعه، قال لأبي جهل: «ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ما يُعلى، وإنه ليحطم ما تحته»[٤]. فالقرآن الكريم تحدى هؤلاء العرب باللغة التي كانوا يتميزون بإتقانها، وبمعرفة أسرار أساليبها، وقد روي عن عمر بن الخطاب قوله «خرجت أتعرض رسول الله ﷺ فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن»[٥] والرسول عليه الصلاة والسلام، كان شديد العناية بتخير الألفاظ في كلامه، فقد أثر عنه قوله: «لا يقولنَّ أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقِسَتْ نفسي»[٦] وقد روي عن علي بن أبي طالب قوله: «ما سمعت كلمة من العرب إلا وسمعتها من رسول الله ﷺ وسمعته يقول: مات حتف أنفه، وما سمعتها من عربي قبله»[٧] وحين كان الرسول يكلم كل قبيلة بخصائص ألفاظها ولهجتها، سمعه مرة علي بن أبي طالب يخاطب وفد بني نهد، فقال: «يا رسول الله، نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، فقال: أدبني ربي فأحسن تأديبي، وربيت في بني سعد»[٨] وكان الرسول يراعي مقتضى الحال في رسائله، فإذا «كتب إلى فارس سهّل اللفظ، وإذا كتب إلى قوم من العرب فخّم وأجزل»[٩]

---

(١) القيرواني ابن رشيق: العمدة ١/ ١٣٣ تحقيق محيي الدين عبد الحميد ط٣.
(٢) الجاحظ: البيان والتبيين ٢/ ٩.
(٣) القرشي: جمهرة خطب العرب ١/ ٥٦.
(٤) الحافظ الذهبي: السيرة النبوية ٨٨ تحقيق حسام الدين القدسي. دار ومكتبة الهلال بيروت.
(٥) الحافظ الذهبي: السيرة النبوية ١٠٢.
(٦) الجاحظ: الحيوان ١/ ٣٣٥ ط١ الحلبي.
(٧) الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز ٢٦٣ تحقيق الشيخ محمد عبده ط السعادة.
(٨) النهاية في غريب الحديث ١/ ٤.
(٩) العسكري أبو هلال: الصناعتين: ١٦٠ ـ ١٦١.

كما كان يحث على ترسيخ قيم أسلوبية جديدة كالابتداء بحمد الله إذ «كل كلام لا يُبتدأ فيه بحمد الله فهو أجذم»[1] وكالنهي عن السجع المتكلف المصطنع حين جاءه رجل يريد التنصل من مسؤولية قتل الجنين قائلاً: «يا رسول الله، أرأيت من لا شرب ولا أكل ولا صاح واستهل، أليس مثل ذلك يُطلّ؟ فقال الرسول: أسجعاً كسجع الكهان»[2] فالرسول وجه نقده إلى هذا النوع من الكلام، لا إلى السجع مطلقاً، لأنه «لو كره السجع مطلقاً لقال: أسجعاً؟! ثم سكت، فلما قال: أسجعاً كسجع الكهان، صار المعنى معلقاً على أمر، وهو إنكار الفعل على هذا الوجه»[3] ومن مظاهر حثه على مراعاة مقتضى الحال في الخطاب قوله: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»[4] وقوله: «لا تكلّموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم»[5]، ونهى عن التفيهق والتشدق والثرثرة، فقال: «إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون»[6].

ـ ٣ ـ

كان معاوية بن أبي سفيان، قد أدرك أهمية الخطاب، وأسرار مقتضى الحال فيه، فقال لأحد جلسائه، ممن مدح زياد بن أبيه لما حققه للدولة «أسكت فوالله ما أدرك صاحبك شيئاً بسيفه، إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني»[7] وكان يتحاشى السجع في رسائله، وقد روي عنه أنه كان يملي على كاتبه خطاباً إلى أحد عماله قال فيه «لهو أهون عليَّ من ذرَّة، أو كلب من كلاب الحرَّة» ثم أدرك هذا السجع في عبارته، فقال لكاتبه: بل امح الحرة واكتب: من الكلاب»[8].

ـ ازدهرت الخطابة في العصر الأموي، وتنوعت، فكانت الخطابة الوعظية الدينية، والخطابة السياسية، وكان لكل حزب سياسي خطباؤه، وكان هناك صفات للخطب دلالة على استحسانها «كالعجوز والعذراء والشوهاء»[9]، كما ازدهر الشعر

---

(١) رياض الصالحين: ٥٢٨.
(٢) الباقلاني: إعجاز القرآن ٨٧ ـ ٨٨.
(٣) ابن الأثير: المثل السائر ١/ ٢٧٣.
(٤) النهاية في غريب الحديث ١/ ٤.
(٥) الجاحظ: البيان واتلبيين ١/ ٩٢ ـ ٩٣.
(٦) رياض الصالحين: ٢٨٩.
(٧) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٢٥٩.
(٨) سلطاني محمد علي: مع البلاغة في تاريخها ٢٧ دار المأمون للتراث. دمشق ١٩٧٩.
(٩) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٣٤٨.

على اختلاف أغراضه وفنونه، وكان كل من سوق المربد في البصرة، وسوق الكناسة في الكوفة، كسوق عكاظ في الجاهلية، وكان كثير من المستمعين يتمتعون بحس نقدي سليم، فيبدون ملاحظاتهم الناقدة، التي كان بعض الشعراء يأخذون بها من ذلك ما روي عن ذي الرمة «أنه كان ينشد شعره في سوق الكناسة، فلما قال:

إذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب ميَّة يبرح

صاح ابن شبرمة: أراه قد برح، فكف ذو الرمة ناقته بزمامها وجعل يتأخر بها ويفكر، ثم عاد فأنشد:

إذا غير النأي المحبين لم أجد رسيس الهوى من حب ميَّة يبرح»[(١)]

فابن شبرمة وقف عند قول ذي الرمة «لم يكد» الذي يشي بمعنى مبارحة الحب، وقد استجاب الشاعر للملاحظة وأعاد النظر في بيته.

ـ ٤ ـ

اتسعت المعارف في العصر العباسي، وتطور كل من الشعر والنثر تطوراً كبيراً، وبرزت دوائر الاختصاص في شتى المعارف، وصار هناك اللغويون والكتاب والمتكلمون، ولكل منهم باع طويل في ميادين البلاغة وفنونها، دون تحديد واضح لأبوابها وفصولها وعلومها، فالأصمعي المتوفى سنة ٢١٧ هـ لاحظ أن «من ألفاظ العرب ألفاظاً تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر مثل:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر»[(٢)]

وكان أوَّلَ من أشار إلى الطباق حين عرَّفه بقوله «أصل المطابقة وضع الرجل في موضع اليد في مشي ذوات الأربع، وأحسن ما قيل في ذلك قول زهير:

ليث بعثَّر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذَّب عن أقرانه صدقا»[(٣)]

وألَّف الأصمعي كتاب الأجناس الذي نقل عنه أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ تعريف التجنيس: «الجناس» بقوله: «أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها»[(٤)]، ومثل الأصمعي أبو عبيدة

---

(١) الأصفهاني: الأغاني ١٦/ ١١٨.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٦٥.

(٣) القيرواني ابن رشيق: العمدة ٢/ ٩.

(٤) العسكري أبو هلال: الصناعتين ٣٢١.

معمر بن المثنى المتوفى سَنَة ٢٠٩هـ، إذ ألف كتاب مجاز القرآن، وذكر في سبب تأليفه أن الفضل بن الربيع، بعث بطلبه للاستفادة من علمه، وبينا هو جالس في مجلسه قال له الفضل «إني كنت إليك مشتاقاً، وقد سئلت عن مسألة، أفتأذن لي أن أعرفك إياها؟ فقلت: هات. قال: قال الله عز وجل «طلعها كأنه رؤوس الشياطين» وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عُرِف مثله، وهذا لم يُعرف، فقلت: إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرىء القيس:

أيقتلني والمشرفي مُضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أُوعدوا به»[١] ثم كانت ملاحظة المبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ، في رده على الكندي الفيلسوف حين قال له: «إني أجد في كلام العرب حشواً: يقولون: عبد الله قائم، وإن عبد الله قائم، وإن عبد الله لقائم، فأجابه قائلاً: بل المعاني مختلفة، فعبد الله قائم إخبار عن قيامه، وإن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وإن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر»[٢]، فكلام المبرد كان مفتاحاً لما عرف بعد ذلك عند البلاغيين بأضرب الخبر أما الكتاب فقد كانوا موضع تقدير الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ حين قال «أما أنا فلم أرقط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً»[٣] وكان ابن المقفع المتوفى سنة ١٤٣هـ والذي «يُسلك في كتاب الدواوين»[٤] قد سئل عن البلاغة وتفسيرها، فجعلها أقساماً، وقسم الكلام أنواعاً ثم قال: «الإيجاز هو البلاغة»[٥]، ومن الكتاب الذين كان الجاحظ يفضلهم، سهل بن هارون ومحمد بن عبد الملك الزيات، وأبو إسحاق إبراهيم بن العباس، وقد قال «طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة، فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كمحمد بن عبد الملك الزيات»[٦]، وسئل جعفر بن يحيى البرمكي الذي كان كاتباً ووزيراً أيام هارون

---

(١) ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء ١٠٧.
(٢) الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز ٢٢١ ط السعادة.
(٣) الجاحظ: البيان والتبيين ١/١٠٦.
(٤) ضيف شوقي: البلاغة تطور وتاريخ ١٩.
(٥) الجاحظ: البيان والتبيين ١/١١٥.
(٦) القيرواني ابن رشيق: العمدة ٢/٨٤.

الرشيد عن البيان فقال «أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك وتخرجه عن الشركة، ولا تستعين عليه بطول الفكرة، والذي لا بد منه أن يكون سليماً من التكلف، بعيداً من الصنعة بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل»[1].

وأما المتكلمون فيكفي أن نذكر عنهم صحيفة بشر بن المعتمر المتوفى سنة ٢١٠هـ والتي كتبها على أثر مروره «بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة السكوني الخطيب، وهو يعلم فتيانهم الخطابة، فوقف بشر، فظن إبراهيم إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلاً من النظارة، فقال بشر: اضربوا عمّا قال صفحا، واطووا عنه كشحا، ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنقيحه»[2]، نصح فيها للأدباء أن يعنوا بتخير ألفاظهم، وحصر منازل المتكلمين في ثلاث: منزلة البليغ التام، الذي يفهم العامة معاني الخاصة، ومنزلة الذي يتكلف القول ويتعاطى الصنعة، ولم تسمح له الطباع في أول وهلة، فلا يعجل ولا يضجر، ليتأن وليعاود النشاط، فإنه لا يعدم الإجابة والمواتاة، وأما المنزلة الثالثة، فهي منزلة أولئك الذين تمنع عليهم القول من غير حادث شغل عرض، ومن غير طول إهمال، وأولى لهم أن يتحولوا عن صناعة الأدب إلى صناعة أخرى يشتهونها «لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة، كما تجود به مع الشهوة والمحبة»[3].

ـ ٥ ـ

كل ما تم ذكره حول تاريخ نشوء البلاغة، ورد في الكتب متفرقاً دون تخصيص كتاب محدد بها، بما في ذلك كتاب البيان والتبيين الذي يمكن أن يكون الأكثر غنى فيها، لما احتواه من تحديد جزء غير يسير من قضايا البلاغة خاصة ما يتعلق بعلم البيان. وبعض فصول علم المعاني، أما أول من أفرد مؤلفاً مستقلاً في هذا العلم فهو عبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٣ هـ، حيث وضع كتابه «البديع» وضمنه أبواب الاستعارة والجناس والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على تقدمها، والبديع، جاعلاً من هذه الأبواب الخمسة أصولاً للعلم الذي جعله عنواناً لكتابه، ثم ذكر ثلاثة عشر باباً آخر، فأصبحت الفنون البلاغية عنده ثمانية عشر فناً، ثم تتالت الدراسات المنهجية كنقد الشعر لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧هـ، وبرزت الدراسات التي تناولت الإعجاز القرآني كالنكت في إعجاز القرآن للرماني

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ١/١٠٦.
(٢) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ١٣٥.
(٣) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ١٣٥.

المتوفى سنة ٣٨٤هـ، وبيان إعجاز القرآن للخطابي المتوفى سنة ٣٨٦ هـ، وإعجاز القرآن للباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ.

كذلك نمت الدراسات البلاغية على أيدي أبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ في كتابه: الصناعتين وابن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٦٣هـ في كتابه: العمدة، وابن سنان الخفاجي المتوفى سنة ٤٦٦هـ في كتابه: سر الفصاحة، وكانت قمة ازدهار هذه الدراسات في كتابَيْ: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ، إذ تضمنا كلاماً مفصلاً عن علمي المعاني والبيان، اللَّذَيْن أجاد التطبيق عليهما جار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ في تفسيره: الكشاف.

بعد ذلك تحولت الدراسات البلاغية إلى نوع من الإحصاء لفنون هذا العلم والتمثيل عليها، وإلى تلخيص لكتب السابقين، ككتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، حيث صرح بأنه سيعنى بتنظيم ما صنفه عبد القاهر في كتابيه، وككتاب المفتاح للسكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ، وكتاب المثل السائر لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ، وتلخيص المفتاح للخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩هـ.

هذه مقدمة موجزة عن تاريخ البلاغة، وأشهر الذين أَلَّفوا في هذا الفن ليعرف دارسو كتاب الأستاذ أحمد الهاشمي كيف تطور هذا العلم، واستقر على علومه الثلاثة: البيان والمعاني والبديع. عسى أن ينتفع بذلك طلاب المعرفة ومريدوها.

د. يوسف الصميلي

٨ ـ ٤ ـ ١٩٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن خصَّ سيِّد الرُّسل بكمال الفصَاحة بين البَدوِ والحضَر وأنطقه بجوامع الكلم فأعجزَ بُلغَاء رَبيعةَ ومُضَر، وأنزل عليه الكتابَ المُفْحِمَ بتحديه مصاقِعَ[١] بُلغاء الأعراب، وأتاه بحكمته أسرارَ البلاغة وفصلَ الخطاب، ومنحه «الأسلُوب الحكيم»(١) في جوامع كلمه وخصَّ «السَّعادة الأبدية» لمقتفي آثاره وحِكَمِه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه «جواهر البلاغة» الذين نظمُوا لآلىء البديع في عُقود الإيجاز والإطناب، فَفُهْنا بعد اللّكَن[٢] «بجواهر الإعراب» ونطقنا «بميزان الذَّهب» وطرَّزنا سُطور الطُّرُوس[٣] «بجواهر الأدب» فصارت «المفرد العلَم» في باب النّسب وبعد فإنَّ العلومَ أرفعُ المطالب، وأنفع المآرب[٤] وعلم البلاغة مِن بَينها أجلُّها شأناً، وأبينُها تِبْيَاناً، إذ هو الكفيل بإيضاح حقائق التَّنزيل، وإفصاح دقائق التَّأويل، وإظهار «دلائل الإعجاز» ورفع معالم الإيجاز، ولاشتغالي بتدريس البيان بالمدارس الثانويَّة، كانت البواعث داعية إلى تأليف كتاب «جواهر البلاغة» جامِعاً للمُهمَّات من القواعد والتَّطبيقات ـ وأسأل المولى جلَّ شأنه أن ينفعَ بهذا الكتاب، وهو الموفق للحق والصواب(*).

المؤلف

السيد أحمد الهاشمي

---

(١) الأسلوب الحكيم والسعادة الأبدية وجواهر البلاغة وجواهر الإعراب وجواهر الأدب وميزان الذهب والمفرد العلم ـ الواردة في هذه الخطبة أسماء بعض كتب مطبوعة لمؤلف هذا الكتاب.

(*) **ملاحظة**: كل ما يرد مع المزدوجين اللذين على هذا النحو [ ] هو من عمل المدقق.

---

[١] مصاقع: مفردها مصقع وهو البليغ.

[٢] اللَّكَنُ: مصدر لَكِنَ، يقال: لَكِنَ الرجل إذا عَيَّ وثقُل لسانه.

[٣] الطروس: مفردها طِرس: الصحيفة والورقة التي يكتب عليها.

[٤] المآرب: جمع مأرب ومأرُبة: الغاية. المآرب: الغايات.

جواهر البلاغة

كتب أستاذي المرحوم صاحب الفضيلة الشيخ حسونة[٥] النواوي شيخ الجامع الأزهر: الحمد لله العليّ القدير، والصلَاة والسلَام على النبي البشير النَّذِير، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا طريقه المنير.

«أما بعد» فقد اطلعت على كتاب «جواهر البلاغة» الذي حاز كمال الصياغة لحضرة مؤلفه الأستاذ الفاضل «السيد أحمد الهاشمي»[٦] الحائز لكمال الفضائل، فوجدته كتاباً نفيساً قد اشتمل على بيان بديع المعاني بأفصح عبارة وأبلغ إشارة، وسلك فيه حضرة مؤلفه طريق التحقيق لصعاب الشوارد، مع كثرة التمارين والأمثلة والشواهد فجاء فريداً في بابه، مرغوباً ونافعاً لطلابه، أسأل الله تعالى أن يرزق مؤلفه الحسنى وزيادة، ويمنحه السعادة في الدارين والسيادة، ويوفقه للتعلّم والتَّعليم، ويهديه إلى الصراط المستقيم. إنه على ما يشاء قدير، وبالإِجابة جدير.

(وكتب المغفور له سماحة السيد علي الببلاوي شيخ الجامع الأَزهر):

أحمد من رصَع تاج اللغة العربية «بجواهر البلاغة» فشرفها على سائر اللغات بكمال الصياغة، وأصلّي وأسلّم على أفصح ناطق بالضاد، وأجلّ داع إلى الله وهاد سيدنا محمد القائل (إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة)[٧] وعلى آله وصحبه الذين بذلوا أرواحهم في صون كتاب الله الكريم، ونشر دينه القويم.

هذا، وقد تصفحت جملة من كتاب «جواهر البلاغة» الذي أحكم صنعه

---

[٥] الشيخ حسونة النواوي، تعلم بالأزهر، ودرَّس فيه وفي مدرسة الحقوق المصرية، وتنقل في مناصب القضاء وولي إفتاء الديار المصرية ومشيخة الأزهر مرتين من تصانيفه: سلم المسترشدين لأحكام الشريعة والدين عاش بين ١٢٥٥ ـ ١٤١٣هـ/ ١٨٣٩ ـ ١٩٢٥م.

[٦] أحمد الهاشمي مؤلف الكتاب، أديب مصري تتلمذ للشيخ محمد عبده، صار مديراً لمدارس الجمعية الإسلامية، ومراقباً لمدارس فيكتوريا الإنجيلية من كتبه: الأسلوب الحكيم، جواهر الأدب، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية، عاش بين: ١٢٩٥ ـ ١٣٦٢هـ/ ١٨٧٨ ـ ١٩٤٣م.

[٧] سنن أبي داود/ كتاب الأدب/ باب ما جاء في الشعر/ الحديث ٤٣٥٨ ونصه: إن من البيان سحراً وإن من الشعر حُكماً.

وأبدع تصنيفه ووضعه، حضرة الفاضل، المجد الكامل، الأستاذ «السيد أحمد الهاشمي» فرأيته جعل فرائد فوائد الفنون الأَدبية على طرف التمام، بحيث لا يكلف طالبها أكثر من الإطلاع على كتابه، حتى يعود مسرور الفؤاد، قرير العين، بما وجده فيه من ضالته المنشودة التي طالما أبعدته عنها صعوبة المؤلفات السابقة؛ في مثل فنون البلاغة وطولها بدون طائل ـ فجزى الله حضرة هذا الأستاذ الجليل عن طالبي الإستفادة خير الجزاء، ووفقه لما فيه من الخير والنفع العام. إنه سميع الدعاء.

وكتب المرحوم أستاذنا الحكيم الإمام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية:

اطلعت على كتاب «جواهر البلاغة» في علوم المعاني والبيان والبديع والسرقات الشعرية، فوجدته كتاباً عظيماً. وأسلوباً حكيماً، يشهد لحضرة مؤلفه الفاضل بملاك الذوق السليم، والعقل الحكيم، هداه الله إلى ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ آمين [الفاتحة: ٦، ٧].

وكتب أَخونا الأستاذ الشيخ أحمد الكناني المدرس في المدرسة التوفيقية:

الحمد لله البديع صنعه، الحكيم وضعه. الواهب من شاء ما شاء من نعمه المفيض على من اصطفاهم من عباده وابل فضله وكرمه، نشكره هدانا بفضله الصراط المستقيم، صراط الذين حازوا فضل العلم والتعليم، ونصلي ونسلم على أبي إبراهيم المبعوث بملة أبيه إبراهيم، سيدنا محمد ذي المقام الأسمى الذي أنزل عليه في محكم كتابه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين اجتمعت قلوبهم وقوالبهم على حبه واتّباعه.

«أما بعد» فإن خير الكتب ما عمّ نفعه، وحَسُن لدى العقلاء وضعهُ ـ وكان مُتْقَن البيان، واضح الحجّة، قويّ البرهان. وإن كتاب «جواهر البلاغة» لَمِنْ خير الكتب وضعاً، وأحسنها اختياراً وصنعاً، لمؤلفه الفاضل الأستاذ «السيد أحمد الهاشمي» فإن لحضرته من التآليف العديدة، والتصانيف المفيدة، ما تقر به أعين الناطقين بالضاد، ويفحم بمعجزاته كل مضاد، لا سيما هذا السفر الجليل الذي جاء دليلاً على إخلاصه في النية لأَبناء أمته. وبرهاناً ساطعاً على وفائه وحسن طويته فقد جمع فيه ما تفرق. بعد أن حقق ودقق، فلا غرابة إذا احتاج إليه كل إنسان، لما فيه من مراعاة النظير وحسن البيان، فالله أسأل أن ينفع بالمؤلّف والمؤلّف العباد. ويجعله بفضله كنزاً وذخراً إلى المعاد. آمين.

تمهيد

لمّا وُضع «علمُ الصَّرف» للنّظر في أبنية الألفاظ، ووُضِع علمُ النَّحو للنّظر في إعراب ما تركّب منها، وُضع «البيان[1]» للنّظر في أمر هذا التركيب، وهو ثلاثة علوم:

العلم الأول: ما يُحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يُريدُه المتكلّم لإيصالِه إلى ذهن السّامع، ويُسمّى «علم المعاني».

العلم الثاني: ما يُحترَز به عن التعقيد المعنوي أي عن أن يكونَ الكلامُ غَير واضح الدّلالة على المعنى المراد، ويُسمَّى «علم البيان».

العلم الثالث: ما يُراد به تحسين الكلام، ويُسمَّى «علم البديع» فعلم البديع تابع لهما إذ بهما يعرف التحسين الذاتي وبه يعرف التحسين العَرَضِي والكلام باعتبار «المعاني والبيان» يقال إنه: «فصيحٌ» من حيثُ اللفظ ـ لأنَّ النّظر في الفصاحة إلى مجرَّد اللفظ دون المعنى، «وبليغٌ» من حيثُ اللفظ والمعنى جميعاً ـ لأنَّ البلاغة ينظر فيها إلى الجانبين[2].

---

(١) علم البيان في اصطلاح المتقدمين من أئمة البلاغة يطلق على فنونها الثلاثة من باب تسمية الكل باسم البعض، وخصَّه المتأخرون بالعلم الباحث عن المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية، والغرض منه صوغ الكلام بطريقة تبيِّن ما في نفس المتكلم من المقاصد وتوصل الأثر الذي يريده به إلى نفس السامع.

(٢) وبيان ذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى. والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى في القلب فكأنها مقصورة على المعنى، ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ، والبلاغة تتناول المعنى، أن الببغاء يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً إذ هو مقيم الحروف وليس لها قصد إلى المعنى الذي يؤديه. وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك، غير مستكره فج ولا متكلف وخم، ولا يمنعه من أحد الإسمين شيء لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف.

واعلم أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البيّن، وإنما كان ظاهراً بيّناً لأنه مألوف الاستعمال، وإنما كان مألوف الاستعمال بين النابهين من الكتّاب والشعراء لمكان حسنه، وحسنه مدرك =

وأمّا باعتبار البديع فلا يقال إنه فصيح ولا بليغ، لأن البديع أمرٌ خارجي يُراد به تحسين الكلام لا غيرُ.

إذا تقرَّر ذلك وجب على طالب البيان أن يعرفَ قبل الشُّروع فيه، معرفةَ معنى «الفصاحة والبلاغة» لأنهما مِحورُه، وإليهما مرجع أبحاثه، فهما الغاية التي يقفُ عندها المتكلِّم والكاتب، والضَّالةُ التي يَنشُدانِها، وما عقدَ أَئِمَّة البيان الفصولَ، ولا بوَّبوا الأبوابَ، إلَّا بُغية أن يُوقِفُوا المُسترشِدَ على تحقيقات وملاحظات وضوابَط، إذا رُوعيتْ في خطابه أو كتابه بلغت الحدَّ المطلوبَ من سهولة الفهم، وإيجادِ الأَثر المقصود في نفس السَّامع واتَّصفت مِنْ ثَمَّ بصفة الفصاحة والبلاغة(١).

= بالسمع، والذي يدرك بالسمع إنما هو اللفظ لأنه صوت يتألف من مخارج الحروف فما استلذه السمع منه فهو الحسن، وما كرهه فهو القبيح، والحسن هو الموصوف بالفصاحة، والقبيح غير موصوف بالفصاحة لأنه ضدها لمكان قبحه.

(١) يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني[٨] وجمع من المتقدمين[٩] أن الفصاحة والبلاغة، والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات، وإنما يوصف بها الكلام بعد تحرّي معاني النحو فيما بين الكلم حسب الأغراض التي يصاغ لها. وقال أبو هلال العسكري[١٠] في كتاب الصناعتين ـ الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما لأن كل واحد =

---

[٨] عبد القاهر الجرجاني: توفي سنة (٤٧١هـ). كان نحوياً وفقيهاً، أشهر كتبه: دلائل الإعجاز. أسرار البلاغة.

[٩] ربما عنى المؤلف بالمتقدمين:
أ ـ الذين تناولوا البلاغة دون تأليف محدد فيها كالجاحظ المتوفى سنة (٢٥٥هـ)، الذي ذكر في كتابه البيان والتبيين الكثير من التعاريف للبلاغة على ألسنة: ابن المقفع المتوفى سنة (١٣٤هـ) والأصمعي المتوفى سنة ٢١٤ هـ والعتّابي المتوفى سنة ٢٢٠ هـ. وغيرهم.
ب ـ الذين ألفوا كتباً في البلاغة مثل: عبد الله بن المعتز المتوفى سنة (٢٩٦هـ) الذي ألف كتاب البديع، وقدامة بن جعفر المتوفى سنة (٣٣٧هـ) الذي ألف كتاب نقد الشعر وكتاب نقد النثر، وابن سنان الخفاجي المتوفى سنة ٤٦٦هـ، الذي ألف كتاب سر الفصاحة وغيرهم.
ـ راجع: البيان والتبيين للجاحظ الجزء الأول ص١١٥ وما بعدها، ومحاضرات في البيان العربي د. يوسف البيومي ١٩٦٥ ـ القاهرة، وفي تاريخ البلاغة العربية. د. عبد العزيز عتيق: دار النهضة العربية، بيروت ص١٩ وما بعدها. وكتاب نحو بلاغة جديدة: د. عبد المنعم خفاجي والدكتور عبد العزيز شرف ص٢٩ وما بعدها، والبلاغة تطور وتاريخ د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ص٢٠ وما بعدها.

[١٠] أبو الهلال العسكري: توفي سنة (٣٩٥هـ) له إضافة إلى كتاب الصناعتين ديوان المعاني، وجمهرة الأمثال، وكتاب الأوائل، وكتاب التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم.

....

= منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له. وقال الرازي[١١] في نهاية الإيجاز ـ وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين الفصاحة والبلاغة: وقال الجوهري[١٢] في كتاب الصحاح ـ الفصاحة هي البلاغة.

[١١] فخر الدين الرازي، توفي سنة (٦٠٦هـ)/١٢٠٦ والمراد كتابه: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز.

[١٢] أبو نصر إسماعيل الجوهري، توفي سنة (٣٩٨هـ) والمراد كتابه: تاج اللغة وصحاح العربية.

مقدمة(١)

في معرفة الفصاحة والبلاغة

الفصاحة

الفصاحة تُطلَق في اللُّغة على معان كثيرة ـ منها البيانُ والظُّهور قال الله تعالى ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤]أي أبينُ مِنِّي قولاً ويقال أفصح الصَّبيُّ في منطقه إذا بان وظهر كلامه.

وقالت العرب: أفصح الصُّبح إذا أضاء، وفَصَح أيضاً، وأفصح الأعجميّ إذا أبان بعدَ أن لم يكن يُفصِح ويُبين، وفصح اللَّحان[١٣] إذا عبَّر عمَّا في نفسه وأظهره على وجهِ الصَّواب دون الخطأ.

وفي اصطلاح أهل المعاني، عبارة عن الألفاظ البيِّنةِ الظاهرة المُتبادرةِ إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكُتَّاب والشعراء لمكان حُسنها.

وهي تقع وصفاً للكلمة، والكلام، والمتكلِّم، حَسبمَا يعتبر الكاتب اللَّفظةَ وحدَها أو مَسبوكة مع أخواتِها.

---

(١) مقدمة مشتقة من قدَّم اللازم وهذه مقدمة كتاب لأنها ألفاظ تقدمت أمام المقصود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه، بخلاف مقدمة العلم فهي معان يتوقف الشروع عليها كبيان حد العلم المشروع فيه وموضوعه وغايته.

واعلم أن علوم البلاغة أجلُّ العلوم الأدبية قدراً وأرسخها أصلاً وأبسقها[١٤] فرعاً وأحلاها جنى وأعذبها ورداً لأنها العلوم التي تستولي على استخراج درر البيان من معادنها وتريك محاسن النُّكَتِ[١٥] في مكانها، ولولاها لم تر لساناً يحوك الوشي، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويريك بدائع من الزهر، وينثر بين يديك الحلو اليانع من الثمر، فهي الغاية التي تنتهي إليها أفكار النظار، واللآلىء التي تتطلبها غاصة البحار لهذا كانت منزلتها تِلْوَ العلم بتوحيد الله تعالى.

---

[١٣] اللَّحَّان: لحن في كلامه أو في القراءة: أخطأ في الإعراب وخالف وجه الصواب، فهو: لاحن ولحَّان ولحَّانه.

[١٤] أبسقها: من بَسَق النخل إذا ارتفعت أغصانه وطال. وبسق أصحابه: علاهم بالفضل.

[١٥] النُّكَت: مفردها نُكْتة، وهي المسألة الدقيقة، أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر.

فصاحة الكلمة

فصاحة الكلمة سلامتها من أربعة عيوب:

١ـ تنافُرِ الحروف.

٢ـ غرابةِ الاستعمال.

٣ـ مُخالفةِ القِياس.

٤ـ الكراهةِ في السمّع(١).

الأوّل: تنافُر الحروف هو وصفٌ في الكلمة يوجب ثِقَلَها على السمع وصعوبة أدائها باللِّسان بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج وهو نوعان:

١ـ شديدٌ في الثّقل كالظَّش (للموضع الخشن) ونحو: هُعخُع لنبت ترعاه الإبل، من قول أَعرابي:

تـركـت نـاقَـتـي تَـرْعَـى الـهُـعْـخـع

٢ـ وخفيف كالنَّقنقَة لصوت الضفَّادع، والنُّقَاخ للماء العذب الصافي، ونحو: مُسْتَشْزِرات بمعنى مرتفعات، من قول امرىء القيس[١٦] يصف شَعر ابنة عمِّه:

غَـدَائـرهُ مُـسـتَـشـزِراتٌ إلـى الـعُـلَا تَـضِـلُّ الـعُـقـاصَ فـي مُـثَـنًّـى ومُـرْسَـلِ(٢)

ولا ضابطَ لمعرفة الثِّقل والصّعوبة سِوى الذّوق السّليم والحِسّ الصَّادق

---

(١) وبذلك تسلم مادتها وصيغتها ومعناها من الخلل ـ واعلم أنه ليس تنافرُ الحروف يكون موجبه دائماً قرب مخارج الحروف إذْ قربها لا يوجبه دائماً، كما أن تباعدها لا يوجب خفتها، فها هي كلمة «بفمي» حسنة وحروفها من مخرج واحد وهو الشفة، وكلمة (ملع) متنافرة ثقيلة وحروفها متباعدة المخارج، وأيضاً ليس موجبَ التنافر طولُ الكلمة وكثرةُ حروفها.

(٢) الغدائر: الضفائر والضمير يرجع إلى (فرع) قبله، والاستشزار: الارتفاع، والعقاص: جمع عقيصة وهي الخصلة من الشعر، والمثنى: الشعر المفتول والمرسل: ضده، أي ابنة عمه لكثرة شعرها بعضه مرفوع، وبعضه مثنى، وبعضه مرسل، وبعضه معقوص ملوي.

---

[١٦] امرؤ القيس: عاش بين (٥٠٠ ـ ٥٤٥م) من كبار شعراء الجاهلية، وأول أصحاب المعلقات. له ديوان، كان غزلاً متهتكاً، سمي: ذو القروح لتقرح جلده من مرض أصابه.

النّاجميْنِ عن النّظر في كلام البُلغاء ومُمارسة أساليبهم(١).

الثاني: غَرابة الاستعمال، وهي كونُ الكلمة غيرَ ظاهرةِ المعنى ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفُصحاء، لأنّ المعوّلَ عليه في ذلك استعمالهم والغرابة قسمان:

القسم الأول: ما يُوجب حِيرة السّامع في فهم المعنى المقصُود من الكلمة لتَردّدها بين معنيين أو أكثرَ بلا قرينة، وذلك في الألفاظ المُشتركة «كمسرَّج» من قول رُؤبَة بن العَجاج[١٧]:

ومُـقْـلـةً وحَـاجِـبـاً مُـزَجّـجَـا وفـاحِـمـاً ومَـرْسِـنـاً مُـسَـرَّجـا(٢)

---

(١) الألفاظ تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسمان حسنان، وقسم قبيح، فالقسمان الحسنان أحدهما: ما تداول استعماله السلف والخلف من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشي، والآخر: ما تداول استعماله السلف دون الخلف، ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله، وهذا هو الذي يعاب استعماله عند العرب لأنه لم يكن عندهم وحشياً وهو عندنا وحشي.

ولا يسبق وهمك إلى قول قُصَراء النظر بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا فهذا دليل على أنه حسن، بل ينبغي أن تعلم أن الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذي كان عند العرب مُسْتَحْسَناً، والذي نستقبحه هو الذي كان عندهم مُسْتَقْبحاً والاستعمال ليس بدليل على الحسن فإننا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن وإنما نستعمله لضرورة فليس استعمال الحسن بممكن في كل الأحوال ـ واعلم أن استحسان الألفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لأنه شيء ليس للتقليد فيه مجال وإنما هو شيء له خصائص وهيئات وعلامات إذا وُجِدتْ عُلِمَ حسنه من قبحه ـ ألا ترى أنَّ لفظة المزنة مثلاً حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم لا يختلف أحد في حسنها ـ وكذلك لفظ البُعاق فإنها قبيحة عند الناس كافة من العرب وغيرهم فإذا استعملها العرب لا يكون استعمالهم إياها مُخْرجاً لها عن القبيح ولا يلتفت إذن إلى استعمالهم إياها بل يعاب مستعملها ويغلظ له النكير حيث استعملها ـ فلا تظن أن الوحشي من الألفاظ ما يكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به وإنما هو الغريب الذي يقل استعماله فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهة وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة وذلك في اللفظ عيبان كونه غريب الاستعمال وكونه ثقيلاً على السمع كريهاً على الذوق. وليس وراءه في القبح درجة أخرى ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلاً ـ انتهى عن المثل السائر بتصرف.

(٢) «مزججا» مدققاً مطولاً (فاحما) شعراً اسود كالفحمة (مرسنا) بكسر الميم وفتح السين كمنبر ـ =

---

[١٧] رؤبة بن العجاج التميمي (٦٨٥ ـ ٧٦٢م) أخذ عنه أهل اللغة واحتجوا بشعره، وقبل هذا البيت:

أزمـانَ أبـدت واضـحـاً مـفـلّـجـاً أغـرَّ بـرّاقـاً وطَـرْفـاً أبـرجـا

راجع: أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ص٢٣ ـ طبعة محمد علي صبيح ١٩٥٩.

فلا يُعلم ما أراد بقوله «مُسرَّجاً» حتى اخْتَلَفَ أئمَّة اللُّغة في تخريجه فقال ابن دُريد[١٨]: يُريد أنّ أنفه في الإستواء والدِّقّة كالسّيف السّريجيّ.

وقال ابن سِيدَه[١٩]: يُريد أنه في البريق واللّمعان كالسّراج(١) فلهذا يَحتار السّامعُ في فهم المعنى المقصود لتردد الكلمة بين معنيين بدون «قرينة» تُعيِّن المقصود منهما.

فلأجل هذا التردّد، ولأجل أن مادة فعّل تدل على مجرد نسبة شيء لشيء لا على النسبة التّشبيهية، كانت الكلمة غيرَ ظاهرة الدَلالة فصارت غريبة، وأما مع القرينة فلا غرابةَ كلفظة «عَزَّر» في قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾[٢٠] فإنها مشتركة بين التعظيم والإهانة، ولكن ذكر النصر قرينة على إرادة التعظيم.

القسم الثاني: ما يُعاب استعماله لاحتياج إلى تتبُّع اللُّغات وكثرة البحث والتفتيش في المعاجم «قواميس متن اللغة المطولة»:

أ ـ فمنه ما يُعثر فيها على تفسيرِ بَعْدَ كَدٍّ وبَحثٍ نحو: تَكأكأتُم بمعنى

= أو بفتح الميم وكسر السين كمجلس ومعناه: أنفاً ذا لمعان كالسراج، أو ذا صقالة وأحديداب كالسيف السُرَيجي أي المنسوب إلى سُريج وهو قَيْن[٢١] حداد تنسب إليه السيوف في الدقة والاستواء.

(١) أي ولفظة مُسَرَّج غير ظاهرة الدلالة على ما ذكر لأن فعّل إنما يدل على مجرد النسبة وهي لا تدل على التشبيه فأخذه منها بعيد ـ لهذا أدخل الحيرة على السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة ومثله قول الشاعر:

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ ... يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ ما لَمْ أَفْعَلِ

فلا يُعلم ماذا أراد بقوله ما لم أفعل ـ أكان يبكي إذا رحلوا ـ أم كان يهيم على وجهه من الغم الذي لحقه ـ أم يتبعهم إذا ساروا ـ أم يمنعهم من المضي على عزمة الرحيل.

---

[١٨] ابن دريد: أبو بكر بن دريد (٨٣٧ ـ ٩٣٣م) لغوي وشاعر، له: الجمهرة في اللغة.

[١٩] ابن سيده: (١٠٠٧ ـ ١٠٦٦م) لغوي أندلسي له كتاب: المحكم والمحيط الأعظم، وكتاب: المخصص.

[٢٠] الأعراف: ١٥٧.

[٢١] قين: القين: العبد الرقيق، جمعها: قيان.

[٢٢] عيسى بن عمر النحوي الثقفي: توفي (سنة ٧٦٦م)، نحوي ومقرىء، أخذ عنه الأصمعي والخليل وسيبويه، كان صاحب تعقيد وإغراب في كلامه وقراءاته، له كتاب: الإكمال.

اجتمعتُم، من قول عيسى بن عمر النَّحوي[٢٢]:

مَا لَكُم تكأكَأتُمْ(١) عَلَيَّ كَتكأكُئِكُمْ على ذِي جِنَّةٍ(٢)

إفْرَنْقِعُوا عنّي(٣) ونحو مُشْمَخِرٌ في قول بِشْرِ بن عوانة[٢٣] يصِفُ الأسدَ:

فــخــرَّ مــدرَّجــاً بِــدَمٍ كــأنّــي   هَــدَمْــتُ بــه بِــنَــاءً مُــشْــمــخِــرًّا[٢٤]

ب ـ ومنه ما لم يُعثر على تفسيره نحو (جَحْلَنْجَع) من قول أبي الهَمَيْسَع مِنْ طَمحةٍ صَبِيرها جَحْلَنْجَع(٤) لم يحضها[٢٥] الجدول بالتَّنوُّع.

الثالث: مخالفة القياس، كون الكلمة غيرَ جارية على القانون الصّرفي المُستنبَط من كلام العرب؛ بأن تكونَ على خلاف ما ثبت فيها عن الواضع(٥) مثل (الأجْلَلِ) في قول أبي النَّجْم[٢٦]:

الــحــمــدُ لــلّــهِ الــعَــلــيِّ الأجْــلَــلِ   الــوَاحــدِ الــفَــرْدِ الــقَــدِيــمِ الأوَّلِ

---

(١) اجتمعتم.

(٢) جنون.

(٣) انصرفوا وقال ذلك حين سقط عن دابته فاجتمع الناس حوله.

(٤) الطمحة: النظرة والصبير: السحاب المتراكم ـ وقبله:

إنْ تَـمْـنَـعي صَوْبَـكِ صَوْبَ الـمدْمَـع   يـجـري عـلـى الـخدّ كَـضِـئْـبِ الـثَّـعْـثَـع

الضنب: الحب والثعثع: اللؤلؤ، قال صاحب القاموس: ذكروا جحلنجع ولم يفسروه وقالوا كان أبو الهميسع من أعراب مَدْيَنَ وكنا لا نكاد نفهم كلامه. اهـ.

(٥) اعلم أن ما ثبت عن الواضع موافقاً أو مخالفاً للقياس فصيح فمثل (آل وماء) أصلها أهل وموه أبدلت الهاء فيهما همزة وإبدال الهمزة من الهاء وإن كان على خلاف القياس إلّا أنه ثبت عن الواضع ومثل (أبى يأبى) بفتح الباء في المضارع والقياس كسرها فيه لأن فَعَلَ بفتح العين لا يأتي مضارعه على يفعَل بالفتح إلا إذا كان عين ماضيه أو لامه حرف حلْق كسأل ونفع، فمجيء المضارع بالفتح على خلاف القياس إلا أن الفتح ثبت عن الواضع ومثل (عَورَ يعور) أي فالقياس فيهما عار يَعار بقلب الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فتصحيح الواو خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع.

---

[٢٣] بشر بن عوانة: شاعر جاهلي وفارس، والبيت من قصيدة تتضمن نفساً ملحمياً في وصفه مبارزته الأسد، وقد أثبتها سليمان البستاني في مقدمة ترجمته الإلياذة، وروى البيت: فخرَّ مضرَّجاً، وليس (مدرَّجاً) كما ورد هنا.

[٢٤] مشمخرا: اشمخر الجبل: كان عالياً، والبناء المشمخر البناء العالي الضخم.

[٢٥] يحضها: من حضّ إذا حث، والحضيض: القرار من الأرض عند أسفل الجبل.

[٢٦] أبو النجم: هو الشاعر أبو النجم العجلي توفي (سنة ٧٤٧م)، كان من الرجاز، ومدح عبد الملك ابن مروان وابنه هشام.

فإنَّ القياس الأجَلّ بالإدغام ولا مُسَوِّغ لفَكهِ وكقطع همزة الوصل في قول جَميل[٢٧]:

ألَا لَا أرى إثـنـيـن أحـسـنَ شِـيـمـةً   على حَدَثان الدَّهرِ منِّي ومن جُمل(١)

يُستثنَى من ذلك ما ثبت استعماله لَدى العرب مخالفاً للقياس.

ولم يَخرُج عن الفصاحة لفظتا المشرِق والمغرِب بكسر الراء والقياس فتحها فيهما وكذا لفظتا المُدهُن والمنخُل والقياس فيهما مِفْعَل بكسر الميم وفتح العين وكذا نحو قولهم عَوِر والقياس عارَ لتحرُّك الواو وانفتاح ما قبلها.

الرابع: (الكراهة في السمَع) كون الكلمة وحشيةً تأنفها الطباعُ وتمجُّها الأسماع، وتنبو عنه كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة (كالجِرِشّى للنفس) في قول أبي الطّيب المتنبّي يمدحُ سيفَ الدَّولة[٢٨]:

مُـبـارَكُ الإِسْـمِ أَغَـرُّ الـلَّـقَـبْ   كَـرِيـمُ الـجِـرِشَّـى[٢٩] شَـرِيـفُ الـنَّـسَـبْ

(١) الشيمة الخلق، والحدثان نوائب الدهر، وجُمَل: فرسه.

[٢٧] جميل: هو جميل بن معمر، المعروف بجميل بثينة توفي (سنة ٧٠١م) شاعر أموي من بني عذرة.

[٢٨] المتنبي: أحمد بن الحسين (٩١٥ ـ ٩٦٥م) شاعر كبير، اشتهر بالفلسفة والحكمة، مدح سيف الدولة الحمداني وكافوراً الأخشيدي، وعضد الدولة البويهي وسيف الدولة مؤسس الدولة الحمدانية. عاش بين (٩١٥ و٩٦٧م) اهتم بالأدب وحارب الروم.

[٢٩] الجرِشّى: على وزن فِعِلّى: النفس، وقد ورد في لسان العرب قول أحد الشعراء:

بـكـى جـزعـاً مـن أن يـمـوت وأجـهـشـت   عـلـيـه الـجـرِشّـى وارمـعـنّ حـنـيـنـهـا

ارمعنّ: من رمِع، رمعت العين إذا سال دمعها.

تطبيق (١)

ما الذي أخلَّ بفصاحة الكلمات فيما يأتي؟؟

قال يحيى بن يعمرُ لرجل حَاكمتُه امرأته إليه: أئِنْ سألَتْكَ ثَمن شَكْرِها وشَبرِك أنشأتَ تُطلها وتُضْهلُهَا(١).

وقال بعض أمراء العرب وقد اعتلّت أمّه فكتب رُقاعاً وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام: صِينَ امرُؤٌ وَرَعَا دعَا لامْرأة إنْقحْلة(٢) مُقسئنَة(٣) قد مُنِيتْ بأكل الطَّرمُوق(٤) فأصابها من أجله الإستِمْصَالُ(٥) بأن يَمُنَّ الله عليها بالإطرِغشاش(٦) والإبرِغْشاش أسمعُ جَعجَعة(٧) ولَا أرَى طحناً ـ الإسْفِنطُ(٨) حرام ـ وهذا الخنْشليل(٩) صقيل، والْفَدَوْكَس مُفترسٌ(١٠).

يومٌ عَصَبْصَبٌ وهِلَّوْفٌ ملأ السَّجْسَجَ(١١) طَلَا[٣٠]:

أمِنَا أنْ تُصَرَعَ عن سَمَاحٍ ولـلآمـال فـي يـدِك اضْطِـرَاعُ(١٢)

---

(١) الشكر: الرضاع، والشبر: النكاح، وتطلها: تسعى في بطلان حقها، وتضهلها: تعطيها الشيء القليل.

(٢) يابسة.

(٣) مسنة عجوز.

(٤) ابتليت بأكل الطين.

(٥) الإسهال.

(٦) البرء وكذا معنى ما بعده.

(٧) جعجعة غير فصيحة لتنافر حروفها وهو مثل يضرب لمن يقول ولا يفعل.

(٨) الإسفنط: الخمر.

(٩) الخنشليل: السيف.

(١٠) الفدوكس: الأسد فكل من هذه الألفاظ الثلاثة وحشية غير مألوفة.

(١١) شديد البرد فيهما والسجسج: الأرض التي ليست بسهلة ولا صلبة.

(١٢) أراد أنهم أمنوا أن يغلبه غالب يصرعه عن السماح ويمنعه منه ـ وأما قوله (وللآمال في يدك =

---

[٣٠] طلا: الطلا: ولد الظبي يولد، والصغير من كل شيء.

وقال الفرزدق[٣١]:

وإذا الـرّجـالُ رأوا يَـزيـدَ رأيـتَـهُـم ... خُـضْـعَ الـرّقـابِ نـوَاكِـس الأبـصـارِ(١)

وقال أبو تمام[٣٢]:

قـد قُـلت لـمَّـا اطلَـخَـمَّ الأمـرُ وانبعَـثـتْ ... عَـشْـوَاءُ تـالِـيـةً غُـبـسـاً دَهـاريـسـا(٢)

وقال شَمِرْ[٣٣]:

وأحـمـقِ مِـمَّـنْ يَـكْـرَعُ الْـمَـاءَ قـال لـي ... دَع الـخـمـرَ واشـربْ مِـن نُـقَـاخ مُـبَـرّدِ(٣)

يَـظَـلُّ بـمَـوْمـاةٍ ويُـمـسِـي بـغـيـرِهـا ... جَحِيشاً ويَعْرَوْري ظهُورَ المسالِكِ[٣٤](٤)

فـلَا يُـبْـرَمُ الأمـرُ الـذِي هـو حَـالِـلٌ ... وَلَا يُـحْـلَـلُ الأمـرُ الـذي هـو يُـبْـرِمُ(٥)

= اصطراع) فمعناه تنافس وتغالب وازدحام في يده ـ يريد كثرة نواله وكرمه واستعماله للفظة الاصطراع بهذا المعنى بعيد.

(١) فقد جمع (ناكس) على (فواعل) وهذا لا يطرد إلا في وصف لمؤنث عاقل لا لمذكر كما هنا إلا في موضعين (فوارس وهوالك) والناكس: مطأطىء الرأس.

(٢) قال صاحب المثل السائر إن لفظ (اطلخمَّ) من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنها غريبة وأنها غليظة في السمع كريهة على الذوق وكذلك لفظة (دهاريس) واطلخم أي اشتد وعظم، والعشواء: الليلة المظلمة، والغبسة: جمع أغبس وغبسأ وهي الشديدة الظلام مثلها ـ والدهاريس: جمع دهريس وهي الدواهي.

(٣) الماء العذب الصافي.

(٤) الموماة: المفازة الواسعة ويقال للمستبد برأيه جحيش ويقال اعرورى الفرس ركبها عريان ـ وأن لفظة جحيش من الألفاظ المنكرة القبيحة ـ ويالله العجب أليس أنها بمعنى فريد. وفريد لفظة حسنة رائقة ولو وضعت في هذا البيت موضع جحيش لما اختل شيء من وزنه، فتأبط شراً ملوم من وجهين في هذا الموضع أحدهما أنه استعمل القبيح والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنه.

(٥) العيب في هذا البيت من حيث فك الإدغام في حالل ويحلل بلا مسوغ وهو مخالف للقياس الصرفي.

---

[٣١] الفرزدق: همّام بن غالب بن صعصعة التميمي (٦٤١ ـ ٧٣٣م) من شعراء العصر الأموي الكبار، أشهر شعره النقائض بينه وبين جرير.

[٣٢] أبو تمام: حبيب بن أوس الطائي (٧٨٨ ـ ٨٤٥م) شاعر عباسي أثار جدلاً حول طريقته الشعرية وخياله الواسع، مدح الخلفاء، لا سيما المعتصم.

[٣٣] شمر: ورد في لسان العرب، مادة: شَمَر، ما يفيد أن (شَمِرْ) هو أحد اللغويين، إذ أورد على لسانه ما يلي: قال شَمِرْ: تشمير السهم: حفزه وإكماشه وإرساله.

[٣٤] البيت لتأبط شراً، وهو ثابت بن جابر، من شعراء الصعاليك، توفي (سنة ٥٣٠م).

مُقابِلٌ في ذُرا الإِذواد[٣٥] مَنصبهُ عَيْصاً فَعيصاً[٣٦] وقُدْمُوساً فقُدْموسا[٣٧]

وقال أبو تمام:

نِعْمَ مَتاعُ الدُّنيا حَبَاك بِهِ أَوْرَعُ لا جَيْدَرٌ وَلا جِبْسُ[٣٨]

وقال امرُؤُ القَيس[٣٩]:

رُبّ جَفْنَةٍ مُثْعَنْجِرَةٍ، وَطَعْنَةٍ مُسْحَنْفِرة، وخُطبةٍ مُستحضَرة، وقصيدةٍ مُحبرةٍ، تبقى غداً بأنقرَةَ(١) أكلتُ الْعَرِينَ، وشربتُ الصُّمادحَ(٢) إنِّي إذا أنشدتُ لأحبَنْطَى(٣) نزل بزيدٍ داهيةٌ خَنْفقِيقٌ(٤) وحلّ به عَنْقَفِير[٤٠]. لم يَجد منها مَخلصاً. رأيتُ مَاء نُقاخاً(٥) ينبَاعُ(٦) من سفح جبل شَامخ. إخالُ أنّك مَصْوُون(٧) ـ البُعاق(٨) ملأ الجرْدَحْلَ:

فإنْ يَكُ بعضُ النَّاسِ سَيْفاً لدوْلة ففي النَّاس بُوقاتٌ لها وطبُولُ(٩)

---

(١) يريد جفنة صحفة كبيرة ملأى تشبع عشرة والمثعنجرة: السائلة والمسحنفرة: الماضية بسرعة وطعنة: متسعة ببلد أنقرة وهو كلام امرىء القيس لما قصد ملك الروم ليستنجده على قتلة أبيه فهوته بنت الملك وبلغ ذلك القيصر فوعده أن يتبعه بالجنود إذا بلغ الشام أو يأمر من بالشام من جنوده بنجدته فلما كان بأنقرة بعث إليه بثياب مسمومة فلما لبسها تساقط لحمه فعلم بالهلاك فقال رُبَّ الخ.

(٢) تريد اللحم والماء الخالص.

(٣) احبنطى: انتفخ بطنه.

(٤) دهياء.

(٥) عذبا.

(٦) ينبع ويسيل.

(٧) مصوون ليست فصيحة لمخالفتها للقياس الصرفي.

(٨) البعاق: مطر السحاب والجردحل: الوادي وليستا فصيحتين لغرابتهما.

(٩) بوقات: مزامير والقياس في جمعه أبواق.

---

[٣٥] الإذواد: اذود إذواداً، أعان على الذياد والمدافعة، ذرا الإذواد: أعلى منازل الذود، دلالة على المنعة.

[٣٦] العيص: منبت خيار الشجر.

[٣٧] قدموس: عظيم، شديد، سيد.

[٣٨] امرؤ القيس: حندج بن حجر، الشاعر الجاهلي الشهير، من ألقابه: الملك الضلّيل. تعلم الشعر من خاله المهلل بن ربيعة.

[٣٩] الجبس: الجبان، وجيدر من جدر إذا توارى بالجدار أي اختبأ فهو الجبان، أورع: شجاع.

[٤٠] عنقفير: داهية.

نَقِيٌّ تَقِيٌّ لم يُكثِّر غَنِيمةً ... بنكهةِ ذي القُربى ولا بحَقَلَّدِ[41]
إنَّ بَنِيَّ لَلِئَامٌ زَهَدَهْ ... مَالِيَ في صُدُورِهِم مِنْ مَوْدَدَهْ[1]
رَمتنيَ مَيٌّ بالهَوَى رَمْيَ مُمْضِغٍ ... من الوحش لوْطٌ لم تُعِقْه الأوالسُ[2]
بعَيْنَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ لَمْ يَجْرِ فيهما ... ضَمانٌ، وجيدٌ حَلَى الدُّرَّ شامِسُ[3]

علمي إلى علمك كالقرارة في الْمُثْعُنْجَر[4]:

إنَّ بَعْضاً مِنَ القَرِيضِ هُراءٌ ... لَيْسَ شَيْئاً وبَعْضُه أَحْكَامُ
فيه ما يَجْلُبُ البَراعَةَ والفَهْـ ... ـمَ وفيه ما يَجْلُبُ البِرْسَامُ[5]
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَجُوزُ عَلَيْهِمْ ... شُعَراءُ كَأَنَّهَا الْخَازَبَازُ[6]

تطبيق (٢)

ما الذي أخلَّ بفصاحة الكلمات فيما يلي؟؟

يا نَفْسُ صَبْراً كُلُّ حيٍّ لاقِ ... وكُلُّ اثْنَيْنِ إلى افْتِرَاقِ
أبْعِدْ بَعِدْتَ بَيَاضاً لا بَيَاضَ لهُ ... لَأَنْتَ أَسْوَدُ في عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ[7]
لانَسَبَ اليَوْمَ وَلَا خُلَّةَ ... إتَّسَعَ الفَتْقُ على الرَّاقِعِ[8]
فأيقنتُ أنِّي عِنْدَ ذلكَ ثائرٌ ... غَداتئِذٍ أوْ هالِكٌ في الهَوالِكِ[9]

---

(١) القياس مودّة بالإدغام.

(٢) لوط: لازق والأوالس: النياق.

(٣) ضرب من القلائد.

(٤) المثعنجر: لفظة متنافرة ـ والمعنى إن علمي مقيس إلى علمك كالغدير الصغير موضوعاً في جانب البحر.

(٥) القريض: الشعر والهراء: الكلام الفاسد الذي لا نظام له، وأحكام: جمع حكم والمراد الحكمة، والبَرسام: بفتح الباء وكسرها التهاب الصدر.

(٦) الخازباز: صوت الذباب ـ وتجوز: تروح وتقبل.

(٧) الظلم: الليالي الثلاث آخر الشهر. ولا بياض له: لا حسن له. قاله المتنبي يخاطب الشيب وخالف القياس في الأسود لأنه لا يبنى اسم تفضيل من نحو سود وحمر.

(٨) الخلة: الصداقة والفتق: الشق والراقع: مصلح الفتق وقد خالف القياس في اتسع حيث قطع همزة الوصل.

(٩) هوالك: فواعل لا يطرد في وصف العاقل كما هنا.

---

[٤١] حقلّد: عمل فيه إثم أو هو الآثم عينه، السيء الخلق، والبيت لزهير بن أبي سلمى المزني صاحب الحوليات.

مَـهْـلاً أَعَـاذِلَ قَـدْ جَـرَّبـت مـنْ خُـلُـقـي	أنّـــي أجـــودُ لأقـــوام وإن ضـــنِـــنُـــوا
تَـشْـكُـو الـوَجـى مِـنْ أَظْـلَـلٍ وأَظْـلَـلِ	مِـنْ طُـولِ إمْـلَالٍ وظَـهْـرٍ مُـمْـلِـلِ[1]

١ـ وقال ابن جحدر:

حَـلَّـفْـتُ بِـمَـا أرْقَـلَـتْ حَـولَـهُ	هَـمَـرْجَـلَـةٌ خَـلْـقُـهَـا شَـيْـظَـمُ[2]

(١) الوجى: الجفا والأظلل: باطن خف البعير وخالف القياس بفك الإدغام.

تنبيهات

الأول: من عيوب فصاحة اللفظة المفردة كونها مبتذلة أي عامية ساقطة كاللَّقالق والشنطار ونحوهما، والابتذال ضربان:

١ ـ ما استعملته العامة ولم تغيِّره عن وضعه فسخف وانحطت رُتبته وأصبح استعماله لدى الخاصة مَعِيباً، كلفظة البِرسام في قول المتنبي:

إن بـعـضـاً مـن الـقَـريـض هُـرَاءُ	لـيـس شـيـئـاً وبـعـضُـه أحـكـامُ
فـيـه مـا يَـجْـلِـبُ الـبـراعَـةَ والـفـهـ	ـم وفـيـه مـا يـجـلـب الـبِـرْسَـام

وكلفظة الخازباز في قوله:

ومِـن الـنـاس مَـن تـجـوزُ عـلـيـهـم	شُـعـراءُ كـأنـهـا الـخـازِبـاز

٢ ـ ما استعملته العامة دالاً على غير ما وضع له وليس بمُسْتَقْبَح ولا مكروه كقول المتلمس[٤٢]:

وقـد أتـنـاسَـى الـهَـمَّ عـنـد احْـتِـضـارِهِ	بِـنَـاجٍ عـلـيـه الـصَّـيْـعَـرِيَّـة مَـكْـدَمُ

وكقول أبي نُواس:

اخـتـصـمَ الـجُـودُ والـجـمـالُ	فـيـك فَـصَـارا إلـى جـدالِ
فـقـال هـذا يـمـيـنُـهُ لـي	لـلـعُـرْفِ والـبَـذْلِ والـنَّـوال
وقـال هـذاك وجْـهُـهُ لـي	لـلـظَّـرْفِ والـحُـسْـنِ والـكَـمـالِ
فـافـتـرقـا فـيـك عَـنْ تـراض	كـلاهـمـا صـادقُ الـمـقـال

فوصف في **الأول**: البعير بالصَّيْعَرِيّة وهي مختصة بالنُّوق، وفي الثاني الوجه بالظرف وهو في اللغة مختص بالنطق.

الثاني: لا تستعمل الألفاظ المبهمة إذا كان غرضك التعيين وإحضار صورة الشيء أو المعنى المراد في الذهن.

الثالث: لا تستعمل اللفظ المشترك إلا مع قرينة تبين المراد من معانيه المشتركة ـ وقد تقدم ذلك مفصلاً.

(٢) الإرقال: الإسراع. الهمرجلة: الناقة السريعة. الشيظم: الطويل الجسيم من الإبل والخيل، =

[٤٢] المتلمس: شاعر جاهلي توفي (سنة ٥٦٩م).خال طرفة بن العبد البكري.

ومـا شَـبْـرَقَـتْ مِـنْ تَـنُـوفِـيَّـةٍ ... بـهـا مِـن وَحَـى الـجِـنّ زيـزَيْـزَمُ

٢ـ وقال ذو الرُّمة[٤٣]:

حتَّى إذا الـهَـيْـقُ أَمْسَى شَـامَ أَفْـرُخَـهُ ... وهُـنَّ لا مُـؤْيِـسٌ نـأيـاً ولا كَـثَـبُ(١)

وقال أبو نُواس[٤٤]:

يـا مَـن جَـفَـانـي ومَـلَّا ... نَـسِـيـتَ أهـلا وسـهـلا

تدريب (١)

ما الذي أخلّ بفصاحة الكلمات فيما يلي؟؟

قال النّابغة الذُّبياني[٤٥]:

أو دُمْـيَـةٍ فـي مَـرْمَـرٍ مَـرْفُـوعـة ... بُـنِـيَـتْ بـآجُـرٍ يُـشَـادُ بـقَـرْمَـدِ(٢)

وقال أبو تمّام:

لـكَ هَـضْـبَـةُ الـحِـلْـم الـتـي لـو وَازَنَـتْ ... أجَـأً إذا ثَـقُـلَـتْ وكـان خـفـيـفـا

وحَـلَاوَةُ الـشِّـيَـم الـتـي لـوْ مَـازَجَـتْ ... خُـلُـقَ الـزَّمَـان الْـفَـدْمِ عَـاد ظَـرِيـفـا(٣)

وقال المتنبيّ:

يُـوَسِّـطُـه الـمَـفَـاوزَ كـلَّ يـوم ... طِـلَابُ الـطَّـالِـبِـين الانْـتِـظَـارُ[٤٦]

= شبرقت: قطعت. التنوفية والتنوفة: المفازة. الوحى: الصوت الخفي. زيزيزم: حكاية أصوات الجن.

(١) الهيق: الظليم (ذكر النعام) شام البرق: نظر إليه أين يقصد، وأين يمطر. واستعمل هنا للنظر إلى الأفرخ. النأي: البعيد.

(٢) الدمية: الصورة المنقوشة المزينة، فيها خمرة كالدم، تضرب مثلاً في الحسن. المرمر: الرخام. الآجر: ما يبنى به. القَرمد: بفتح القاف ما يُطلى به للزينة. وقيل حجارة لها خروق يوقد عليها فتنضج ويبنى بها. وقيل الخزف المطبوخ.

(٣) الهضبة: الرابية. أجأ: جبل. الفدم: الغليظ الجافي، وصف الشيم بالحلاوة وهي خاصة بالعينين، وخلق الزمان بالظرف وهو خاص بالنطق.

---

[٤٣] ذو الرمة: شاعر أموي، عاصر الفرزدق وجرير، توفي (سنة ٧٣٥م).

[٤٤] أبو نواس: الحسن بن هانىء (٧٥٧ ـ ٨١٤م) شاعر عباسي، كان مقرباً من الخليفة هارون الرشيد، اشتهر بشعر الخمرة.

[٤٥] النابغة الذبياني: شاعر جاهلي توفي (سنة ٦٠٤م) من أصحاب المعلقات، اشتهر باعتذارياته للنعمان بن المنذر.

[٤٦] المفاوز: جمع مفازة وهي الفلاة بلا ماء، فهي مظنة للموت، سميت مفازة، لأن من قطعها فاز.

تدريب (٢)

ما الذي أخلّ بفصاحة الكلمات فيما يأتي؟؟

لـم يَـلْـقَـهَـا إلا بِـشِـكَّـة بـاسِـلٍ ... يـخشـى الـحـوادِثَ حـازمٌ مُـسْـتَـغْـدِدِ[١]

وأضْـبَـحَ مـبْـيَـضَّ الـضَّـرِيـب كـأنَّـه ... عـلـى سَـرَوات الـبَـيْـتِ قُـطْـن مُـنْـدِفِ[٢]

فـأيْـقَـنْـتُ أنّـي عـنـد ذلـك ثـائـرٌ ... غَـدَاتـئِـذٍ أو هَـالِـكٌ فـي الـهـوَالِـكِ[٣]

ومَـلْـمُـومَـةٍ سَـيْـفِـيَّـةٍ رَبَـعِـيَّـةٍ ... يَصيح الحصا فيها صِياحَ اللّقالِقِ[٤]

وألـقـى بـصـحـراء الـغَـبِـيـط بَـعَـاعَـهُ ... نُـزولَ الـيَـمَـاني ذو الـعِـيَـاب الـمـحَـمَّـلِ[٥]

لـيـس الـتَّـعَـلُـلُ بـالآمـالِ مـن أربـي ... ولا القُنُوع بضَنْكِ العَيْش منْ شِيَمِي[٦]

---

(١) الشكة: الخصلة. الباسل: الشجاع.

(٢) قائله الفرزدق، الضريب: الشبيه والمثيل. سروات البيت: أعاليه. مندف: مندوف من قولهم ندف القطن ضربه بالمندف.

(٣) الثائر: الذي لا يبقي على شيء حتى يدركه ثأره.

(٤) قائله المتنبي. ملمومة: كتيبة مجتمعة. سيفية: نسبة لسيف الدولة ربعية: نسبة إلى ربيعة قبيلته. اللقالق: جمع لقلقة وهي صوت اللقلاق (طائر) أو هي كل صوت في اضطراب وحركة.

(٥) قائله امرؤ القيس. الغبيط: الأرض المطمئنة، وقيل الواسعة المستوية يرتفع طرفاها. البَعاع: ثقل السحاب من المطر يقال بعَّ السحاب يَبُعُّ بعّاً وبَعَاعا. إذا ألح بمكان وألقى عليه بَعَاعه أي ثقله. العياب: جمع عَيْبة وهي ما يجعل فيه الثياب. يقال جعل الرجل خير متاعه في عَيْبته. والمحمّل يروى بكسر الميم على جعل اليماني رجلاً ـ وبفتحها على جعله جملاً ـ والمعنى أن هذا المطر نزل بهذا المكان ولم يبرح كما نزل الرجل في ذلك الموضع وضمير ألقى يرجع إلى السحاب فيما قبله.

(٦) القنوع: المسألة. يقال قنع قنوعاً. إذا سأل والمراد القناعة.

فصاحة الكلام

فصاحة الكلام سلامته بعد فصاحة مُفرداته ممَّا يُبْهِم معناه ويَحول دون المراد منه[1] ـ وتَتَحقّق فصاحته بخلُوّه من ستة عيوب:

١ ـ تنافُر الكلمات مُجتمعة. ٢ ـ ضعف التأليف. ٣ ـ التّعقيد اللفظي. ٤ ـ التَّعقيد المعنوي. ٥ ـ كثرة التكرار[2]. ٦ ـ تتابُع الإِضافات.

الأوّل: «تنافُر الكلمات مجتمعة» أن تكون الكلمات ثقيلة من تركيبها مع بعضها على السَّمع، عَسرة النّطق بها مُجتمعةً على اللِّسان. (وإن كان كل جزء منه على انفراده فصيحاً) ـ والتنافر نوعان:

أ ـ شديد الثّقل كالشطر الثاني في قوله:

وَقَــبْــرُ حــرْب بــمــكــان قــفْــر ولَــيــس قُــرْبَ قَــبــر حَــرْبٍ قــبــرُ[3]

ب ـ وخفيف الثّقل نحو قول أبي تمّام:

كـرِيـمٌ مـتـى أمْـدَحْـهُ أمْـدحْـهُ وَالـوَرَى مـعـي وَإذَا مَـا لُـمْـتُـهُ لُـمْـتـهُ وَحـدِي[4]

---

(١) المراد بفصاحة الكلام أن يكون واضح المعنى. سهل اللفظ. حسن السّبك ولذلك يجب أن تكون كل لفظة من ألفاظه واضحة الدلالة على المقصود منها جارية على القياس الصرفي عذبة سلسة كما يكون تركيب الكلمات جارياً على القواعد النحوية خالياً من تنافر الكلمات مع بعضها ومن التعقيد ـ فمرجع الفصاحة سواء في اللفظة المفردة أو في الجمل المركبة إلى أمرين (مراعاة القواعد والذوق السليم).

(٢) ٥ و٦ ـ الحق أن هذين العيبين قد احترز عنهما بالتنافر ـ على أن بعضهم أجازهما لوقوعهما في القرآن في قوله تعالى: **﴿ونَفْسٍ وما سَوَّاها﴾** [الشمس: ٧] الآيات ـ وفي قوله تعالى: **﴿ذِكْرُ رحْمَتِ ربكَ عَبْدَه زكريا﴾** [مريم: ٢]

(٣) حرب بن أمية قتله قائل هذا البيت وهو هاتف من الجن صاح عليه (وقفر) خال من الماء والكلأ، وقبر اسم ليس مؤخر، وقُرْبَ خبرها مقدم. قيل إن هذا البيت لا يمكن إنشاده ثلاث مرات متوالية إلا ويغلط المنشد فيه لأن نفس اجتماع كلماته وقرب مخارج حروفها يحدثان ثقلاً ظاهراً، مع أن كل كلمة منه لو أخذت وحدها ما كانت مستكرهة ولا ثقيلة.

(٤) أي هو كريم إذا مدحته وافقني الناس على مدحه ويمدحونه معي لإسداء إحسانه إليهم كإسدائه =

الثاني: «ضعف التَّأليف» أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المعتبرة عند جُمهور العلماء ـ كوصل الضميرين، وتقديم غير الأعرف منهما على الأعرف مع أنه يجب الفصل في نحو هذا ـ كقول المتنبي:

خَلَتِ البلادُ من الغَزالةِ لَيْلَها ... فأَعاضَهاكَ اللَّهُ كي لا تحزنا

وكالإِضمار قبل ذكر مرجعه لفظاً وَرُتبة وُحكْماً في غير أبوابه[١] نحو[٤٧]:

ولو أنّ مجداً أخلدَ الدهرَ واحداً ... من الناس أبقَى مجدُه الدّهرَ مُطْعِمَا[٢]

الثالث: (التَّعقيد اللَّفظي) هو كون الكلام خَفِيّ الدَّلالة على المعنى المراد به بحيث تكون الألفاظ غير مرتَّبة على وفق ترتيب المعاني.

(وينشأ ذلك الخفاء من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي، بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتَّصل بعضها ببعض)[٣] وهو مذموم لأنه يُوجب

= إليّ وإذا لمته لا يوافقني أحد على لومه لعدم وجود المقتضى للوم فيه ـ وآثر لمته على هجوته مع أنه مقابل المدح إشارة إلى أنه لا يستحق الهجو ولو فرط منه شيء فإنما يلام عليه فقط. والثقل في قوله «أمدحه» لما بين الحاء والهاء من التنافر للجمع بينهما وهما من حروف الحلق[٤٨] ـ كما ذكره الصاحب إسماعيل بن عباد[٤٩].

(١) المجموعة في قول بعضهم:

ومرجع الضمير قد تأخَّرا ... لفظاً ورتبة وهذا حصرا
في باب نِعْمَ وتنازُع العمل ... ومُضْمرِ الشأن ورُبَّ والبدل
ومبتدا مفسّر بالخبر ... وباب فاعل بخلف فأخبر

واعلم أن ضعف التأليف ناشىء من العدول عن المشهور إلى قول له صحة عند بعض أولي النظر، أما إذا خالف المجمع عليه كجر الفاعل ورفع المفعول ففاسد غير معتبر، والكلام في تركيب له صحة واعتبار.

(٢) فإن الضمير في (مجده) راجع إلى (مطعماً) وهو متأخر في اللفظ كما يرى وفي الرتبة لأنه مفعول به، فالبيت غير فصيح، ومُطْعِم أحد رؤساء المشركين وكان يدافع عن النبي ﷺ.
ومعنى البيت أنه لو كان مجد الإنسان سبباً لخلوده في هذه الدنيا لكان مطعم بن عدي أولى الناس بالخلود لأنه حاز من المجد ما لم يحزه غيره.

(٣) وذلك كالفصل بأجنبي بين الموصوف والصفة، وبين البدل والمبدل منه وبين المبتدأ والخبر، =

---

[٤٧] البيت لحسان بن ثابت الأنصاري، شاعر الرسول ﷺ توفي (سنة ٦٤٧م).

[٤٨] حروف الحلق هي: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء.

[٤٩] الصاحب إسماعيل بن عباد: (٩٣٨ ـ ٩٩٥) أديب ولغوي، امتازت رسائله بالإيجاز، وشعره بالرقة، كان من كبار وزراء الدولة البويهية.

اختلال المعنى واضطرابه ـ كقول المتنبي:

جفَخَتْ وهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بها بهِمْ شِيَمٌ على الحسَبِ الأَغَرِّ دَلَائِلُ[1]

أصله ـ جفخت (افتخرت) بهم شِيَمُ دلائل على الحسَبِ الأغر وهم لا يجفخون بها.

الرابع: (التَّعقيد المعنوي) وهو كون التركيب خفِيّ الدّلالة على المعنى المراد[2] لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود بسبب إيراد اللّوازم البعيدة المفتقرة إلى وسائط كثيرة مع عدم ظهور القرائن الدَّالة على المقصود «بأن يكون فهمُ المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم عُرفا[3]» كما في قول عبّاس بن الأحْنَفْ[50]:

سأَطْلبُ بُعْدَ الدَّارِ عنكم لِتقْرَبُوا وتسكُبُ عيْنَاي الدُّموع لِتَجْمُدَا[4]

جعلَ سكبَ الدُّموع كناية عمّا يلزم فراق الأحبّة من الحزن والكمد فأحسن وأصابَ في ذلك، ولكنّه أخطأ في جعل جمود العين كنايةً عمَّا يوجبه التَّلَاقي من الفرح والسُّرُور بقُرْب أحبّته، وهو خَفيٌّ وبعيدٌ[5] إذ لم يُعرفْ في كلام العرب عند

= وبين المستثنى والمستثنى منه مما يسبِّب ارتباكاً واضطراباً شديداً.

(١) فلفظة جفخت مرة الطعم وإذا مرت على السمع اقشعر منها: ولو استعمل المتنبي عوضاً عن جفخت (فخرت) لاستقام البيت وحظي في استعماله بالأحسن.

(٢) بحيث يعمد المتكلم إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلمات في غير معانيها الحقيقية فيسيء اختيار الكلمات للمعنى الذي يريده فيضطرب التعبير ويلتبس الأمر على السامع نحو: نشر الملك ألسنته في المدينة، تريد جواسيسه والصواب نشر عيونه.

(٣) فالمناط في الصعوبة عدم الجريان على ما يتعاطاه أهل الذوق السليم لا كثرة الوسائط الحسية فإنها قد تكثر من غير صعوبة كما في قولهم: فلان كثير الرماد كناية عن المضياف فإن الوسائط كثيرة فيه ولكن لا تعقيد.

(٤) تسكب بالرفع عطف على أطلب، وبالنصب عطف على بُعد من قبيل عطف الفعل على اسم خالص من التأويل بالفعل، والمراد طلب استمرار السكب لا أصله لئلا يلزم تحصيل الحاصل.

(٥) ووجه الخفاء والبعد: أن أصل معنى جمود العين جفافها من الدموع عند إرادتها منها، والانتقال منه إلى حصول السرور بعيد، لأنه يحتاج إلى وسائط بأن ينتقل من جمود العين إلى انتفاء الدمع منها حال إرادة البكاء، ومنه إلى انتفاء الدمع مطلقاً، ومنه إلى انتفاء الحزن ونحوه «فإن ذلك هو السبب غالباً في الدمع» ومن انتفاء الحزن ونحوه إلى السرور ـ ولا يخفى أن =

---

[٥٠] عباس بن الأحنف: شاعر اشتهر بالغزل توفي (سنة ٨٠٨م) له أخبار مع هارون الرشيد.

الدُّعاء لشخص بالسّرُور أن يقال له جمُدت عينك، أولا زالت عينك جامدةً. بل المعروف عندهم أنَّ جمود العين إنَّما يُكْنى به عن عدم البكاء حالة الحزن، كما في قول الخَنْساء[٥١]:

أعَيـنـيَّ جُـودا وَلَا تَـجـمُـدا ... أَلَا تـبـكـيـانِ لـصَـخْـرِ الـنَّـدى

وقول أبي عطاءٍ[٥٢] يرثي ابن هُبيرة[٥٣]:

ألا إنَّ عَـيْـنـاً لـم تـجُـد يَـوْمَ وَاسِـطٍ ... عـلـيـكَ بـجـارِي دَمـعِـهـا لَـجـمـودُ(١)

وهكذا كل الكِنايات التي تستعملها العرب لأغراض ويُغَيّرها المتكلم ويريدبها أغراضاً أخرى تُعتبر خروجاً عن سُنن العرب في استعمالاتهم ويُعد ذلك تعقيداً في المعنى حيث لا يكون المراد بها واضحاً.

الخامس: «كثرة التّكرار»(٢) كون اللّفظ الواحد إسماً كان أو فعلاً أو حرفاً، وسواء أكان الاسم ظاهراً أو ضميراً، تَعدّد مرّة بعد أخرى بغير فائدة ـ كقوله:

إنّـي وأسـطـارٍ سُـطِـرنَ سَـطْـراً ... لَـقـائـلٌ يـا نـصـرُ نـصـرُ نـصـرَا

وكقول المتنبي:

أقِلْ أنِلْ أقطعْ احملْ علّ سلِّ أعِدْ ... زِدْ هَشّ بَشّ تفضّلْ أدِنِ سُرَّصِلِ

= الشاعر قد طوى وحذف جميع هذه الوسائط فأورث بطء الانتقال من المعنى الأصلي الحقيقي إلى المعنى المراد ـ وخالف حينئذٍ أسلوب البلغاء، فنشأ من ذلك التعقيد المعنوي. واعلم أن الشاعر أراد أن يرضى بالبعد والفراق، ويعوّد نفسه على مقاساة الأحزان والأشواق، ويتحمّل من أجلها حزناً يفيض من عينيه الدموع ليتوصّل بذلك إلى وصل يدوم ومسرة لا تزول ـ على حد قول الشاعر:

ولطالما اخترتُ الفراق مغالطاً ... واحتلت في استثمار غرس ودادي

ورغبت عن ذكر الوصال لأنها ... تبني الأمور على خلاف مرادي

(١) أي لبخيلة بالدموع.

(٢) المراد بالكثرة ههنا ما فوق الوحدة ـ فذكر الشيء ثانياً تكرار، وذكره ثالثاً كثرة، وإنما شرطت الكثرة لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة ـ وإلا لقبح التوكيد اللفظي.

---

[٥١] الخنساء: شاعرة مخضرمة، عاشت في الجاهلية والإسلام، رثت أخويها صخراً ومعاوية، واستشهد أبناؤها الأربعة في معركة القادسية فرثتهم توفيت (سنة ٦٤٥م).

[٥٢] أبو عطاء: هو أبو عطاء الهندي، واسمه: أفلح بن يسار توفي حوالي (سنة ٧٧٥م) من مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، وكان شاعراً شهيراً.

[٥٣] ابن هبيرة: هو أبو المثنى عمر، توفي (سنة ٧٢٨م) أحد قادة الأمويين، ولاه يزيد بن عبد الملك العراق وخراسان، وعزله هشام بن عبد الملك.

وكقول أبي تمَّام في المديح:

كـأنَّـه فـي اجـتـمـاع الـرُّوح فـيـه لَـهُ	فـي كـلِّ جـارحـةٍ مـن جـسـمِـهِ رُوحُ

السادس «تتابعُ الإضافات» كون الاسم مضافاً إِضافةً مُتداخلة غالباً، كقول ابن بابك[٥٤]:

حمامَةَ جَرعا حَومةِ الجَنْدَلِ اسجَعِي	فـأنـتِ بـمَـرْأى مِـنْ سُـعـادَ ومَـسْـمـعِ(١)

تطبيق

بيِّن العيوب التي أخلَّتْ بفصاحة الكلام فيما يأتي:

لَكَ الخيرُ غيري رامَ من غيرِك الغنى	وغـيـري بـغـيـر الـلَّاذقـيـة لاحـقُ

وأزْورُّ مَــنْ كــان لــه زائــراً	وعـافَ عـافـي الـعُـرف عِـرْفـانُـه(٢)

أنَّـى يـكـونُ أبـا الـبـرايـا آدمٌ	وأبـوكَ والـثَّـقـلَانِ أنـتَ مـحـمـدُ(٣)

ومن جاهـل بي وهُوَ يـجهَلُ جهلَه	ويَـجـهـل عِـلـمـي أنـه بـيَ جـاهـل

وقَلْقلت بالهمّ الذي قَلْقلَ الحَشا	قَـلَاقـلَ هـمٌّ كـلُّـهـنَّ قَـلَاقـلُ

ومـا مِـثـلـهُ فـي الـنَّـاس إلا مُـمَـلَّـكـاً	أبـو أمّـهِ حـيٌّ أبـوه يُـقـاربُـه(٤)

---

(١) ففيه إضافة حمامة إلى جرعا وهو تأنيث الأجرع وهو المكان ذو الحجارة السود أو مكان الرمل الذي لا ينبت شيئاً «وجرعا» مضاف إلى «حومة» وهي معظم الشيء «وحومة» مضاف إلى «الجندل» بسكون النون وهو الحجر، والمراد به هنا مكان الحجارة، فهو بمعنى الجندل بفتح النون وكسر الدال ـ وقوله:

فـأنـت بـمـرأى مـن سـعـاد ومـسـمـع

أي أنت بحيث تراك سعاد وتسمع كلامك ـ يقول: اسجعي يا حمامة أرض قفرة سبخة، فإن سعاد تراك وتسمعك.

(٢) العيب في تنافر الكلمات. والمعنى انحرف عنه من كان يزوره وكره طالب الإحسان معرفته.

(٣) يريد كيف يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان أي الإنس والجن، يعني أنه قد جمع ما في الخليقة من الفضل والكمال ـ وقد فصل بين المبتدأ والخبر وهما أبوك محمد، وقدم الخبر على المبتدأ تقديماً قد يدعو إلى اللّبس في قوله «والثقلان وأنت» على أنه بعد هذا التعسف لم يسلم كلامه من سخف وهذر.

(٤) يريد وما مثله في الناس حيّ «أحد» يقاربه «يشابهه» إلا مملكاً، أبو أمه أبوه ـ فقدَّم المستثنى على المستثنى منه ـ وفصل بين مثل وحي وهما بدل ومبدل منه وبين أبو أمه وأبوه وهما مبتدأ وخبر ـ وبين حي ويقاربه وهما نعت ومنعوت ولا يفصل بين كل منهما بأجنبي. والمعنى: =

---

[٥٤] ابن بابك: هو عبد الصمد بن منصور البغدادي.

إلـى مَـلـكٍ مـا أمُّـهُ مِـنْ مُـحـارِب ... أبـوه ولا كـانـت كُـلَـيـبٌ تـصـاهِـرهْ[١]

لـيـسَ إلَّاكَ يـا عـلـيُّ هُـمـامٌ ... سَـيْـفُـه دُونَ عِـرْضِـه مـسْـلـولُ[٢]

كَسَا حِلمهُ ذا الحلم أثوابَ سُؤدُد ... ورقَّى نـداهُ النَّدَى في ذُرا المجد[٣]

من يهتدِي في الفِعلَ ما لا يهتدي ... في القول حتَّى يَفعل الشعَرَاءُ[٤]

جزَى بنوه أبا الغَيْلَان عنْ كِبر ... وحُسْن فعلٍ كما جُوزي سِنِمَّار[٥]

وما من فتَى كنَّا من النَّاس واحداً ... به نَبتغي منهم عَدِيلاً نُبادِلهْ[٦]

لمَّا رأى طالبوه مُصعباً ذُعِرُوا ... وكاد لو ساعدَ المقدورُ يَنتَصرُ

نشر الملِكُ ألسنتَه في المدينة. . مُرِيداً جواسيسَه. أي والصّواب «نشر الملك عيونه»[٧].

لو كنت كنتَ كتمتَ السِّر كنت كما ... كنَّا وكنتَ ولكنْ ذَاكَ لم يكنِ

ألَا لَيتَ شِعْرِي هل يَلومنَّ قومُه ... زُهيراً على ما جَرَّ من كلِّ جانِب

دانٍ بعيدٍ محبّ مبغِض بَهِج ... أغرّ حُلوٍ مُمِرٍ ليِّنٍ شَرِسِ[٨]

لأنت أسودُ في عيني من الظُّلَمِ[٩]

= وليس مثل إبراهيم في الناس أحد يشبهه في الفضائل إلا ابن أخته هشام ـ فضمير أمه عائد على المملّك وضمير أبوه عائد على إبراهيم الخال[٥٥].

(١) يريد إلى ملك أبوه وليست أمه من محارب ـ أي ما أمه منهم.

(٢) فيه ضعف تأليف حيث وضع الضمير المتصل بعد إلّا وحقه وضع المنفصل (إياك).

(٣) أي من كان ديدنه الحلم والكرم حاز السيادة والرفعة ـ فالضمير في حلمه لذا الحلم المذكور بعد ـ فهو المتأخر لفظاً ومعنى وحكماً ـ وكذا الضمير في نداه لذا الندى.

(٤) أي يهتدي في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول حتى يفعل.

(٥) العيب فيه من جهة أن ضمير بنوه عائد على أبا الغيلان وهو متأخر لفظاً ورتبة لأنه مفعول ورتبته التأخر عن الفاعل: وسنمار رجل رومي بنى قصر الخورنق بظهر الكوفة للنعمان بن امرىء القيس ملك الحيرة فلما فرغ منه ألقاه النعمان من أعلاه فخرّ ميتاً لئلا يبني لغيره مثله.

(٦) أي وما من فتى من الناس كنّا نبتغي واحداً منهم عديلاً نبادله به.

(٧) لأن الذي يتوصّل به إلى الأخبار عادة إنما هو العيون لا الألسنة.

(٨) فيه توالي الصفات وذلك مما يحدث في الكلام ثقلاً: وهذا مما يؤخذ على المتنبي.

(٩) والقياس أشد سواداً لأنه لا يبنى أفعل التفضيل من الأفعال الدالّة على الألوان.

---

[٥٥] للفرزدق في مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، خال هشام بن عبد الملك بن مروان.

وتُسْعِدني في غَمْرَةٍ بعدَ غمرَةٍ ... سبوحٌ لها منها عليها شواهدُ[1]

وليست خراسانُ التي كان خالدٌ ... بها أسدٍ إذْ كان سيفاً أميرها[2]

والشَّمسُ طالعةٌ ليستْ بكاسفةٍ ... تبكي عليك نُجومَ الليل والقمرا[3]

أرضٌ لها شَرَفٌ سِوَاها مِثلها ... لو كان مِثلك في سِواها يوجَدُ

والمجدُ لا يَرْضى بأنْ ترضى بأن ... يرْضى المعاشر منك إلَّا بالرّضا

في رفع عَرْش الشَّرْ ... ع مثلك يَشرعُ

ومن لم يذُدْ عن حوْضه بسلاحه ... يُهَدَّمْ ومنْ لم يَظْلم الناس يُظلَم[4]

فأصبحتْ بعد خَطَّ بَهْجَتِها ... كأنَّ قَفراً رُسُومَها قَلَما[5]

وما أرْضَى لمُقلتِهِ بحلم ... إذا انتبهتْ توهمَّه ابتِشاكا[6]

فصاحة المتكلم

فصاحة المُتكلّم عبارةٌ عن المَلَكة[7] التي يَقْتَدِر بها صاحبها على

---

(١) معنى البيت: وتسعدني بالفوز بالغنائم والنجاة في شدّة بعد شدّة فرس سبوح أي حسنة العدو لا تتعب راكبها فكأنها تسبح على الماء.

(٢) خالد وأسد علمان والتعقيد فيه نشأ من تقديم أسد الذي هو جزء مما أضيف إليه إذ.

(٣) أي والشمس ليست بكاسفة نجوم الليل وهي تبكي عليك والقمر يبكي عليك أيضاً ففيه تعقيد نشأ من الفصل بين الصفة التي هي كاسفة ومفعولها الذي هو نجوم بجملة «تبكي عليك».

(٤) فيه تعقيد معنوي. حيث كنَّى بالظلم عن المحافظة على الحقوق وهو بعيد.

(٥) أي فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قَلَماً خطّ رسومها.

(٦) المقلة: العين والحلم: الرؤيا التي يراها النائم، وابتشاك: الكذب. قال الصاحب لم يسمع الابتشاك في شعر قديم ولا محدث.

(٧) أي كيفية وصِفَةٌ من العلم راسخة وثابتة في نفس صاحبها يكون قادراً بها على أن يعبّر عن كل ما قصده من أيّ نوع من المعاني كالمدح والذم والرثاء وغير ذلك بكلام فصيح. فإذاً المدار على الاقتدار المذكور سواء وجد التعبير أو لم يوجد، وأنّ من قدر على تأليف كلام فصيح في نوع واحد منَ تلك المعاني لم يكن فصيحاً ـ وأنه لا يكون فصيحاً إلا إذا كان ذا صفة من العلم راسخة فيه وهي المسمّاة «بالملكة» يقتدر بها على أن يعبّر عن أيّ معنى قصده بكلام فصيح أي خال عن الخلل في مادته «وذلك بعدم تنافر كلماته» وعن الخلل في تأليفه «وذلك بعدم ضعف تأليفه» وعن الخلل في دلالته على المعنى التركيبي «وذلك بعدم التعقيد اللفظي والمعنوي» فإن كان شاعراً اتّسع أمامه ميدان القول في جميع فنون الشعر من نسيب وتشبيب ومديح وهجاء ووصف ورثاء وعتاب واعتذار وأشباه ذلك ـ وإن كان ناثراً حاك الرسائل المحلاّة والخطب الممتعة الموشاة في الوعظ والإرشاد والحفل والأعياد.

التَّعبير عن المقصُودِ بكلام فصيح في أيِّ غرضٍ كان.

فيكون قادراً بصفة الفصاحة الثّابتة في نفسه على صياغة الكلام مُتمكِّناً من التّصرف في ضروبه. بصيراً بالخوض في جهاته ومناحيه.

أسئلة على الفصاحة يطلب أجوبتها

ما هي الفصاحة لغة واصطلاحاً؟ ـ ما الذي يوصف بالفصاحة ثم تخرج الكلمة عن كونها فصيحة.

ما هي فصاحة المفرد؟. ـ ما هو تنافر الحروف، وإلى كم ينقسم؟.. ما هي الغرابة وما موجبها؟ ما هي مخالفة القياس؟ ما هي الكراهة في السمع؟ ما هي فصاحة الكلام وبما تتحقق؟. ـ ما هو تنافر الكلمات. وما موجبه وإلى كم يتنوَّع؟ ما هو ضعف التأليف؟ ـ ما هو التعقيد؟. ـ وإلى كم ينقسم؟ ما هي كثرة التكرار؟. ـ ما هو تتابع الإضافات؟. ـ ما هي فصاحة المتكلم؟

البلاغة

البلاغة في اللغة الوُصول والانْتِهاء، يقال بلغ فلان مراده ـ إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة ـ إذا انتهى إليها[1] ومَبلَغ الشّيءِ منتهاه. وتقع في الاصطلاح وصفا للكلام والمتكلم فقط دون الكلمة لعدم السّماع.

بلاغة الكلام

البلاغة في الكلام مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب[2] مع فصاحة ألفاظه «مفردها ومركبها».

---

(١) البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلّاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون والبلاغة مأخوذة من قولهم. بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته ـ فسمّيت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه. وسمّيت البلغة بلغة لأنك تتبلّغ بها فتنتهي بك إلى ما فوقها ـ وهي البلاغة أيضاً. ويقال: الدنيا بلاغ، لأنها تؤديك إلى الآخرة والبلاغ أيضاً التبليغ ـ ومنه: هذا بلاغ للناس، أي تبليغ، ويقال بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً، كما يقال نبل الرجل نبالة إذا صار نبيلاً. قال أعرابي: البلاغة التقرب من البعيد، والتّباعد من الكلفة، والدّلالة بقليل على كثير، وقال عبد الحميد بن يحيى: البلاغة تقرير المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام، وقال ابن المعتز: البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام، وقال العتابي: البلاغة مدّ الكلام بمعانيه إذا قصر. وحسن التأليف إذا طال، وقال عبد الله بن المقفع: البلاغة لمعان تجري في وجوه كثيرة ـ فمنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون سجعاً، ومنها ما يكون خطباً، ومنها ما يكون رسائل. فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ، والإيجاز هو البلاغة. فالسكوت يسمى بلاغة مجازاً وهي في حالة لا ينجع فيها القول ولا ينفع فيها إقامة الحجج، إمّا عند جاهل لا يفهم الخطاب، أو عند وضيع لا يرهب الجواب، أو ظالم سليط يحكم بالهوى ولا يرتدع بكلمة التقوى. وإذا كان الكلام يعرى من الخير أو يجلب الشر فالسكوت أولى.

(٢) مقتضى الحال هو ما يدعو إليه الأمر الواقع. أي ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب =

وحال الخطاب «ويسمى بالمقام» هو الأمر الحامل للمتكلِّم على أن يُوردَ عبارتَه على صورة مخصوصة.

والمُقْتَضَى «ويسمّى الاعتبارُ المناسب» هو الصُّورة المخصوصة التي تُورَدُ عليها العبارة.

مثلاً ـ المدح ـ حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإِطناب، وذكاء المخاطب ـ حال يدعو لإِيرادها على صورة الإِيجاز، فكلٌّ من المدح والذَّكاء «حال ومقام»، وكلٌّ من الإِطناب والإِيجاز «مُقتضَى»، وإيراد الكلام عل صورة الإِطناب[1] أو الإيجاز «مُطابقة للمقتضَى» وليست البلاغة[2] إذاً مُنحصرة في إيجاد

= من التكلم على وجه مخصوص، ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين، واعتبار طبقاتهم في البلاغة وقوتهم في البيان والمنطق، فللسوقة كلام لا يصلح غيره في موضعه والغرض الذي يبنى له، ولسراة القوم والأمراء فن آخر لا يسدّ مسده سواه، من أجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت الاعتبارات والمقتضيات. وبقدر رعايتها يرتفع شأن الكلام في الحسن والقبح ويرتقي صعداً إلى حيث تنقطع الأطماع، وتخور القوى، ويعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وتلك مرتبة الإعجاز التي تخرس عندها ألسن الفصحاء لو تاقت إلى العبارة. وقد عرف بالخبر المتواتر أن القرآن الكريم نزل في أرقى العصور فصاحة، وأجملها بلاغة. ولكنه سدّ السّبل أمام العرب عند ما صاح عليهم صيحة الحق فوجفت قلوبهم وخرست شقاشقهم مع طول التّحدّي وشدّ النكير، وحقّت للكتاب العزيز الكلمة العليا.

(١) فإن اختلاف هذه الظروف يقتضي هيئة خصوصية من التعبير ـ ولكل مقام مقال، فعلى المتكلم ملاحظة المقام أو الحال وهو الأمر الذي يدعوه إلى أن يورد كلامه على صورة خاصة تشاكل غرضه وتلك الصورة الخاصة التي يورد عليها تسمى المقتضى ـ أو الاعتبار المناسب، فمثلاً الوعيد والزجر والتهديد مقام يقتضي كون الكلام المورد فيه فخماً جزلاً. والبشارة بالوعد واستجلاب المودة مقام يتطلبه رقيق الكلام ولطيفه. والوعظ مقام يوجب البسط والإطناب. وكون المخاطب عامياً سوقياً أو أميراً شريفاً يوجب الإتيان بما يناسب بيانه وعقله.

(٢) لأن البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن ـ وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطاً في البلاغة، لأن الكلام إذا كانت عبارته رثّة ومعرضه خَلِقاً لم يُسَمَّ بليغاً وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى.

فعناصر البلاغة إذاً لفظ ومعنى، وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثيراً وحسناً، ثم دقّة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال السامعين والنزعة النفسية التي تتملكهم وتسيطر على نفوسهم، فربّ كلمة حسنت في موطن ثم كانت مستكرهة في غيره ـ ورب كلام كان في نفسه حسناً خلّاباً حتى إذا جاء في غير مكانه وسقط في غير مسقطه خرج عن حدّ البلاغة وكان غرضاً لسهام الناقدين.

معان جليلة ولا في اختيار ألفاظ واضحة، بل هي تتناول مع هذين الأمرين أمراً ثالثاً (هو إيجاد أساليب مناسبة للتأليف بين تلك المعاني والألفاظ مما يكسبها قوة وجمالاً».

بلاغة المتكلم

بلاغة المتكلّم هي مَلَكة في النَّفس[1] يقتدر صاحبها بها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضَى الحال مع فصاحته في أيِّ معنى قَصَدَه.

وتلك غاية لن يصل إليها إلَّا من أحاط بأساليب العرب خُبراً وعرف سُنن تخاطُبهم في مُنافراتهم، ومفاخراتهم، ومديحهم، وهجائهم، وشكرهم واعتذارهم، لِيَلبس لكلّ حالة لبُوسها «ولكلّ مقام مقال».

تمرين

بيّن الحال ومقتضاه فيما يلي:

هـنَـاء مـحَـاذاك الـعـزاء الـمـقـدَّمـا فـمـا عـبس الـمحـزونُ حـتـى تـبـسَّـمـا[2]

---

(١) أي أن الهيئة والصفة الراسخة الثابتة في نفس المتكلم يمكنه بواسطتها أن يعبّر عن المعاني التي يريد إفادتها لغيره بعبارات بليغة أي مطابقة لحال الخطاب، فلو لم يكن ذا ملكة يقتدر بها على التصرف في أغراض الكلام وفنونه بقول رائع، وبيان بديع بالغاً من مخاطبه كل ما يريد، لم يكن بليغاً ـ وإذاً لا بدّ للبليغ أولاً من التفكير في المعاني التي تجيش في نفسه، وهذه يجب أن تكون صادقة ذات قيمة وقوة يظهر فيها أثر الابتكار وسلامة النظر وذوق تنسيق المعاني وحسن ترتيبها، فإذا تم له ذلك عمد إلى الألفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة فألّف بينها تأليفاً يكسبها جمالاً وقوة.

فالبلاغة ليست في اللفظ وحده وليست في المعنى وحده ولكنها أثر لازم لسلامة تألّف هذين وحسن انسجامهما. وقد علم أن البلاغة أخص والفصاحة أعم لأنها مأخوذة في تعريف البلاغة، وأن البلاغة يتوقف حصولها على أمرين، الأول: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المقصود، والثاني: تمييز الكلام الفصيح من غيره، لهذا كان للبلاغة درجات متفاوتة تعلو وتسفل في الكلام بنسبة ما تراعى فيه مقتضيات الحال وعلى مقدار جودة ما يستعمل فيه من الأساليب في التعبير والصور البيانية والمحسنات البديعية. وأعلى تلك الدرجات ما يقرب من حدّ الإعجاز، وأسفلها ما إذا غيّر الكلام عنه إلى ما هو دون، التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات العُجْم وإن كان صحيح الإعراب وبين هذين الطرفين مراتب عديدة.

(٢) ١ ـ الحال هنا هو تعجيل المسرة ـ والمقتضى هو تقديم الكلمة الدالة على السرور ـ «وهي كلمة هناء».

تقول للرّاضي عن إثارة الحروب (إن الحرب مُتْلِفةٌ للعباد ذهّابَةٌ بالطّارف والتّلاد)[1].

يقول الناس إذا رأوا لصًّا أو حريقاً (لِصٌّ ـ حريق)[2].

قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠][3].

يقول راثي البرامِكَة[4]:

أُصِبْتُ بسَادةٍ كانوا عيوناً بهم نَسْقي إذا انقطع الغَمامُ

ملاحظات

١ ـ التّنافر يُعرف بالذّوق[5] ـ السّليم؛ والحِسّ الصّادق.

٢ ـ مُخالفة القياس تُعرف بعلم الصَّرف.

٣ ـ ضعف التّأليف والتّعقيد اللّفظي يُعرفان بعلم النحو.

٤ ـ الغرَابة تُعرف بكثرة الاطّلاع على كلام العرب، والإحاطة بالمفردات المأنوسة.

---

(١) ٢ ـ الحال هنا هو إنكار الضرر من الحرب ـ والمقتضى هو توكيد الكلام.

(٢) ٣ ـ الحال هنا هو ضيق المقام ـ والمقتضى هو الاختصار بحذف المسند إليه والتقدير. هذا لص. هذا حريق.

(٣) ٤ ـ الحال في (أشرّ أريد) هو عدم نسبة الشر إلى الله تعالى، والمقتضى هو حذف الفاعل إذ الأصل: أشر أراده الله بمن في الأرض.
والحال في (أم أراد بهم رشداً) هو نسبة الخير إلى الله تعالى. والمقتضى إبقاء الفاعل من غير حذف.

(٤) الحال هنا هو الخوف من الرشيد ناكب البرامكة والمقتضى حذف الفاعل من أُصِبْتُ.

(٥) الذوق في اللغة الحاسة يدرك بها طعم المأكل، وفي الاصطلاح قوة غريزية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية، وتحصل بالمثابرة على الدرس، وممارسة كلام أئمة الكتاب، وتكراره على السمع، والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه ـ وأيضاً تحصل بتنزيه العقل والقلب عما يفسد الآداب والأخلاق فإن ذلك من أقوى أسباب سلامة الذوق. واعلم أن الذوق السليم هو العمدة في معرفة حسن الكلمات وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه لأن الألفاظ أصوات، فالذي يطرب لصوت البلبل وينفر من صوت البوم والغربان ينبو سمعه عن الكلمة إذا كانت غريبة متنافرة الحروف ـ ألا ترى أن كلمتي المزنة والدّيمة (للسحابة الممطرة) كلتاهما سهلة عذبة يسكن إليها السمع، بخلاف كلمة البُعَاق التي في معناهما فإنها قبيحة تصكّ الأذن وأمثال ذلك كثير في مفردات اللغة تستطيع أن تدركه بذوقك، وقد سبق شرح ذلك.

٥ ـ التّعقيد المعنوي يُعرف بعلم البيان.

٦ ـ الأحوال ومُقتضياتها تُعرف بعلم المعاني.

٧ ـ خلوّ الكلام من أوجه التّحسين التي تكسوه رِقّة ولَطافةً بَعْدَ رِعَايَةِ مُطابقته تُعرف بعلم البديع.

فإذاً وجب على طالب البلاغة معرفةُ اللُّغة والصَّرف والنّحو والمعاني والبيان والبديع، مع كونه سليمَ الذّوق كثيرَ الاطّلاع على كلام العرب وصاحبَ خِبرة وافرة بكُتُب الأدب، ودِرَايةٍ تامّة بعاداتهم وأحوالهم واستظهَارٍ للجيّد الفاخر مِن نَثرهم ونظمهم، وعلم كامل بالنّابغِين من شُعراء وخطباء وكتّاب مِمّن لَهم الأثر البيِّن في اللّغة، والفضلُ الأكبرُ على اللّسان العربي المبين.

واعلم أنه يحسن أيضاً بطالب البلاغة أن يَعْرِف شيئاً عن الأسلوب الذي هو المعنَى الْمَصُوغُ في ألفاظ مُؤَلّفة على صورة تكون أقربَ لنيْل الغرض المقصود من الكلام، وأفعل في نفوس سامعيه، وأنواع الأساليب ثلاثة:

١ ـ **الأسلوب العلمي**: وهو أَهْدَأُ الأساليب، وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السليم والفكرِ المستقيم، وأبعدُها عن الخيال الشِّعْرِيّ. لأنه يخاطب العقل ويناجي الفكر ويَشْرَح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض وخفاء؛ وأَظْهَرُ ميزات هذا الأسلوبِ الوُضُوح. ولا بدّ أن يبدوَ فيه أثر القوة والجمال، وقوّته في سطوع بيانه ورصانةِ حُججه؛ وجَمَاله في سُهُولةِ عبارته، وسلامةِ الذّوق في اختيار كلماته، وحسنِ تقريره المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام.

فيجب أن يُعْنَى فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصّريحة في معناها الخالية من الاشتراك، وأن تُؤَلَّف هذه الألفاظُ في سُهولة وجلاء، حتى تكون ثَوباً شفَّافاً للمعنى المقصود، وحتى لا تُصْبح مَثَاراً للظّنون ومجالاً للتّوجيه والتّأويل.

ويحسن التَّنَحّي عن المجاز ومُحَسِّنات البديع في هذا الأسلوب، إلَّا ما يجيء من ذلك عفواً من غير أن يَمَسَّ أصلاً من أصوله أو ميزة من ميزاته أمّا التشبيه الذي يقصد به تقريب الحقائق إلى الأفهام وتوضيحها بذكر مماثلها، فهو في هذا الأسلوب حسن مقبول.

٢ ـ **الأسلوب الأدبي**: والجمال أَبرزُ صفاته، وأظهر مُمَيِّزاته، ومَنْشَأُ جماله ما فيه من خيال رائع، وتَصْوير دقيق، وتَلَمُّس لوجوه الشّبه البعيدة بين الأشياء، وإلباس المعنَوِيِّ ثوبَ المحسوس، وإظهار المحسوس في صورة المعنويّ.

هَذَا ومن السَّهْلِ عليك أن تَعْرِف أن الشّعر والنثر الفَنِّيَّ هما مَوْطِنا هذا

الأسلوب، ففيهما يَزْدَهِر، وفيهما يبلغ قُنَّةَ[٥٦] الفَنّ والجمال.

٣ ـ **الأسلوب الخطابي**: هنا تَبْرُزُ قوة المعاني والألفاظ، وقوّة الحجّة والبرهان، وقوة العقل الخصيب، وهنا يتحدّث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم واستنهاض هممهم، ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه شأن كبير في تأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس، وممّا يزيد في تأثير هذا الأسلوب منزلة الخطيب في نفوس سامعيه وقوةُ عارضته، وسطوعُ حُجَّته ونَبَرَاتُ صوته، وحسنُ إلقائه، ومُحْكَمُ إشاراته.

ومن أظهر مُمَيزات هذا الأسلوب التكرارُ، واستعمال المترادفات وضربُ الأمثال، واختيار الكلمات الجزلة ذات الرنين، ويحسن فيه أن تتعاقب ضروب التّعبير من إخبار، إلى استفهام، إلى تعجب، إلى استنكار وأن تكون مواطن الوقف كافية شافية، ثم واضحاً قوّياً، ويظنّ النّاشؤون في صناعة الأدب أنه كلّما كثر المجاز، وكثرت التّشبيهات والأخيلة في هذا الأسلوب زاد حسنه، وهذا خطأٌ بيِّن، فإنه لا يذهب بجمال هذا الأسلوب أكثرُ من التكلّف، ولا يُفْسِده شَرٌّ مِنْ تَعَمُّدالصّناعة.

---

[٥٦] قنة: قنة كل شيء أعلاه.

علم المعاني

١ ـ علم المعاني[١] أصول وقَوَاعِدُ يُعرف بها كيفيّةُ مُطابقة الكلام لِمقتضى الحال[٢] بحيث يكون وِفقَ الغَرَضِ الذي سِيقَ له.

٢ ـ وموضوعه: اللَّفظُ العربي، من حيثُ إفادتُه المَعاني الثَّواني[٣] التي هي

---

(١) قال بعض العلماء: المعاني المتصورة في عقول الناس، المتصلة بخواطرهم، خفية بعيدة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه، ولا مراد شريكه، ولا المعاون له على أمره، إلّا بالتّعابير التي تقُرِّبها من الفهم، وتجعل الخفي منها ظاهراً والبعيد قريباً فهي تخلص الملتبس، وتحلّ المنعقد، وتجعل المهمل مقيداً، والمقيد مطلقاً، والمجهول معروفاً، والوحشي مألوفاً. وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة يكون ظهور المعنى، والعاقل يكسو المعاني في قلبه، ثم يبديها بألفاظ عرائس في أحسن زينة، فينال المجد والفخار، ويلحظ بعين العظمة والاعتبار. والجاهل يستعجل في إظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها فيكون بالذم موصوفاً، وبالنقص معروفاً ويسقط من أعين السامعين، ولا يدرج في سلك العارفين واعلم أن الأصل في اللفظ أن يحمل على ظاهر معناه، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كما جاء في القرآن «وثيابَك فطهر» فإن الظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس ومن تأوّل ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس، وهذا لا بُدَّ له من دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ.

واعلم أنه يجب صناعة، على مُعاني المَعاني أن يرجّح المعاني بحيث يرجّح بين حقيقة ومجاز ـ أو بين حقيقتين أو مجازين.

(٢) الحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى إيراد خصوصية في الكلام، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال، مثلاً: إن كان بينك وبين مخاطبك عهد بشيء ـ فالعهد حال يقتضي إيراد الكلام معرّفاً والتّعريف هو مقتضى الحال، فالحال هو ما بعد لام التعليل المذكورة بعد كل خصوصية كقولك في الذكر: ذكر لكون ذكره الأصل وفي الحذف: حُذف للاستغناء عنه ـ وهلمّ جرا.

(٣) أي والمعاني الأُوَل ما يفهم من اللفظ بحسب التركيب وهو أصل المعنى مع زيادة الخصوصيات من التعريف والتنكير، قال بعض أهل المعاني الكلام الذي يوصف بالبلاغة هو الذي يدل بلفظه على معناه اللغوي أو العرفي أو الشرعي، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المعنى المقصود الذي يريد المتكلم إثباته أو نفيه، فهناك ألفاظ ومعان أُوَل ـ ومعان ثوان ـ فالمعاني الأُوَل هي مدلولات التراكيب والألفاظ التي تسمّى في علم النحو أصل المعنى، =

الأغراضُ المقصودةُ لِلمُتكلّم من جعل الكلامِ مُشتملاً على تلك اللّطائف والخُصوصيّات التي بها يُطابقُ مقتضَى الحال.

٣ ـ وفائدته: إعجازُ القرآن الكريم من جهة مَا خصّه الله به من جَودة السّبك وحُسن الوصف وبَراعةِ التّراكيب ولُطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سُهولة التركيب، وجزالةِ كلماته، وعُذوبةِ ألفاظه وسلامتِها إلى غير ذلك من محَاسنه التي أقعدت العربَ عن مُناهضته، وحارت عقولهُم أمام فصاحته وبلاغته.

ب ـ والوقوفُ على أسرار البلاغة والفصاحة في مَنثور كلام العرب ومنظومه كي تحتذيَ حذوه، وتنسُجَ على مِنواله، وتَفرقَ بين جيّد الكلام ورَديئهِ.

٤ ـ وواضعه: الشيخ عبد القاهر الجُرجاني المُتوفَّى سنة ٤٧١هـ(١).

= والمعاني الثواني الأغراض التي يساق لها الكلام ولذا قيل مقتضى الحال هو المعنى الثاني كردّ الإنكار ودفع الشك ـ مثلاً إذا قلنا إن زيداً قائم، فالمعنى الأول هو القيام المؤكد، والمعنى الثاني رد الإنكار ودفع الشك بالتوكيد وهلم جرا ـ والذي يدل على المعاني خمسة أشياء اللفظ والإشارة والكتابة والعُقَد والحال.

(١) اعلم أنه لمّا احتدم الجدل صدر الدولة العباسية إبّان زهو اللغة وعزّها، في بيان وجوه إعجاز القرآن. وتعددت نزعات العلماء في ذلك، ولما قامت سوق نافقة للمناظرة بين أئمة اللغة والنحو أنصار الشعر القديم الذين جنحوا إلى المحافظة على أساليب العرب ورأوا الخير كله في الوقوف عند أوضاعهم وبين الأدباء والشعراء أنصار الشعر الحديث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم، وآمنوا بأن للحضارة التي غذوا بلِبَانها آثاراً غَدَوْا معها في حِلٍّ من كل قديم، ولما شجر الخلاف بين أساطين الأدب في بيان جيِّد الكلام ورديئه، دعت هذه البواعث ولفتت أنظار العلماء إلى وضع قواعد وضوابط يتحاكم إليها الباحثون، وتكون دستوراً للناظرين في آداب العرب (المنثور منها والمنظوم)، ولا نعلم أحداً سبق أبا عبيدة بن المثنّى[٥٧] المتوفى سنة ٢١١هـ تلميذ الخليل بن أحمد في تدوين كتاب في علم البيان يسمى (مجاز القرآن) كما لا نعرف بالضبط أول من ألف في علم المعاني ـ وإنما أثر فيه نُبَذ عن بعض البلغاء كالجاحظ[٥٨] في كتابه «إعجاز القرآن» وابن قُتيبة[٥٩] في كتابه «الشعر والشعراء» ـ والمبرد[٦٠] في كتابه «الكامل». =

---

[٥٧] أبو عبيدة معمر بن المثنى (٧٢٨ ـ ٨٢٣م) عالم باللغة والشعر من كتبه: كتاب الخيل، ونقائض جرير والفرزدق.

[٥٨] الجاحظ: عمرو بن بحر (٧٧٥ ـ ٨٦٨م)، من أئمة الأدب العباسي، له: الحيوان، والبيان والتبيين، والبخلاء، والتاج، يتميز أسلوبه بالعمق والدُّعابة في آن معاً، نسبت إليه فرقة الجاحظية من المعتزلة.

[٥٩] ابن قتيبة: عبد الله (٨٢٨ ـ ٨٨٩م) فقيه ومحدّث وأديب، من كتبه: الشعر والشعراء، وأدب الكاتب، وعيون الأخبار، وكتاب المعارف.

[٦٠] المبرّد: أبو العباس (٨٢٦ ـ ٨٩٨م)، أديب ونحوي، تلميذ المازني والسجستاني، وممثل مذهب =

٥ ـ واستمداده: من الكتاب الشَّريف والحديث النَّبوي وكلام العرب، واعلم أنّ المَعانيَ جمعُ معنى؛ وهو في اللّغة المقصود، وفي اصطلاح البيانيِّين: هو التّعبير باللَّفظِ عمّا يتصورَّه الذّهن، أو هو الصُّورة الذِّهْنِيّة من حيثُ تُقصَدُ مِن اللّفظ.

وهو يَترَكّبُ منْ شَيئين. مُسندٍ ـ ويُسمّى «محكوماً به» ومُسندٍ إليه، ويُسمّى «محكوماً عليه».

وأمّا النِّسبة التي بينهما فَتُدْعَى «إسْناداً».

وما زاد على ذلك «غير المُضاف إليه والصلة»، فهو قَيدٌ(١).

= ولكن نعلم أن أول من ألف في البديع «الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي المتوفى سنة ٢٩٦هـ»[٦١].

وما زالت هذه العلوم تسير في طريق النموّ حتى نزل في الميدان الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ فشمّر عن ساعة الجد، ودوّن كتابيه ـ أسرار البلاغة ـ ودلائل الإعجاز ـ وقرن فيهما بين العلم والعمل، ثم جاء إثرَ عبد القاهر ـ جار الله الزمخشري[٦٢]، فكشف في تفسيره «الكشّاف» عن وجوه إعجاز القرآن، وأسرار بلاغته، وأوضح ما فيه من الخصائص والمزايا، وقد أبان خلالها كثيراً من قواعد هذه الفنون ـ ثم نهض بعده أبو يعقوب يوسف السكّاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ[٦٣] فجمع في القسم الثالث من كتابه «المفتاح» ما لا مزيد عليه، وجاء بعده علماء القرن السابع فما بعده يختصرون ويضعون مؤلفاتهم حسب ما تسمح به مناهج التعليم للمتعلمين في كل قطر من الأقطار حتى غدت أشبه بالمعمّيات والألغاز.

(١) أي وما زاد على ذلك من مفعول وحال وتمييز ونحوها فهو قيد زائد على تكوينها إلا صلة الموصول والمضاف إليه واعلم أن الجمل ليست في مستوى واحد عند أهل المعاني بل منها جمل رئيسية، وجمل غير رئيسية، والأولى هي المستقلة التي لم تكن قيداً في غيرها، والثانية ما كانت قيداً إعتبارياً في غيرها وليست مستقلة بنفسها.

والقيود هي أدوات الشرط والنفي والتوابع والمفاعيل والحال والتمييز وكان وأخواتها وإنَّ وأخواتها وظنَّ وأخواتها كما سيأتي.

= البصرة في النحو أمام خصمه ثعلب ممثل مذهب الكوفة، علَّم في بغداد.

[٦١] ابن المعتز: أبو العباس عبد الله (٨٦١ ـ ٩٠٨م) لقب بالمرتضي بالله، ولي الخلافة يوماً وبعض يوم، له ديوان شعر، وكتاب: البديع، وكتاب: طبقات الشعراء.

[٦٢] جار الله الزمخشري: أبو القاسم محمود (١٠٧٥ ـ ١١٤٤م) جاور بمكة زمناً، وكان عالماً بالنحو واللغة والتفسير، من كتبه: الكشاف، وأساس البلاغة، وغريب الحديث.

[٦٣] السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (١١٦٠ ـ ١٢٢٩م)، عالم في البلاغة، اشتهر بكتابه: مفتاح العلوم في اللغة والبيان.

والإسناد انضمام كلمةٍ[1] «المُسند» إلى أخرى[2] «المُسند إليه» على وجهٍ يُفيد

---

(١) أي وما يجري مجراها.

(٢) أي أو ما يجري مجراها ـ كما سيأتي. **تنبيه**: الإسناد مطلقاً قسمان حقيقة عقلية، ومجاز عقلي ـ فالحقيقة العقلية هي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما وضع له عند المتكلم في الظاهر من حاله نحو: تجري الأمور بما لا تشتهي البشر. وأنبت الله النبات. والمجاز العقلي ويسمى إسناداً مجازياً ومجازاً حكميًّا. ومجازاً في الإسناد هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد إلى ما هو له نحو ـ تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ـ وله علاقات شتى ـ فيلائم الفاعل لوقوعه منه نحو: سيلٌ مُفْعَم بفتح العين أي مملوء فإسناد مفعم وهو مبني للمفعول إلى ضمير السيل وهو فاعل مجاز عقلي ملابسته الفاعلية، ويلائم المفعول به لوقوعه عليه نحو: عيشة راضية، فإسناد راضية وهو مبني للفاعل إلى ضمير العيشة وهي مفعول به مجاز عقلي ملابسته المفعولية، ويلائم الزمان والمكان لوقوعه فيهما نحو: صام نهاره، وسال الميزاب، ونهار صائم، ونهر جار ويلائم المصدر نحو جدّ جدّه. ويلائم السبب نحو بنى الأمير المدينة. وكما يقع المجاز العقلي في الإسناد يقع في النسبة الإضافية كمكر الليل. وجري الأنهار وشقاق بَيْنَهِمَا، وغراب البين (على زعم العرب) وفي النسبة الإيقاعية نحو: وأطيعوا أمري ولا تطيعوا أمر المسرفين، وأجريت النهر، وكما يكون في الإثبات يكون في النفي نحو فما ربحت تجارتهم، وما نام ليلي على معنى خسرت تجارتهم، وسهر ليلي قصداً إلى إثبات النفي لا نفي الإثبات، ويكون أيضاً في الإنشاء كما سبقت الإشارة إليه نحو: أصلاتك تأمرك، ﴿**يا هامانُ ابنِ لي صَرْحاً**﴾ [غافر: ٣٦] وليصم نهارك، وليجد جدك وليت النهر جار وما أشبه ذلك وأقسامه باعتبار حقيقة طرفيه ومجازيتهما أربعة لأنهما أما حقيقتان لغويتان نحو: أنبت الربيع البقل، أو مجازان لغويان نحو: أحيا الأرض شباب الزمان، إذ المراد بإحياء الأرض تهييج القوى النّامية فيها وإحداث نضارتها بأنواع الرياحين، والإحياء في الحقيقة إعطاء الحياة وهي صفة تقتضي الحسّ والحركة وكذا المراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها النامية، وهو في الحقيقة عبارة عن كون الحيوان في زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة أي قوية مشتعلة، أو المسند حقيقة لغوية والمسند إليه مجازي لغوي نحو أنبت البقل شباب الزمان ـ أو المسند إليه حقيقة لغوية والمسند مجاز لغوي نحو أحيا الأرض الربيع. ووقوع المجاز العقلي في القرآن كثير نحو ما تقدم، ونحو: ﴿**وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُهُ زادتهم إيماناً**﴾ [الأنفال: ٢] ﴿**ويَنزعُ عنهُما لباسَهُما**﴾ [الأعراف: ٢٧] ﴿**وأخرجت الأرضُ أثقالَها**﴾ [الزلزلة: ٢] ﴿**فكيفَ تتقون إنْ كَفَرْتُمْ يوماً يجعلُ الولدانِ شِيبا**﴾ [المزمل: ١٧].

ولا بد من قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي لأن الفهم لولا القرينة يتبادر إلى الحقيقة، والقرينة إما لفظية وإما معنوية فاللفظية كقولك هزم الأمير الجند وهو في قصره والمعنوية كاستحالة قيام المسند بالمسند إليه المذكور معه عقلاً بمعنى أنه لو خلي العقل ونفسه عدّ ذلك القيام محالاً كقولك محبتك جاءت بي إليك، لاستحالة قيام المجيء بالمحبة عقلاً وكاستحالة ما ذكر عادة نحو هزم الأمير الجند لاستحالة قيام هزم الجند بالأمير وحده عادة =

الحكم بإحداهما على الأخرى ثبوتاً أو نفياً.

نحو: الله واحدٌ لا شريك له.

والمسند هو:

١ ـ خبر المبتدأ، نحو «قادرٌ» من قولك: اللّهُ قادرٌ.

٢ ـ والفعل التام، نحو «حضر» من قولك: حضر الأميرَ.

٣ ـ واسم الفعل، نحو: «هيهاتَ ـ وَوَيْ ـ وآمين».

٤ ـ والمبتدأ الوصفُ المُستغنِي عن الخبر بمرفوعه، نحو: «عارف» من قولك: أعارفٌ أخوك قدرَ الأنصاف.

٥ ـ وأخبار النّواسخ «كان ونظائرها ـ وإنّ ونظائرها».

٦ ـ والمفعول الثاني لظنّ وأخواتها.

= وإن أمكن عقلاً وكأن يصدر من الموحِّد نحو:

أشاب الصغيرَ وأفنى الكبيـ ـرَ كرُّ الغداة ومرُّ العشيّ[٦٤]

فإن صدور ذلك من الموحِّد قرينة معنوية على أن إسناد أشاب وأفنى إلى كر الغداة ومر العشي مجاز، ثم هذا غير داخل في الاستحالة إذ قد ذهب إليه كثير من المبطلين، ولا يجب أن يكون في المجاز العقلي للفعل فاعل يعرف الإسناد إليه حقيقة بل تارة يكون له فاعل يعرف إسناده إليه حقيقة كما تقدم وتارة لا ـ نحو قوله:

يزيدك وجهه حسناً إذا ما ازدته نظرا[٦٥]

فإن إسناد الزيادة للوجه مجاز عقلي وليس لها ـ أي الزيادة فاعل يكون الإسناد إليه معروفاً حقيقة، ومثله سرتني رؤيتك وأقدمني بَلَدكَ حق لي عليك فهذه الأمثلة ونحوها من المجاز العقلي الذي لا فاعل له يعرف الإسناد إليه حقيقة كما قال الشيخ عبد القاهر ـ وقيل لا بد له من فاعل يعرف الإسناد إليه حقيقة، ومعرفته إما ظاهرة نحو فما ربحت تجارتهم أي فما ربحوا في تجارتهم وإما خفية كهذه الأمثلة والفاعل الله تعالى، هذا ـ وقد أنكر السكّاكي المجاز العقلي ذاهباً إلى أن أمثلته السابقة ونحوها منتظمة في سلك الاستعارة بالكناية فنحو أنبت الربيع البقل يجعل الربيع استعارة عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه ويجعل نسبة الإنبات إليه قرينة الاستعارة ـ وسيأتي مذهبه إن شاء الله تعالى في فن البيان عند الكلام على الاستعارة بالكناية.

---

[٦٤] البيت لقُثم بن خبَّة المعروف بالصلتان العبدي وبعده:

فملتنا أننا مسلمون على دين صِدّيقنا والنبي

[٦٥] البيت لأبي نواس الحسن بن هانىء (٧٥٧ ـ ٨١٤م)، من كبار شعراء العصر العباسي، اشتهر بشعر الخمرة، والغزل بالغلمان، وله شعر في الزهد.

٧ ـ والمفعول الثالث لأرَى وأخواتها.
٨ ـ والمصدر النّائب عن فعل الأمر نحو «سعياً في الخير» والمسند إليه ـ هو:
١ ـ الفاعلُ «للفعل التامّ أو شبهه» نحو «فؤاد ـ وأبوه «من قولك حضر فؤادٌ العالمُ أبوه».
٢ ـ وأسماء النواسخ ـ نحو «المطرُ» من قولك ـ كان المطر غزيراً ـ أو إنَّ ـ نحو: إنّ المطرَ غزيرٌ.
٣ ـ والمبتدأ الذي له خبر ـ نحو «العلم» من قولك: العلم نافع.
٤ ـ والمفعول الأول لظنّ وأخواتها.
٥ ـ والمفعول الثاني لأرَى وأخواتها.
٦ ـ ونائب الفاعل كقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾[٦٦].
ثم إنَّ المسند والمسند إليه يتنوَّعان إلى أربعة أقسام:
١ ـ إمَّا أن يكونا كلمتين حقيقة ـ كما مُثّل.
٢ ـ وإمّا أن يكونا كلمتين حُكماً ـ نحو «لَا إله إلّا اللّهُ يَنجُو قائلها من النّار».
٣ ـ وإمّا أن يكونَ المسند إليه كلمة حُكْماً، والمسند كلمة حقيقة ـ نحو: «تَسْمعُ بالمُعَيْدِيِّ خيرٌ مِنْ أنْ تَرَاهُ».
٤ ـ وإمّا بالعكس ـ نحو «الأميرُ قرُبَ قُدُومه»[١].
وينحصر علم المعاني في ثمانية أبواب وخاتمة.

تنبيه: ذكر بعض المؤلفين مبحث المجاز العقلي والحقيقة العقلية في أحوال الإسناد من علم المعاني وبعضهم ذكرهما في فن البيان عند تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز ولكل وجهة.

(١) ففي الأول يؤوّل: سماعك بالمعيدي خير، وفي الثاني: الأمير قريب قدومه، وفي نحو لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار: عدم شريك للمولى نجاة من النار.

---

[٦٦] الكهف: ٤٩ ﴿وَوُضِعَ الكتابُ فَتَرى المجرمينَ مُشْفِقين ممّا فيه﴾.

الباب الأول

في تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

«وفي هذا الباب ثلاثة مباحث»

المبحث الأول

في حقيقة الخبر

الخبرُ هو ما يَحتمِلُ الصِّدْقَ والكذبَ لذاتهِ[١].

وإن شئت فقل: الخبرُ هو ما يتحقّق مدلولهُ في الخارج بدون النّطق به نحو: العلم نافعٌ، فقد أثبتْنا صفة النّفع للعلم، وَتلكَ الصّفة ثابتة له (سواء تلفّظتَ بالجملة السابقة أمْ لم تتلفّظ) لأنّ نفع العلم أمرٌ حاصلٌ في الحقيقة والواقع، وإنما أنت تحكي، ما اتّفق عليه النّاس قاطبةً، وقضَتْ به الشّرَائعُ وهدتْ إليه العقولُ بدون نظر إلى إثبات جديد.

والمراد بصدق الخبر مُطابقته للواقع ونفس الأمر، والمراد بكذبه عدم مطابقته له.

فجملة: العلم نافع ـ إنِ كانت نِسبتهُ الكلاميَّة (وهي ثبوت النفع للعلم) المفهومة من تلك الجملة مُطابقةً للنسبة الخارجيّة ـ أي مُوافقة لِمَا في الخارج والواقع «فصدق» وإلّا «فكذب» نحو «الجهل نافع» فنسبته الكلامية ليست مُطابقة ومُوافقة للنّسبة الخارجيّة[٢].

الأغراض التي من أجلها يلقى الخبر

الأَصلُ في الخبر أن يُلقَى لأحد غرضين:

---

(١) أي بقطع النظر عن خصوص المخبر، أو خصوص الخبر، وإنّما ينظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله، وذلك لتدخل الأخبار الواجبة الصدق كأخبار الله تعالى، وأخبار رسله، والبديهيات المألوفة، نحو: السماء فوقنا، والنظريات المتعين صدقها كإثبات العلم والقدرة للمولى سبحانه وتعالى، ولتدخل الأخبار الواجبة الكذب، كأخبار المتنبئين في دعوى النبوة.

(٢) فمطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية ثبوتاً ونفياً صدق، وعدم المطابقة كذب، فالنسبة التي دل عليها الخبر وفهمت منه تسمى كلامية، والنسبة التي تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر تسمى خارجية، فحينئذٍ هناك نسبتان: نسبة تفهم من الخبر، ويدل عليها الكلام وتسمى النسبة الكلامية، ونسبة أخرى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر وتسمى النسبة الخارجية.

أ ـ إمّا إفادة المُخاطب الحُكم الذي تَضَمّنتهُ الجملة إذا كان جاهلاً له ويُسمَّى ذلك الحكم «فائدةَ الخبر» نحو: «الدِّينُ الْمُعَامَلَةُ».

ب ـ وإمّا إفادَة المخاطب أنَّ المتكلمَ عالمٌ أيضاً بالحكم الذي يعلمه المخاطب كما تقولُ لتلميذٍ أخفى عليك نجاحه في الامتحان ـ وعلمتَه من طريق آخر: أنتَ نجحت في الامتحان.

ويُسمَّى ذلك الحكم «لازم الفائدة».

وقد يُلقَى الخبرُ على خلاف الأصل لأَغراض أخرى تُستفَادُ من سِياق الكلام أهمُّها:

١ ـ الاسترحامُ والاستعطافُ، نحو: إني فقيرٌ إلى عفو رَبِّي.

٢ ـ وتحريكُ الهِمَّة إلى ما يلزمُ تحصيلهُ، نحو: ليس سَوَاءً عالمٌ وجهُولُ.

٣ ـ وإظهار الضّعف والخشوع، نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤].

٤ ـ وإظهار التحسُّر والتَّحزّن نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

٥ ـ وإظهار الفَرح بمقبِل، والشّماتة بِمُدْبر، نحو ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١].

٦ ـ والتّوبيخ، كقولِكَ للعاثِر: الشّمس طالعةٌ.

٧ ـ التّذكير بما بين المراتب من التّفاوُت ـ نحو ـ لا يَستوي كسلان ونشيط.

المبحث الثاني

في كيفيّة إلقاء المتكلم الخبر للمُخاطب

حيث كان الغرضُ من الكلام الإِفصاحَ والإِظهارَ، يجب أن يكونَ المتكلم مع المخاطب كالطّبيب مع المريض يُشخِّص حالتَه، ويُعطيه ما يناسبها.

فحقّ الكلام أن يكون بقدر الحاجة، لا زائداً عنها، لئِلّا يكونَ عبثاً ولا ناقصاً عنها، لئلّا يُخِلّ بالغرض، وهو (الإِفصاح والبيان)[1] والملقَى إليه الكلام (وهو المُخاطب) له ثلاث حالات:

١ ـ إمّا أن يكونَ خاليَ الذهن من الحُكم، وفي هذه الحال لا يؤكد له الكلام لعدم الحاجة إلى التّوكيد، نحو أخوك قائم، وما أبوك حاضر.

(ويُسمَّى هذا الضرب من الخبر ابتدائياً).

٢ ـ وإمّا أنْ يكونَ مُتردّداً في الحكم طالباً لمعرفته، فيُستحسنُ تأكيد[2] الكلام الملقَى إليه تقوية للحكم ليتمكنَ من نفسه، ويَطرحَ الخِلاف وراء ظهره، نحو: إن الأمير منتصرٌ.

(ويسمَى هذا الضرب من الخبر طلبيًّا).

---

(١) كتب معاوية إلى أحد عماله فقال لا ينبغي لنا أن نسوس الناس سياسة واحدة، لا نلين جميعاً فيمرح الناس في المعصية ولا نشتد جميعاً فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون أنت للشّدة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة.

وكتب أبو العباس السفاح[٦٧] فقال: لأعلمنّ اللِّين حتى لا ينفع إلا الشدة ولأكرمنّ الخاصة ما أمنتهم على العامة، ولأغمدنّ سيفي حتى يسلّه الحق، ولأعطينّ حتى لا أرى للعطية موضعاً.

(٢) المراد بالتأكيد في هذا الباب تأكيد الحكم.

واعلم أنَّ الخطاب بالجملة الإسمية وحدها آكد من الخطاب بالجملة الفعلية، فإذا أريد مجرد الأخبار أُتي بالفعلية، وأما إن أريد التأكيد فبالإسمية وحدها، أو بها مع إنّ، أو بهما وباللام أو بالثلاثة والقسم.

---

[٦٧] أبو العباس السفاح: أول خلفاء العباسيين/ حكم بين (٧٥٠ ـ ٧٥٤ م).

٣ ـ وإمّا أن يكونَ منكِراً للحكم الذي يُرَاد إلقاؤه إليه، مُعتقداً خلَافه فيجب تأكيدُ الكلام له بمؤكد أو مؤكدين أو أكثرَ؛ على حسب إنكاره قوّة وضعفاً، نحو: إنّ أخاكَ قادم، أو إنه لقادم، أو والله إنه لقادم؛ أو لعمري إنَّ الحقَّ يعلُو ولا يُعلَى عليه.

(ويُسمَّى هذا الضربُ من الخبر إنكاريًا).

واعلم أنه كما يكون التأكيد في الإثبات يكون في النفْي أيضاً.

تنبيهات

الأول: لتوكيد الخبر أدواتٌ كثيرة، وأشهرها إنّ: وأنَّ؛ ولامُ الابتداء وأحرفُ التّنبيه؛ والقسمُ؛ ونونا التوكيد، والحروف الزّائدة (كتفعّل واستفعل) والتكريرُ وقد؛ وأمّا الشرطية، وإنّما؛ وإسمية الجملة. وضميرُ الفصل؛ وتقديم الفاعل المعنوي ـ نحو: الأمير حضر.

الثاني: يُسمَّى إخراجُ الكلام على الأَضرُب الثّلاثة السّابقة إخراجاً على مُقتضَى ظاهر الحال[1].

وقد تَقتضِي الأحوالُ العُدولَ عن مُقتضَى الظّاهر ويُورَدُ الكلَامُ على خلافه لاعتباراتٍ يلحظُها المُتكلّم:

١ ـ منها تنزيلُ العَالِم بفائدة الخبر، أو لازِمها، أو بهما معاً ـ منزلةَ الجاهل لعدم جَريهِ على مُوجَبِ علمه. فيُلَقى إليه الخبرُ كما يُلقَى إلى الجاهل، كقولك لِمن يَعلم وجوبَ الصّلاة وهو لا يُصليّ «الصّلاة واجبة» توبيخاً له على عدم عمله بمقتضى علمه، وكقولك، لمن يُؤذي أباه ـ هذا أبوك.

٢ ـ ومنها تنزيل خَالي الذّهن منزلة السّائل المُترددِ إذا تقدّم في الكلام ما يشير إلى حُكم الخبر كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] فمدخول إنّ مؤكد لمضمون ما تقدّمه لأشعاره بالتّردّد فيما تضمّنه مدخولها ـ وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧].

لَمّا أمر المولى «نوحاً» أوّلاً بصُنع الفُلك، ونهاه ثانياً عن مُخاطبته بالشّفاعة

---

(١) اعلم أن الحال هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مُكيّفاً بكيفية ما سواء أكان ذلك الأمر الداعي ثابتاً في الواقع، أو كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم كتنزيل المخاطب غير السائل منزلة السائل، وظاهر الحال هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مكيفاً بكيفية مخصوصة، بشرط أن يكون ذلك الأمر الداعي ثابتاً في الواقع ـ فكل كيفية اقتضاها ظاهر الحال اقتضاها الحال، وليس كل كيفية اقتضاها الحال اقتضاها ظاهره.

فيهم، صار مع كونه غيرَ سائل في مقام السّائل المُتردِّد[1].

هل حكَم الله عليهم بالإغراق؟

فأُجيبَ بقوله «إنّهم مُغْرَقون».

٣ ـ ومنها تنزيل الخالي منزلة المُنكِر: إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار، كقول حَجَل بن نَضْلَة القَيسِي «مِنْ أولاد عَمّ شَقيق»:

جـاء شَـقـيـقٌ عـارضـاً رُمـحَـهُ إنّ بَـنـي عَـمّـك فِـيـهـم رِمـاحُ

(فشقيقٌ) رَجلٌ لا يُنكر رماحَ بني عمّه، ولكنْ مجيئه على صورة المُعجب بشجاعته واضعاً رُمحه على فخذه بالعرض في جهة العدُوّ بدون استعداد للقتال؛ بمنزلة إنكاره أنَّ لهم رماحاً، ولن يجدَ منهم مقاوِماً له.

فأُكِّد له الكلامُ استهزاءً به (وخُوطبَ خِطاب التفاتٍ بعد غَيبةٍ تهكُّماً به، ورمياً له بالنّزق وخُرْقِ الرأي).

٤ ـ ومنها تنزيل المتردِّد منزلة الخالي، كقولك للمتردِّد في قدوم مسافر مع شهرته (قدم الأمير).

٥ ـ ومنها تنزيل المتردِّد[2] منزلة المُنكر، كقولك للسّائل المُستبعد لحصول الفرج (إنَّ الفرجَ لَقَرِيبٌ).

---

(١) أي فصار المقام مظنة للتردد والطلب ـ وإن لم يتردد المخاطب ولم يطلب بالفعل وذلك لأنه تكاد نفس الذكي إذا قُدِّم لها ما يشير إلى جنس الخبر أن تتردد في شخص الخبر وتطلبه من حيث إنها تعلم أن الجنس لا يوجد إلا في فرد من أفراده فيكون ناظراً إليه بخصوصه كأنه متردد فيه كنظر السائل ـ فقوله ولا تخاطبني يشير إلى جنس الخبر وأنه عذاب، وقوله إنهم مغرقون، يشير إلى خصوص الخبر الذي أشير إليه ضمناً في قوله ولا تخاطبني ـ وكقول الشاعر:

تـرفّـق أيـهـا الـمـولـى عـلـيـهـم فـإن الـرفـق بـالـجـانـي عـقـاب

فالأصل أن يورد الخبر هنا خالياً من التوكيد لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم ولكن لما تقدم في الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متشوقاً لمعرفته فنزّل منزلة السائل المتردد واستحسن إلقاء الكلام إليه مؤكداً جرياً على خلاف مقتضى الظاهر.

(٢) وفائدة التنزيل وجوب زيادة التأكيد قوة وضعفاً لأنه نُزّل المتردد منزلة المنكر فيعطى حكمه حينئذٍ، وهكذا تفهم في عكسه وهو تنزيل المنكر منزلة المتردد في استحسان التوكيد له.
واعلم أنه إذا التبس إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بإخراجه على مقتضى الظاهر يحتاج إلى قرينة تعيّن المقصود أو ترجّحه ـ فإن لم توجد قرينة صح حمل الكلام على كل من الأمرين ـ وذلك كجعل السائل كالخالي وجعل المتردد كالمنكر فإن وُجدت قرينة عُمل بها وإلّا صحّ الحكم بأحدهما.

٦ ـ وَمنها تنزيل المنكر منزلة الخالي، إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأمّلها لارتدع وزال إنكاره، كقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وكقولك لمن يُنْكر منفعة الطبِّ (الطبُّ نافعٌ).

٧ ـ ومنها تنزيل المُنكر منزلة المتردد، كقولك لمن ينكر شرف الأدب إنكاراً ضعيفاً «إنَّ الجاه بالمال إنَّما يصحبك ما صحبك المال، وأمَّا الجاه بالأدب فإنه غير زائل عنك».

الثالث: ظهر لك مما تقدم أن إخراج الكلام ينحصر في اثني عشر قسماً ـ ثلاثة منها في إخراج الكلام على مُقتضى الظّاهر ـ وتسعة[١] منها في إخراجه على خلافه، ثلاثة من تلك التسعة في العالِم بفائدة الخبر، وستة في غيره، وإذا ضربت هذه الاثني عشر في الإثبات والنّفي صارت أربعة وعشرين صورة.

الرابع: قد يُؤكّد الخبر لشرف الحكم وتقويته، مع أنه ليس فيه تردّد ولا إنكار، كقولك في افتتاح كلام (إنَّ أفضل ما نطق به اللّسان كذا)[٢].

---

(١) اعلم أن هذه التسعة التي أخرجت على خلاف مقتضى الظاهر كثيرة بالنسبة لنفسها إلا بالنسبة إلى الصور التي أخرجت على مقتضاه ـ وإلّا فهي كثيرة أيضاً.

(٢) من مزايا اللغة العربية دقّة التّصرف في التّعبير، واختلاف الأساليب باختلاف المقاصد والأغراض، فمن العيب الفاضح عند ذوي المعرفة بها، (الإطناب) إذا لم تكن هناك حاجة إليه، «والإيجاز والاختصار» حيث تطلب الزيادة، وقد تخفى دقائق تراكيبها على الخاصة بَلْه العامة، فقد أشكل أمرُها على بعض ذوي الفِطنة من نابتة القرن الثالث إبّان عِزِّ اللُّغة ونضرة شبابها، يرشدك إلى ذلك ما رواه الثّقات من أنَّ المتفلسف الكِنْدي[٦٨] ركب إلى أبي العباس المبرد[٦٩] وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشواً، فقال أبو العباس: في أيِّ موضع وجدت ذلك فقال: أجدُ العرب يقولون عبد الله قائم، ثم يقولون إن عبد الله قائم، ثم يقولون إن عبد الله لقائم، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فالأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال سائل، والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني، فما أحار المتفلسف جواباً.

ومن هذا تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة، لا أزيد وإلا كان عبثاً ـ ولا أنقص وإلا أخل بالغرض وهو الإفصاح والبيان.

---

[٦٨] الكندي: فيلسوف عصره عاش بين (٧٩٦ ـ ٨٧٣م) له كتب كثيرة منها: رسالة في الفلسفة الأولى.

[٦٩] المبرد: عاش بين (٨٢٦ ـ ٨٩٦م) نحوي بصري من كتبه: الكامل، علم في بغداد.

تدريب

بيِّن أغراض الخبر فيما يأتي:

قَومي هُمُ قَتلوا أُمَيمَ أخي ... فإذَا رَمَيتُ يُصيبُني سَهمِي[(١)]

قَدْ كُنتَ عُدَّتِي الَّتي أسْطُو بِها ... ويَدي إذا اشْتَدَّ الزَّمانُ وساعِدي[(٢)]

أبا المسْكِ أرْجُو منكَ نَصْراً على العِدَى ... وآمُلُ عِزّاً يَخْضِبُ البِيضَ بالدَّم[(٣)]

كفى بجِسْمي نُحولاً أنَّني رَجُلٌ ... لولا مخاطَبتي إيَّاكَ لَمْ تَرَني[(٤)]

وأنْتَ الذي رَبَّيْتَ ذا المُلْكِ مُرْضَعاً ... وليسَ لَهُ أمٌّ سِوَاكَ ولا أبُ[(٥)]

ذَهَبَ الذين يُعاشُ في أكنافِهم ... وبقيتُ في خَلَفٍ كَجِلْدِ الأجْرَبِ[(٦)]

إنْ كانَ لا يَرْجُوكَ إلّا مُحْسِنٌ ... فبِمَنْ يلوذُ ويستجيرُ المُجْرِمُ

أدْعُوكَ ربّي كما أمَرْتَ تَضَرُّعاً ... فإذا رَدَدْتَ يدي فَمَنْ ذا يَرْحَمُ

نَمُوذَج في بيان أغراض الأخبار

١ ـ كَانَ مُعاوِيَةُ[70] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَسَنَ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ يَحلُمُ فِي مَوَاضِعِ الحِلْمِ، وَيَشْتَدُّ فِي مَوَاضِعِ الشِّدَّةِ[(٧)].

٢ ـ لَقَدْ ادَّبْتَ بَنِيكَ باللِّينِ والرِّفقِ لا بِالقَسْوَةِ والعِقَابِ[(٨)].

٣ ـ تُوفِّي عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ[71] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ ثَلاثٍ وَعِشْرِين مِنَ الهِجْرَةِ[(٩)].

---

(١) إظهار الحسرة على موت أخيه بيد من قرابته

(٢) إظهار الضعف لكونه أصبح بلا معين.

(٣) الاسترحام بطلب المساعدة وشد الأزر.

(٤) إظهار الضعف بأن نحوله صيّره إلى ما وصف.

(٥) إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بقصته وسابق أعماله. فالغرض لازم الفائدة.

(٦) التحسر لفقد ذوي المروءة، والمصير إلى لئام لا خير فيهم.

(٧) الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

(٨) الغرض إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بحاله في تهذيب بنيه.

(٩) الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

---

[70] معاوية بن أبي سفيان، من الصحابة وكتبة الوحي، توفي (سنة ٦٨٠م) أول خليفة أموي من (٦٦١ إلى ٦٨٠م).

[71] عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي الثاني، توفي (سنة ٦٤٤م) ولي الخلافة من (٦٣٤ إلى ٦٤٤) في عهده تم فتح بلاد فارس وبيزنطة، اشتهر بالحزم والعدل.

٤ ـ قال أبو فِراس الْحَمْدَانِي(١)[٧٢]:

وَمَكَارِمِي عَدَدُ النجومِ وَمَنْزِلِي … مَأْوَى الكِرَامِ، ومَنْزِلُ الأَضْيَافِ

٥ ـ قال أبو الطيب(٢):

وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ … وَلَا كُلّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

٦ ـ وقال أيضاً يَرْثِي أُخْتَ سَيْفِ الدَّوْلَة(٣):

غَدَرْتَ يَا مَوتُ كَمْ أَفْنيتَ مِنْ عَدَدٍ … بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِنْ لَجَبِ

٧ ـ قَالَ أَبُو العتاهية يَرْثِي وَلَدَهُ عليًا(٤)[٧٣]:

بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْنِي … فَمَا أَغْنَى البُكَاءُ عَلَيْكَ شَيَّا

وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ … وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

٨ ـ إنَّ الثمانينَ وبُلِّغْتَهَا قَدْ … أَحْوَجَتْ سمعي إلى تَرْجُمانْ(٥)

٩ ـ قال أبو العلاء المعرّي(٦)[٧٤]:

وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لي كُنْهَ مَنْزِلِي … عَلَى أَنَّنِي بَيْنَ السِّمَاكَيْنِ نَازِلُ

---

(١) الغرض إظهار الفخر، فإن أبا فراس إنما يريد أن يفاخر بمكارمه وشمائله.

(٢) الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام فإن أبا الطيب يريد أن يبيّن لسامعيه ما يراه في بعض الناس من التقصير في أعمال الخير.

(٣) الغرض إظهار الأسى والحزن.

(٤) الغرض إظهار الحزن والتحسر على فقد ولده.

(٥) الغرض إظهار الضعف والعجز.

(٦) الغرض الافتخار بالعقل واللّسان.

---

[٧٢] أبو فراس الحمداني: (٩٣٢ ـ ٩٦٨م) ابن عم سيف الدولة، وقع في الأسر لدى البيزنطيين مدة ٤ سنوات، تولى إمارة منبج. كان شاعراً وجدانياً، قتل لدى استيلائه على حمص بعد وفاة سيف الدولة.

[٧٣] أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم (٧٤٨ ـ ٨٢٥م) عاصر ثلاثة خلفاء عباسيين هم المهدي والهادي والرشيد. اشتهر بشعر الزهد.

[٧٤] أبو العلاء المعري: (٩٧٣ ـ ١٠٥٧م) شاعر فيلسوف، اشتهر بشعر اللزوميات وبكتابه رسالة الغفران، كان متشائماً، فقد بصره وهو في الرابعة من عمره.

١٠ ـ قال إبراهيمُ بنُ المَهْدِيّ[٧٥] يخاطب المأمون(١)[٧٦]:

أَتَـيْـتُ جُـرْمـاً شَـنِـيـعـاً وأنْـتَ لِـلْـعَـفْـوِ أَهْـلُ
فَـإنْ عَـفَـوْتَ فَـمَـنٌّ وَإنْ قَـتَـلْـتَ فَـعَـدْلُ

تطبيق (١)

أَخْصِ المؤكدات في العبارات التالية، وبيِّن ضروب الخبر الثلاثة:

١ ـ ألَا في سَبيلِ المَجْدِ ما أنا فاعلُ عَفافٌ وإقْدامٌ وحزمٌ ونائلُ
٢ ـ وإنَّ امْرَءًا قد سار خمسينَ حِجّةً إلى مَنْهَلٍ مِنْ وِرْدِهِ لَقريبُ
٣ ـ لَيْس الصَّديقُ بمن يُعيرُكَ ظاهراً مُتبسِّماً عَنْ باطنٍ مُتجهِّمِ
٤ ـ قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].
٥ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ٩ ـ ١١]
٦ ـ أمّا الفِراقُ فإنّه ما أَعْهَدُ هو تَوأمي لو أنّ بَيْناً يولَدُ
٧ ـ وإنَّ الذي بيني وبَيْنَ بني أبي وبَيْنَ بَنِي عمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدّا

---

(١) الغرض ـ الاسترحام والاستعطاف.

الرقم	المؤكدات	ضرب الخبر
١	ألا (أداة استفتاح وتنبيه)	طلبي
٢	إن ـ قد ـ اللام في لقريب	إنكاري لزيادة المؤكدات على واحد
٣	الباء الزائدة في بمن	طلبي
٤	لام القسم ـ لام التوكيد ـ نون التوكيد	إنكاري
٥	تكرار جعلنا	طلبي
٦	أما ـ إن ـ أن	طلبي لأن كل مؤكد في جملة وحده
٧	أن ـ لام الابتداء	إنكاري لزيادة المؤكدات على واحد

---

[٧٥] إبراهيم بن المهدي: توفي (سنة ٨٤٩م)، اشتهر بالغناء، هو أخو هارون الرشيد، وبويع بالخلافة في غياب المأمون بخراسان، ثم عفا عنه المأمون.

[٧٦] المأمون: الخليفة العباسي السابع (٧٨٦ ـ ٨٣٣م) أنشأ بيت الحكمة، في عهده كانت فتنة، «خلق القرآن». ازدهرت في عهده حركة العلم والترجمة.

٨ ـ ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤]

١ ـ وإنِّي لَصَبَّارٌ على ما يَنُوبُني — وَحَسْبُكَ أنّ الله أَثْنَى على الصَّبْرِ

٢ ـ وإنّي لقوّال لذي البث مَرحباً — وأهلاً إذا ما جاءَ مِنْ غَيْرِ مَرْصَدِ

وإنّي لَحُلْوٌ تَعتريني مَرارَةٌ — وإنّي لَتَرّاكٌ لِمَا لَمْ أُعَوَّدِ

٣ ـ ولَقَدْ نَصَحْتُكَ إنْ قَبِلْتَ نَصيحتي — والنّصْحُ أَغْلَى ما يُباعُ ويُوهَبُ

٤ ـ إنّ الغنيَّ مِنَ الرجالِ مُكَرَّمٌ — وتراهُ يُرْجَى ما لَدَيْه ويُرْغَبُ

٥ ـ فما الحَداثَةُ عَنْ حِلْمٍ بمانِعةٍ — قَدْ يوجَدُ الحِلْمُ في الشُّبانِ والشِّيبِ

٦ ـ إنَّ الحياةَ لَثَوْبٌ سَوْفَ نَخْلَعُهُ — وكُلُّ ثَوْبٍ إذا مارَثَّ يَنْخَلِعُ

٧ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥]

---

٨ ـ لما روى القرآن قصة رسل عيسى الذين أرسلهم إلى قومه فانكروا رسالتهم قال لهم الرسل إنا «إليكم مرسلون» فالقوا إليهم الكلام مؤكداً بمؤكدين ـ فكذبوا فقالوا لهم «إنا إليكم لمرسلون» مؤكدين لهم القول بمؤكد ثالث ـ فجحدوا ـ فقالوا لهم «ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون» فزادوا مؤكداً رابعاً وهو القسم.

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
١	وإني لصبار	إن ولام الابتداء	إنكاري
٢	وإني لقوال	إن ولام الابتداء	إنكاري
	وإني لحلو	إن ولام الابتداء	إنكاري
	وإني لترّاك	إن ولام الابتداء	إنكاري
٣	ولقد نصحتك	القسم قد	إنكاري
	والنصح أغلى		ابتدائي
٤	إن الغني		طلبي
	وتراه يرجى		ابتدائي
٥	فما الحداثة الخ	الباء الزائدة «بمانعة»	طلبي
	قد يوجد الحلم	قد	طلبي
٦	إن الحياة لثوب	إن ولام الابتداء	إنكاري
	وكل ثوب الخ		ابتدائي
٧	غفلتهم عن الموت تعدّ من	أمارات الإنكار	إنكاري

تطبيق (٢)

أذكر أضْرُبَ الخبر وبيِّن المؤكدات فيما يأتي:

١ ـ وعـاد فـي طَـلـبِ الـمـتـروكِ تـاركُـهُ إنّـا لـنَـغْـفُـلُ والأيّـامُ فـي الـطّـلـبِ

٢ ـ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ٩ ـ ١١]

٣ ـ أمَـا دُونَ مِـصْـر لـلْـغِـنَـى مُـتَـطـلَّـبُ بَـلـى إنَّ أسـبـابَ الـغـنـى لَـكَـثـيـرُ

٤ ـ فَـيَـوْمٌ لـنـا ويَـومٌ عـلـيـنـا ويَـوْمٌ نُـسَـاءُ ويَـوْمٌ نُـسَـرْ

٥ ـ إنَّ مِنَ البيانِ لَسِحْراً وإنَّ مِنَ الشعْر لَحِكْمَةً.

٦ ـ قد يُدْرِكُ الشّرفَ الفتى ورِدَاؤه خَلِقٌ.

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
١	وعاد في طلب المتروك		ابتدائي
	إنا لنغفل	إن ولام الابتداء	إنكاري
٢	وجعلنا نومكم الخ	تكرير جعل	طلبي
٣	أما دون مصر	حرف التنبيه (أما)	طلبي
	إن أسباب الغنى لكثير	إن ولام الابتداء	إنكاري
٤	يوم لنا ويوم علينا	التكرير	طلبي
٥	إن من البيان لسحراً	إن ولام الابتداء	إنكاري
	إن من الشعر لحكمة	إن ولام الابتداء	إنكاري
٦	قد يدرك	قد	طلبي

المبحث الثالث

في تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجملة اسمية

أ ـ أَلجملة الفعلية ـ موضوعة لإفادة التَّجدُّد والحدوثِ في زمن مُعيَّنٍ مع الاختصار[١] نحو:

أشــرَقــتِ الــشــمــسُ وقــد ولَّــى الــظَّــلامُ هــارِبــا

فلا يُستفاد من ذلك إلَّا ثبوتُ الإشراق للّشمس، وذهاب الظّلام في الزّمان الماضي.

وقد تُفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجدّديَّ شَيئاً فشيئاً بحسب المقام وبمعونة القرائن لا بحسب الوضع[٢] بشرط أَنْ يكونَ الفعلُ مضارعاً، نحو قول المتنبي:

تُــدبِّــر شــرقَ الأرض والــغــربَ كــفُّــه ولــيسَ لــهــا يــومــاً عــن الــمــجد شــاغــلُ

فقرينة المدح تدلّ على أن تدبير الممالك دَيدنُه وشأنُه المستمرّ الذي لا يَحيد عنه. ويتجدّد آناً فآناً.

ب ـ والجملة الإسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء[٣] ليس غير، بدون نظر إلى تجدّد ولا استمرار، نحو: الأرض متحركة، فلا يستفاد منها سوى ثبوت الحركة للأرض، بدون نظر إلى تجدُّد ذلك ولا حُدُوثِهِ.

---

(١) وذلك أن الفعل دال بصيغته على أحد الأزمنة الثلاثة بدون احتياج لقرينة بخلاف الاسم فإنه يدلّ على الزمن بقرينة ذكر لفظة الآن أو أمس أو غداً، ولما كان الزمان الذي هو أحد مدلولي الفعل غير قارّ الذات أي لا تجتمع أجزاؤه في الوجود كان الفعل مع إفادته التقييد بأحد الأزمنة مفيداً للتجدّد أيضاً.

(٢) وذلك نظير الاستمرار الثبوتي في الجملة الإسمية نحو ﴿**لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتُّم**﴾ [الحجرات: ٧] أي لو استمرّ على إطاعتكم وقتاً فوقتاً لحصل لكم عنت ومشقة.

(٣) قال الشيخ عبد القاهر: موضوع الاسم على أن يثبت به الشيء للشيء من غير اقتضاء أنه يتجدّد ويحدث شيئاً فشيئاً: فلا تعرّض في نحو زيد منطلق، لأكثر من إثبات الانطلاق له فعلاً، كما في زيد طويل وعمرو قصير أي أن ثبوت الطول والقصر هو بأصل الوضع، وأما استفادة الدّوام فمن الملازمة في هذين الوصفين، وحينئذٍ فالتمثيل للمنفى.

وقد تخرج الجملة الاسمية عن هذا الأصل وتفيد الدّوام والاستمرار بحسب القرائن، كأن يكونَ الحديثُ في مقام المدح، أو في معرض الذم كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فسياق الكلام في معرض المدح دالّ على إرادة الاستمرار مع الثّبوت، ومنه قول النّضر بن جُؤْبَة يتمدّح بالغِنَى والكرم:

لا يألفُ الدِّرْهَمُ المضرُوبُ صرَّتَنا   لَكِنْ يَمرُّ عَلَيْها وهو مُنطلِقُ

يُرِيدُ أنّ دراهَمه لا ثبات لها في الصُرّة ولا بقاء، فهي دائماً تنطلق منها، وتمرق مروق السّهام من قِسِيِّها، لِتُوزَّعَ على المُعوزينَ وأربابِ الحاجات.

واعلم أن الجُملة الإسمية لا تفيد الثّبوت بأصل وضعها، ولا الاستمرار بالقرائن إلّا إذا كان خبرها مفرداً نحو: الوطنُ عزيزٌ، أو جملة اسمية نحو: الوطن هو سعادتي.

أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التَّجدُّد نحو: الوطن يسعدُ بأبنائه.

أسئلة يطلب أجوبتها

ما هو علم المعاني؟

ما هو الإسناد؟

ما هي مواضع المسند والمسند إليه؟

ما المراد بصدق الخبر وكذبه؟

ما الفرق بين النسبة الكلامية والنسبة الخارجية؟

ما هو الأصل في إلقاء الخبر؟

ما هي الأغراض الأخرى التي يلقى إليها الخبر؟

ما هي أضرب الخبر؟

ما هي أدوات التوكيد؟

لماذا يعدل عن مقتضى الظاهر؟ إلى كم ينقسم الخبر؟

لأيّ شيء وضعت الجملة الإسمية والفعلية؟

هل تفيد الجملة الفعلية والإسمية غير ما وضعتا لأجله؟

تدريب

بيِّن فائدة التّعبير بالجملة الإسمية أو الفعلية في التّراكيب الآتية:

١ ـ قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]

٢ ـ نَـرُوحُ ونَـغْـدُو لِـحـاجـاتِـنـا وحـاجـةُ مَـنْ عـاشَ لَا تـنـقـضـي

٣ ـ وَعلى إثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نفسِي حَسَرَاتٍ وذِكْرُهُمْ لِي سِقَامُ

٤ ـ يأتي على الناس زمان لا يبالي المرءُ ما أخذ منه، أمِنَ الحلال أم من الحرام.

٥ ـ أوَ كُلَّما وَرَدَتْ عُكاظَ[٧٧] قَبيلَةٌ بَعَثُوا إليَّ عَرِيفَهم يتَوسَّمُ

الرقم	الجملة	نوعها	ما تفيده	الإيضاح
١	يمحو الله	مضارعية	الإستمرار التجددي	إذ محو بعض الخلائق وإفناؤها وإثبات البعض الآخر مستمر على جهة التجدد
	وعنده أم الكتاب	اسمية	الدوام	أم الكتاب اللوح المحفوظ والقرينة الإسناد إلى الله
٢	نروح. ونغدو	مضارعية	الإستمرار التجددي	القرينة قوله وحاجة من عاش
٣	تساقط	مضارعية	الإستمرار التجددي	
	وذكرهم لي سقام	اسمية	الإستمرار والدوام	القرينة حالية وهي الحزن والأسى
٤	يأتي	مضارعية	التجدد	

٥ ـ يريد أن كل قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ورئيسها ليتفرّس في وجوه القوم مرة بعد أخرى، لعله يهتدي إلى معرفتي، لتأخذ بثأرها مني. وتنكل بي لأني طالما أوقعت بها وأذقتها صنوف المذلة والهوان.

وعكاظ سوق للعرب كانت تجتمع فيها للتفاخر والتنافر ليلاً ولتصريف المتاجر نهاراً.

---

[٧٧] عكاظ: من أسواق العرب في الجاهلية، كان الشعراء يتبارون فيه، وكان النابغة الذبياني أحد المحكَّمين فيه.

في حقيقة الإنشاء وتقسيمه

ألإِنشاء لغةً الإيجاد؛ واصطلاحاً ما لا يحتمل الصِّدق والكذب لذاته[1]، نحو اغفر وارحم، فلا يُنسب إلى قائله صِدق أو كذب، وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقَّق إلّا إذا تلفّظتَ به ـ فطلبُ الفعل في «افْعَلْ» وطلب الكفّ في «لَا تَفْعَلْ» وطلب المحبوب في «التمني» وطلب الفهم في «الإستفهام» وطلب الإقبال في «النّداء» كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيَّغ المُتلفَّظ بها.

وينقسم الإنشاء إلى نوعين، إنشاء طلبي ـ وإنشاء غير طلبي.

فالإنشاء غير الطَّلبي: ما لا يَستدعِي مطلوباً غير حاصل وقت الطلّب كصيغ المدح والذّم، والعقود، والقسم، والتَّعجب، والرجاء، وكذا رُبَّ ولعلَّ، وكم الخبرية «ولا دخل لهذا القسم في علم المعاني».

١ ـ أما المدح والذم فيكونان بنعم وبئس وما جرى مجراهما نحو: حبّذا ولا حبّذا، والأفعال المحوَّلة إلى فَعُلَ نحو طاب عليٌّ نفساً، وخَبُثَ بكرٌ أصلا.

٢ ـ وأما العقود فتكون بالماضي كثيراً، نحو بعتُ واشتريتُ ووهبتُ وأعتقتُ، وبغيره قليلاً نحو أنا بائع، وعبدي حرٌّ لوجه الله تعالى.

٣ ـ وأما القسم فيكون بالواو والباء والتاء وبغيرها نحو لعمرك ما فعلت كذا.

٤ ـ وأما التَّعجب ـ فيكون بصيغتَيْنِ، ما أفعَلَه ـ وأفعِلْ به.

---

(١) أي بقطع النظر عما يستلزمه الإنشاء فإن اغفر يستلزم خبراً وهو أنا طالب المغفرة منك ـ وكذا لا تكسل يستلزم خبراً وهو أنا طالب عدم كسلك ـ لكن هذا ليس لذاته.

وبغيرهما نحو لله دَرُّه عالماً، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

٥ ـ وأما الرجاء فيكون بعسى وَحرى وَاخْلَوْلَقَ. نحو: عسى الله أن يأتي بالفتح. وأنواع «الإنشاء غير الطلبي» كثيرة ولكنها ليست من مباحث علم المعاني ولذا نقتصر فيه على ما ذكرناه ولا نطيل البحث في هذا القسم الذي أكثره في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء، وإنَّما المبحوث عنه في علم المعاني هو:

الإنشاء الطلبي: وهو الذي يَسْتَدِعي مطلوباً[1] غير حاصل[2] في اعتقاد المتكلّم وقتَ الطلبِ ـ ويكون بخمسة أشياء: الأمر، والنهي والإستفهام، والتمني، والنداء[3] وفي هذا الباب خمسة مباحث.

---

(١) اعلم أنه إذا كان المطلوب غير متوقع كان الطلب (تمنياً) وإن كان متوقعاً فإما حصول صورة أمر في الذهن فهو (الاستفهام) وإما حصوله في الخارج فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل فهو (النهي) وإن كان ثبوته فإما بأحد حروف (النداء) فهو النداء ـ وإما بغيرها فهو (الأمر) وبهذا تعلم أن الطلب هنا منحصر في هذه الأمور الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية.

(٢) أي لأنه لا يليق طلب الحاصل، فلو استعمل صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع إجراؤها على معانيها الحقيقية، ويتولد من تلك الصيغ ما يناسب المقام كطلب دوام الإيمان والتقوى في قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله﴾** [النساء: ١٣٦] وهلمَّ جرا كما سيأتي:

(٣) ويكون الإنشاء الطلبي أيضاً، بالعرض والتحضيض، ولكن لم يتعرّض لهما البيانيون لأنهما مولّدان على الأصح من الاستفهام والتمني ـ فالأول من الهمزة مع لا النافية في «ألا» والثاني من هل ولو للتمني مع لا وما الزائدتين في «هلّا وألّا» بقلب الهاء همزة.

وكذا لولا ولو ما ـ واعلم أن الإنشاء الطلبي نوعان ما يدل على معنى الطلب بلفظه ويكون بالخمسة المذكورة، وما يدل على معنى الطلب بغير لفظه كالدعاء.

المبحث الأول

في الأمر

وله أربع صيغ:

١ ـ فعل الأمر ـ كقوله تعالى: ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

٢ ـ والمضارع المجزوم بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧].

٣ ـ واسم فعْل الأمر نحو: صَهْ، وآمينَ، ونزَالِ، ودَرَاكِ.

٤ ـ والمصدر النائب عن فعل الأمر نحو: سَعْياً في سبيل الخير.

وقد تخرجُ صِيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تُستفَادُ من سِياق الكلام وقرائن الأحوال.

١ ـ كالدّعَاء ـ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩].

٢ ـ والإلتماس ـ كقولك لمن يُساويك: أعطِني القَلَم أيُّها الأخ.

---

(١) بأن يعدّ الأمر نفسه عالياً سواء كان عالياً في الواقع أوْ لا. ولهذا نسب إلى سوء الأدب إن لم يكن عالياً، واشتراط الاستعلاء بهذا المعنى هو ما عليه الأكثر من الماتريدية[٧٨] والإمام الرازي[٧٩] والآمدي[٨٠] من الأشعرية ـ وأبو الحسن من المعتزلة. وذهب الأشعري[٨١] إلى أنه لا يشترط هذا ـ وبه قال كثير من الشافعية، والأشبه أن الصدور من المستعلي يفيد إيجاباً في الأمور وتحريماً في النهي. واعلم أن الأمر للطلب مطلقاً، والفور والتراخي من القرائن، ولا يوجبُ الاستمرار والتكرار في الأصح، وقيل ظاهره الفور كالنداء والاستفهام إلّا بقرينة وهو ما اختار السكاكي واعلم أيضاً أن الأمر يكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماساً مع النظير.

---

[٧٨] الماتريدية: نسبة إلى أبو منصور محمد الماتريدي (المتوفى سنة ٩٤٤م) كان فقيهاً حنفيّاً، ومن علماء الأصول والكلام من كتبه: أوهام المعتزلة.

[٧٩] الإمام الرازي/ فخر الدين (المتوفى سنة ١٢١٠م) كان مفسراً ومتكلماً واسع المعرفة في علوم العقل والنقل من كتبه: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز.

[٨٠] الآمدي أبو القاسم (المتوفى سنة ٩٨١م) أديب ولغوي، من كتبه: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء.

[٨١] الأشعري أبو الحسن (توفي سنة ٩٣٦م). مؤسس مذهب الأشاعرة، من كتبه: مقالات الإسلاميين.

٣ ـ والإرشاد ـ كقوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٨٢].

٤ ـ والتَّهديد ـ كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

٥ ـ والتَّعجيز ـ كقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

٦ ـ والإباحة ـ كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ونحو: اجلس كما تشاء.

٧ ـ والتّسوية ـ نحو قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾ [الطور: ١٦].

٨ ـ والإكرام ـ كقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦].

٩ ـ والإمتنان ـ نحو قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النحل: ١١٤].

١٠ ـ والإهانة ـ كقوله تعالى: ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠].

١١ ـ والدّوام ـ كقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥].

١٢ ـ والتَّمني ـ كقول امرىء القيس:

أَلَا أيُّها اللَّيلُ الطَّويل ألَا انجَلِ ... بِصُبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثَلِ

١٣ ـ والاعتبار ـ كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

١٤ ـ والإذن ـ كقولك لمن طرق الباب: أُدخُل.

١٥ ـ والتكوين ـ كقوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥].

١٦ ـ والتَّخيير ـ نحو: تَزَوَّجْ هنداً أو أختَها.

١٧ ـ والتّأديب ـ نحو: كُلْ ممّا يَليك.

١٨ ـ والتّعجُّب ـ كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء: ٤٨].

تمرين

بيّن ما يُراد من صيغ الأمر في التّراكيب الآتية:

١ ـ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٢ ـ أَسيئي بنا أو أَحْسني لَا ملُومَةٌ لَدَيْنَا ولَا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ[٨٢]

٣ ـ يا لَيْلُ طُلْ يا نَومُ زُلْ يا صُبْحُ قِفْ لَا تَطْلُعِ

٤ ـ عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِماً في ظِلِّ شَاهِقَةِ القُصُورِ

٥ ـ ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣].

٦ ـ ترَفَّقْ أيُّها المَوْلَى عليهِمْ فإنَّ الرِّفْقَ بالجاني عقابُ

٧ ـ أرَى العنْقَاء تكْبُرُ أنْ تُصادا فعانِدْ مَنْ تُطيقُ له عِنَادَا

٨ ـ خليليَّ هُبَّا طالَمَا قَدْ رَقَدْتُما أجِدَّكُما لا تَقْضِيَانِ كَرَاكُما[٨٣]

٩ ـ أرِيني جَواداً ماتَ هُزْلاً لعلَّني أرَى ما تَرَيْنَ أوْ بخيلاً مُخَلَّدَا

١٠ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]

١١ ـ قد رَشَّحُوكَ لأمْرٍ إنْ فَطِنْتَ لهُ فاربأ بِنَفْسِكَ أن تَرْعَى مَعَ الهَمَلِ[٨٤]

١٢ ـ ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٥، ٢٦].

١٣ ـ ليسَ هذَا بعشِّكِ فادْرُجي.

١٤ ـ اعملْ لدُنْيَاكَ كأنكَ تعيشُ أبداً. واعمل لآخرَتك كأنكَ تموتُ غداً.

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها	الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
١ ـ	خذ العفو	الإرشاد	٢ ـ	أسيئي بنا	التسوية
٣ ـ	طل ـ زل	التمني	٤ ـ	عش سالماً	الدعاء
٥ ـ	أسروا قولكم	التسوية	٦ ـ	ترفق	الدعاء
٧ ـ	عاند	الإهانة	٨ ـ	هُبّا	الالتماس
٩ ـ	أريني جواداً	التعجيز	١٠ ـ	هاتوا برهانكم	التعجيز
١١ ـ	فاربأ بنفسك	الإرشاد	١٢ ـ	اشرح لي صدري	الدعاء
١٣ ـ	أدرجي	الإهانة	١٤ ـ	اعمل لدنياك	الإرشاد

[٨٢] تقلّت: قلّت المرأة صارت مقلاة، وهي التي لا يعيش لها ولد، أو التي تضع واحداً ثم لا تحمل، مقلية: مبغضة، من قلى بمعنى أبغض.

[٨٣] كراكما: الكرى: النعاس والنوم.

[٨٤] الهمل: الإبل السائبة المهملة.

يَـارِبِّ لا تَـسْـلُـبَـنِّـي حُـبَّـهـا أَبَـداً ... وَيَـرْحَـمُ الـلَّـهُ عَـبْـداً قـالَ آمِـيـنـا

١٥ ـ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَبْخَلْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَجُدْ ... كَفَـانِـي نَـدَاكُـمْ عَـنْ جـمـيـعِ الـمـطـالِـبِ

١٦ ـ أُولَـئِـكَ آبـائـي فـجِـئْـنـي بِـمِـثْـلِـهِـمْ ... إِذا جَـمَـعَـتْـنَـا يـا جـريـرُ الـمـجـامِـعُ

أَرُونِـي بـخـيـلاً طـالَ عُـمْـراً بِـبُـخْـلِـهِ ... وهـاتُـوا كـريـمـاً مـاتَ مِـنْ كَـثْـرَةِ الـبَـذْلِ

نموذج

بَيِّنْ نَوْعَ الإنشاء وصيغته في الأمثلة الآتية

١ ـ يَـأَيُّـهَـا الـمُـتَـحـلِّـي غَـيْـرَ شِـيـمَـتِـهِ ... وَمِـنْ شَـمَـائِـلـه الـتَّـبْـدِيـلُ والـمـلَـقُ[٨٥]

إرْجِـعْ إِلَـى خُـلْـقِـكَ الـمَـعْـرُوف دَيْـدنُـه ... إِنَّ الـتَّـخـلُّـقَ يَـأْتِـي دُونَـهُ الـخُـلُـقُ

٢ ـ يَـا ابـنَـتِـي إِنْ أَرَدْتِ آيَـةَ حُـسْـنٍ ... وَجَـمَـالاً يَـزِيـنُ جِـسْـمـاً وعَـقْـلا

فَـانْـبُـذِي عَـادَةَ الـتَّـبَـرُّجِ نَـبْـذاً ... فَـجَـمَـالُ الـنُّـفُـوسِ أَسْـمَـى وَأَغْـلَا

يَـصْـنَـعُ الـصَّـانِـعُـونَ وَرْداً وَلَـكِـنْ ... وَرْدَةُ الـرَّوْضِ لَا تُـضَـارَعُ شَـكْـلا

٣ ـ يا لَيْتَ مَنْ يَمْنَعُ المعْرُوفَ يَمْنَعُهُ ... حتَّى يَذُوقَ رِجَالٌ غِبَّ ما صَنَعُوا[٨٦]

٤ ـ لَعَمرِكَ مَا بِالْعَقْلِ يُكتَسَبُ الغِنى ... وَلا بـاكْـتِـسَـابِ الـمَـالِ يُـكْـتَـسَـبُ الْـعَـقْـلُ

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها	الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
١٥ ـ	فليبخل	التخيير	١٦ ـ	جئني	التعجيز

رقم المثال	صيغة الإنشاء	نوعه	طريقته
١	يأيها المتحلي غير شيمته الخ	طلبي	النداء
	ارجع إلى خلقك المعروف	طلبي	الأمر
٢	يا ابنتي إن أردت آية حسن	طلبي	النداء
	فانبذي عادة التبرج	طلبي	الأمر
٣	يا ليت من يمنع المعروف	طلبي	التمني
٤	لعمرك ما بالعقل يكتسب الغنى	غير طلبي	القسم

---

[٨٥] الملق: ملق الشيء إذا محاه والملق التودد باللسان دون القلب.

[٨٦] غب: عاقبة.

أسئلة على الإنشاء والأمر يطلب أجوبتها

ما هو الإنشاء لغة واصطلاحاً؟

إلى كم ينقسم الإنشاء؟

ما هو الإنشاء غير الطلبي؟

كم أقسام الإنشاء الطلبي؟

ما هو الأمر؟

كم صيغة للأمر؟

ما هي المعاني التي تخرج إليها صيغ الأمر عن أصل معناها؟

المبحث الثاني

في النّهي

النَّهي: هو طلب الكفِّ عن الفعل على وجه الإستعلاء[1] وله صيغةٌ واحدةٌ وهي المضارع مع لا الناهية كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقد تخرج هذه الصِّيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أخر تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

١ـ كالدُّعاء: نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢ ـ والإلتماس: كقولك لمنْ يُساويك ـ أيُّها الأخ لا تَتَوانَ.

٣ ـ والإرشاد: كقوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٥١].

٤ ـ والدّوام: كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

٥ ـ وبيان العاقبة: نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

٦ ـ والتّيئيس: نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

٧ ـ والتمنّي: نحو: يا ليلة الأُنسِ لا تنقضِي، وقوله:

يا ليلُ طُلْ يا نومُ زُلْ ... يا صبحُ قِفْ لا تطلُعِ

٨ ـ والتّهديد: كقولك لخادمك ـ لا تُطِع أمري.

---

(١) اعلم أن النهي حقيقة في التحريم: كما عليه الجمهور ـ فمتى وردت صيغة النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور.

واعلم أن النهي كالأمر فيكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماساً مع النظير.

٩ ـ والكراهة: نحو: لا تَلْتَفِتْ وأَنْتَ في الصّلاةِ.

١٠ ـ والتّوبيخ: نحو: لا تَنْهَ عن خُلُق وتأتيَ مِثْلَه.

١١ ـ والإئتناس: نحو: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

١٢ ـ والتّحقير: كقوله:

لا تطلُبِ المجدَ إنّ المجْدَ سُلَّمُهُ   صعبٌ وعِشْ مُستريحاً ناعمَ البَالِ

تطبيق

أذكر ما يُراد من صِيَغ النّهي الآتية:

١ ـ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

٢ ـ فلا تُلْزِمنَّ النّاسَ غَيْرَ طباعِهم   فَتَتْعَبَ مِن طُولِ العتابِ ويَتْعَبُوا

ولا تغترِرْ منهم بحُسْنِ بَشَاشَةٍ   فأكْثَرُ إيماضِ البَوارِقِ خُلَّبُ

٣ ـ فلا تَهِجْ إنْ كُنْتَ ذَا إرْبَةٍ   حَرْبَ أخِي التّجْرِبَةِ العَاقِلِ

٤ ـ «لَا تَعْتَذِرُوا اليومَ»[٨٧].

٥ ـ لا تَحْسَبِ المجدَ تَمْراً أنْتَ آكلهُ   لَنْ تَبْلغ المجدَ حتّى تَلْعَقَ الصَّبْرا

٦ ـ لا تَحْتَجِبْ عن العيُون أيُّها القَمَرُ

٧ ـ لَا تَعْرِضَنَّ لجعْفَرٍ مُتَشبِّهاً   بِنَدَى يدَيْهِ فَلَسْتَ مِنْ أنْدَادِه

٨ ـ لا تَيأَسُوا أنْ تَسْتَرِدُّوا مجدَكم   فَلَرُبَّ مَغْلُوبٍ هَوَى ثُمّ ارْتقى

ولا تجلسْ إلى أهلِ الدّنايا   فإنّ خلائقَ السّفهاء تُعدِي

الغرض	الغرض
١ ـ التوبيخ لهم على خلطهم الحق بالباطل	٥ ـ التوبيخ والتعنيف
٢ ـ الإرشاد إلى حسن الخلق	٦ ـ التمني
٣ ـ الإرشاد والنصح	٧ ـ التوبيخ والتأنيب
٤ ـ التوبيخ والتقريع	٨ ـ الإرشاد والنصح

[٨٧] التحريم: ٧، وبدء الآية: **﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾**.

المبحث الثالث

في الإستفهام

الإِستفهام هو طَلب العِلم بشيءٍ لم يكن معلوماً مِن قبلُ وذلك بأداة من إحدى أدواته ـ وهي:

الهمزة. وهل. وما. ومن. ومتى. وأيّان. وكيف. وأين. وأنّى. وكم. وأيّ. وتنقسم بحسب الطّلب إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ ما يُطَلب به التّصور تارة والتّصديق تارة أخرى وهو: الهمزة.

ب ـ وما يُطَلب به التّصديق فقط وهو: هل.

جـ ـ وما يُطَلب به التّصور فقط وهو: بقيّة ألفاظ الإستفهام.

١ ـ الهمزة

يُطَلب بالهمزة أحد أمرين: تَصوُّرٌ. أو تصدِيقٌ.

ـ أ ـ فالتّصوّر هو إدراك المفرد[١] نحو أعليٌّ مسافرٌ أم سعيدٌ؟ تعتقد أنّ السّفر حصل من أحدهما ولكن تطلُب تعيينَه.

ولذا يُجاب بالتّعيين، فيقال سعيد مثلاً.

وحكم الهمزة التي لِطَلب التّصور، أن يليهَا المسؤول عنه بها، سواء أكان.

١ ـ مُسنداً إليه ـ نحو: أأنتَ فعلتَ هذا أم يوسفُ؟

٢ ـ أم مُسنداً ـ نحو: أراغِبٌ أنت عن الأمر أم راغبٌ فيه؟

٣ ـ أم مفعولاً ـ نحو: إياي تقصد أم سعيداً؟

---

(١) أي إدراك عدم وقوع النسبة وذلك كإدراك الموضوع وحده، أو المحمول وحده، أو هما معاً، أو ذات النسبة التي هي مورد الإيجاب والسلب.
فالاستفهام عن التصور يكون عند التردد في تعيين أحد الشيئين.
والاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردّد الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها وحينئذٍ للهمزة استعمالان، فتارة يطلب بها معرفة مفرد، وتارة يطلب بها معرفة نسبة، وتسمى معرفة المفرد تصوراً، ومعرفة النسبة تصديقاً.

٤ ـ أم حالاً ـ نحو: أراكباً حضرتَ أم ماشياً؟

٥ ـ أم ظرفاً ـ نحو: أيومَ الخميس قدمتَ أم يوم الجمعة؟

ويُذكر غالباً مع همزة التَّصور مُعادل مع لفظة «أم» وتُسمَّى مُتّصلة كالأمثلة السابقة.

ويجوز حَذْفُ هذا المُعادل.

نحو: أخليلٌ حضر ـ ونحو: أيومَ الخميس سافرتَ ـ وهَلُّم جَرًّا.

ـ ب ـ والتصديق «هو إدراك وُقوع نِسبة تامّة بين شيئين أَو عدَم وُقوعها»[1].

ويكثر التَّصديق في الجمل الفعليّة ـ كقولك أحضر الأمير[2]؟ تستفهم عن ثبوت النسبة ونفيها، وفي هذه الحالة يجاب بلفظة: نعم أو لا ويَقِلّ التّصديق في الجمل الإسميَّة، نحو أعليٌّ مسافر؟

ويمتنع أن يُذْكر مع همزة التّصديق معادل كما مُثّل، فإن جاءت «أم» بعدها قُدِّرت مُنقطعة[3] وتكون بمعنى «بل» كقوله:

ولستُ أُبالي بعدَ فَقْديَ مالكاً　　أموتِيَ نـاءٍ أم هُو الآن واقعُ

٢ ـ هل

يُطلب بها التّصديق فقط، أي معرفة وقوع النّسبة، أو عدم وقوعها لا غير، نحو: هل جاء الأمير؟ والجواب نعم، أوْلا.

ولأجل اختصاصها بطلب التّصديق لا يذكر معها المعادل بعد أم المتصلة فلذا:

أ ـ امتنع: هل سعد قام أم سعيد؟ لأنّ وقوع المفرد وهو سعيد بعد «أم»

---

(١) أي إدراك موافقتها لما في الواقع أو عدم موافقتها له ـ واعلم أن إدراك وقوع النسبة أو عدم وقوعها كما يسمَّى تصديقاً يسمى حكماً، وإسناداً، وإيقاعاً، وانتزاعاً أو إيجاباً وسلباً.

(٢) أي فقد تصورت الحضور والأمير والنسبة بينهما، وسألت عن وقوع النسبة بينهما؛ هل هو محقق خارجاً أولا ـ فإذا قيل حضر، حصل التصديق وكذا يقال فيما بعده. فالمسؤول عنه في التصديق نسبة يتردّد الذهن في ثبوتها ونفيها كما سبق توضيحه.

(٣) أي ولا بد من وقوع الجملة بعد أم المنقطعة. فإن وقع بعدها مفرد قُدّر بجملة نحو أحضر الأمير أم جيشه ـ أي بل حضر جيشه.

وتلخّص ممّا تقدم أن همزة التّصور إن جاء بعدها «أم» تكون متصلة. وإنّ همزة التصديق أو هل إن جاء بعدهما «أم» قُدّرت منقطعة وتكون بمعنى بل.

الواقعة في حيِّز الإستفهام دليل على أن «أم» متصلة، وهي لطلب تعيين أحد الأمرين، ولا بدّ حينئذٍ أن يُعلَم بها أوّلاً أصل الحكم، «وهل» لا يناسبها ذلك، لأنها لطلب الحكم فقط، فالحكم فيها غير معلوم، وإلّا لم يُستفهم عنه بها، وحينئذ يُؤدِّي الجمع بين «هل وأم» إلى التّناقض، لإِنَّ «هل» تفيد أن السّائل جاهلٌ بالحكم لأنها لطلبه، «وأم» المتّصلة تفيد أنَّ السّائل عالم به، وإنما يَطْلُب تعيين أحد الأمرين، فإن جاءت أمْ كذلك كانت مُنقطعة بمعنى بل التي تفيد الإِضراب نحو: هَلْ جاء صديقك أم عدّوك؟

ب ـ وقَبُحَ استعمالُ «هل» في تَركيبٍ هو مَظنّة للعلم بحصول أصْل النّسبة وهو ما يتقدّمُ فيه المعمولُ على الفعل، نحو: هل خليلاً أكرمتَ؟ فتقديم المعمولِ على الفعلِ يقتضي غالباً حصولَ العلم للمتكلّم، وتكون هَلْ لطلب حصول الحاصلِ وهو عبثٌ.

تنبيهات

الأوّل: «هَلْ» كالسين وسوف تُخلِّص المَضارع للاستقبال، فلا يُقال هَلْ تصدُق؟ جواباً لمن قال أحبُّك الآن، بَلْ تقول له، أتصدق؟ ولأجل اختصاصها بالتّصديق، وتخليصها المضارعَ للإستقبال قوِيَ اتصالُها بالفعل لفظاً أو تقديراً نحو: هل يجيءُ عليّ؟ أو هَلْ عليّ يجيءُ؟

فإن عُدِل عن الفعلِ إلى الاسم لإبراز ما يحصل في صورة الحاصل، دلالةً على كمال العناية بحصوله، كانَ هذا العدُول أبلغَ في إفادة المقصود، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]؟ فهذا التّركيب أدلُّ على طَلبِ الشُّكر من قولك: هَل تشكرون؟ وذلك لأن الفعْل لازمٌ بعد هَلْ والعُدول عنه يَدلّ على قوّة الدّاعي لذلك لِمَا ذُكر.

الثاني: «هَل» نوعان: بسيطة، ومركبة:

أ ـ فالبسيطة، هي التي يُستفهمُ بها عن وجود شيء في نفسه، أو عدم وجوده، نحو: هل العنقاء[1] موجودة؟ هَلِ الخِلُّ الوفيّ موجود؟

---

(١) حكى الزمخشري في «ربيع الأبرار» أن العنقاء كانت طائراً وكان فيها من كل شيء من الألوان وكانت في زمن أصحاب الرسّ تأتي إلى أطفالهم وصغارهم فتخطفهم وتغرب بهم نحو الجبل فتأكلهم، فشكوا ذلك إلى نبيهم صالح عليه السلام فدعا الله عليها فأهلكها وقطع عقبها ونسلها فسميت عنقاء مغرب لذلك.

ب ـ والمركبة، هي التي يُستفهم بها عن وجود شَيءٍ لشيءٍ، أو عدم وجوده له، نحو: هل المرِّيخ مسكونٌ؟ هل النَّبات حَسَّاس؟

الثالث: «هل»: لا تدخل على:

١ ـ المنفي[1]	فلا يقال هل لم يفهم عليٌّ؟
٢ ـ ولا على المضارع الذي هو للحال	فلا يقال هل تحتقر علياً وهو شجاع؟
٣ ـ ولا على إنَّ	فلا يقال هل إنّ الأمير مسافر؟
٤ ـ ولا على الشرط	فلا يقال هل إذا زرتُك تكرمني؟
٥ ـ ولا على حرف العطف	فلا يقال هل فيتقدَّم أو هل ثم يتقدم؟
٦ ـ ولا على اسم بعده فعل	فلا يقال هل بَشراً مِنّا واحداً نتّبِعُه؟

بخلاف الهمزة فإنها تدخل على جميع ما ذكر.

الرابع: بقيّة أَدوات الإستفهام موضوعة للتصوُّر فقط، وهيَ: مَا، وَمن وَمَتى، وأيّان، وكيفَ، وأينَ، وأنّى، وكَمْ، وأيّ ولهذا يكون الجوابُ معها بتعيين المسؤول عنه.

ما ـ ومن

«ما»: موضوعة للإستفهام عن غير العقلاء ـ ويُطْلَبُ بها:

أ ـ إيضاح الاسم: نحو ما الْعَسجدُ؟ فيقال في الجواب إنه ذهبٌ.

ب ـ أو يُطلبُ بها بيان حقيقة المُسمَّى، نحو: ما الشمس؟ فيُجاب بأنها كوكبٌ نهاريٌّ.

ج ـ أو يُطْلَبُ بها بيان الصفَة نحو: ما خليلٌ؟ وجوابه طويل أو قصير، مَثَلاً.

وتقع «هل» البسيطة في التّرتيب العقلي[2] بين «ما» التي لشرح الاسم والتي للحقيقة، فَمن يجهل معنى البشر مثلاً يَسأل أَوّلاً «بما» عن شرحه فيُجاب بإنسان؛

---

(١) أي لأنّ «هل» في الأصل بمعنى قد، وهي لا تدخل على المنفي، فلا يقال قد لا يقوم خليل، فحينئذٍ هي مخصوصة بدخولها على النسب المثبتة، سواء أكانت جملاً فعلية أو إسمية، واعلم أن عدم دخولها على المنفي لا ينافي أنها لطلب التصديق مطلقاً سواء في الإيجابي والسلبي.
أي لا تقع «هل» قبل الحرف العاطف بل تقع بعده دائماً.

(٢) الترتيب العقلي هو أن يكون المتأخر متوقفاً على المتقدم من غير أن يكون المتقدم علة له، كتقدم المفرد على المركب.

ثم «بهل» البسيطة عن وجوده، فيُجاب بنعم.

ثم «بما» عن حقيقته، فيُجاب بحيوان ناطق.

و «من»: موضوعة للاستفهام، ويُطلب بها تعيين العقلاء، كقولك: مَنْ فتحَ مصر؟ ونحو: مَنْ شيَّدَ الهرم الأكبر؟ ومَنْ شَيَّدَ القنَاطِرَ الخيريّة؟

متى ـ وأيان

«متى»: موضوعة للإستفهام، ويُطلب بها تعيين الزّمان سواء أكان ماضياً أو مستقبلاً، نحو: متى تولَّى الخِلافةَ عُمَرُ؟ ومتى نَحظى بالإستقلال؟[88].

«وأيّان»: موضوعة للإستفهام، ويُطلب بها تَعيين الزّمان المُستقبل خاصّةً وتكون في موضع التّهويل والتّفخيم دون غيره كقوله تعالى: ﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[1] [القيامة: ٦].

كيف وأين وأنىّ وكم وأي

كيف: موضوعة للإستفهام، ويُطلبُ بها تعيينُ الحال كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] ـ وكقوله:

وكـيـف أخـافُ الـفَـقـرَ أَو أُحـرَمُ الـغِـنَـى ورأيُ أمـيـرِ الـمُـؤمـنِـيـن جـمـيـلُ

وأين: للإستفهام، ويُطلب بها تعيين المكان نحو: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ [الأنعام: ٢٢]؟

وأنّى: للإستفهام، وتَأْتِي لمعان كثيرة:

١ ـ فتكون بمعنى كيف، كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

٢ ـ وتكون بمعنى مِنْ أين، كقوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ٣٧].

٣ ـ وتكون بمعنى متى، كقوله: زُرني أنّى شِئتَ.

---

(١) أي فقد استعملت أيان مع يوم القيامة للتهويل والتفخيم بشأنه، وجواب هذا السؤال **﴿يوم هم على النار يفتنون﴾** [الذاريات: ١٣].

---

[٨٨] هذا المثل متناسب مع الوضع السياسي في مصر حين تم تأليف الكتاب، وقد توفي أحمد الهاشمي «المؤلف» سنة ١٩٤٣، وكانت مصر تحت الحماية البريطانية.

وكم للإستفهام، ويُطلب بها تعيين عددٍ مُبهمٍ كقوله تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

وأيّ: للإستفهام، ويُطلب بها تمييزُ أحد المُتشاركين في أمرٍ يَعُمُّهمَا كقوله تعالى: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [مريم: ٧٣] ويُسأل بها عن الزمان والمكان والحال، والعدد، والعاقل؛ وغيره على حسب ما تضاف إليه.

وقد تخرُج ألفاظ الإستفهام عن معناها الأصلي، فيُستفهم بها عن الشّيء مع العلم به، لأغراض أخرى تُفهَم من سِياق الكلام ودلالته، ومن أهمّ ذلك:

١ ـ الأمر، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي انتهوا.

٢ ـ والنّهي، كقوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾[١] [التوبة: ١٣].

٣ ـ والتّسوية، كقوله تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٤ ـ والنّفي، كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[٢] [الرحمن: ٦٠].

٥ ـ والإنكار[٣]، كقوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠]

٦ ـ والتّشويق، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

٧ ـ والإستئناس، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧].

٨ ـ والتّقرير[٤]، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الإنشراح: ٢].

---

(١) أي لا تخشونهم فالله أحق أن تخشوه.

(٢) أي ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

(٣) اعلم أن الإنكار إذا وقع في الإثبات يجعله نفياً، كقوله تعالى: **﴿أفي الله شك﴾** [إبراهيم: ١٠] أي لا شك فيه، وإذا وقع في النفي يجعله إثباتاً نحو قوله تعالى: **﴿ألم يجدك يتيماً﴾** [الضحى: ٧] أي قد وجدناك وبيان ذلك أن إنكار الإثبات والنفي نفي لهما. ونفي الإثبات نفي، ونفي النفي إثبات. ثم الإنكار قد يكون للتكذيب نحو: **﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾** [القيامة: ٣٦] وقد يكون للتوبيخ واللوم على ما وقع نحو **﴿أتعبدون ما تنحتون﴾** [الصافات: ٩٥] وهذه الآية من كلام إبراهيم عليه السلام لقومه حينما رآهم يعبدون الأصنام من الحجارة.

(٤) ويكون غالباً بالهمزة يليها المقرر به كقولك أفعلت هذا، إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان =

٩ ـ والتَّهويل، كقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ [الحاقة: ١ـ ٣].

١٠ ـ والإستبعاد، كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣] ونحو: أنَّى يكون لي مالُ قارونَ.

١١ ـ والتّعظيم، كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

١٢ ـ والتحقير، نحو: أهذا الذي مدحتَه كثيراً.

١٣ ـ والتّعجُّب، كقوله تعالى: ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] ـ ونحو: ما بَالك تضيّع الوقت سُدًى.

١٤ ـ التهكُّم، نحو: أعقلك يُسوِّغُ لك أن تفعل كذا.

١٥ ـ والوعيد، نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦].

١٦ ـ والإستبطاء، كقوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] ونحو: كم دعوتك.

١٧ ـ والتنّبيه على الخطأ، كقوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

١٨ ـ والتّنبيه على الباطل، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ [الزخرف: ٤٠].

١٩ ـ والتّنبيه على ضلال الطّريق، كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦].

٢٠ ـ والتّكثير، كقول أبي العَلَاءِ المعرّي:

صاحِ هـذه قبورُنا تَملأ الرَّحـ ـبَ فأين القُبُورُ من عَهدِ عَادِ

= منه، وكقولك أأنت فعلت هذا، إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل، وكقولك أخليلاً ضربت، إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه خليل، ويكون التقرير أحياناً بغير الهمزة نحو: لمن هذا الكتاب، وكم لي عليك.

تطبيق

ماذا يراد بالاستفهام فيما يلي:

١ ـ أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطايا ... وأَنْدَى العالمين بُطُونَ راحِ
٢ ـ أَنَلْهُو وأيّامُنَا تَذْهَبُ ... ونلعبُ والموتُ لا يلْعَبُ
٣ ـ متى يبلغ البنيانُ يوماً تمامَه ... إذا كُنْتَ تَبْنيه وغَيرُكَ يَهدِمُ
٤ ـ فَعَلَام يلتمِسُ العدوُّ مساءتي ... مِنْ بَعْدِ ما عرَفَ الخلائقُ شاني
٥ ـ وكَيْفَ أخافُ الفقْر أَوْ أُحْرَمُ الغنى ... ورأيُ أميرِ المؤمنين جميلُ
٦ ـ وهل نافعي أن تُرْفع الحُجْب بَيْنَنا ... ودُونَ الذي أمّلتُ منكَ حِجابُ
٧ ـ أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ... ليَوْم كريهةٍ وسدادِ ثَغْر
٨ ـ ومَنْ مِثْلُ كافورٍ إذا الخيلُ أَحْجَمَتْ ... وكان قليلاً مَنْ يقول لها اقْدِمي
٩ ـ أفي الحقِّ أنْ يُعطَى ثلاثون شاعراً ... ويُحْرمَ ما دون الرِّضا شاعرٌ مثْلي
١٠ ـ أعندي وقَدْ مارَسْتُ كلَّ خفيّةٍ ... يُصدِّقُ واشٍ أو يُخيِّبُ سائلُ
١١ ـ فَدَعِ الوعيدَ فما وعيدُكَ ضائري ... أطنينُ أجْنِحَةِ الذُّبابِ يَضيرُ
١٢ ـ ومن ذا الذي يُدْلِي بعُذْرٍ وحُجَّةٍ ... وسَيْفُ المنايا بَيْنَ عينيهِ مُصْلَتُ
١٣ ـ إذا محاسنيَ اللاتي أتيه بها ... عُدَّتْ ذنوباً فَقُلْ لي كَيْفَ أَعْتَذِرُ
١٤ ـ إلَامَ وفيمَ تَنْقُلُنا رِكَابٌ ... ونأمَلُ أنْ يكونَ لنا أوانُ

أسئلة على الاستفهام يُطْلب أجوبتها

ما هو الاستفهام؟

ما هي أدواته؟

---

١ ـ التقرير لأن المقام للمدح وذلك أبلغ فيه
٢ ـ النهي عن اللعب ويصح أن يكون للتهكم
٣ ـ الإنكار وبيان أن ذلك لن يكون
٤ ـ التعجب من عمل لا يجديه نفعاً
٥ ـ النفي وذلك أوقع في المدح
٦ ـ النفي وبيان أن ذلك ليس بمفيد
٧ ـ التعظيم وإكبار شأنه
٨ ـ التعظيم والتنويه بشجاعته
٩ ـ الإنكار وبيان أن ذلك لا ينبغي أن يكون
١٠ ـ الإنكار وبيان أن ذلك لا ينبغي أن يكون
١١ ـ التهكم والتحقير
١٢ ـ التعظيم وتهويل شأن ذلك الموقف
١٣ ـ النفي
١٤ ـ الاستبطاء

ما الذي يُطلب بالهمزة؟

ما هو التصوُّر؟

ما هو التصديق؟

ما الفرق بين همزة التصور وهمزة التصديق وهل؟

ماذا يطلب بأدوات الاستفهام غير الهمزة وهل؟

ما الذي يطلب بمن؟

ما الذي يطلب بما؟

ما الذي يطلب بمتى؟

ما الذي يطلب بكيف؟

ما الذي يطلب بكم؟

ما الذي يطلب بأيان؟

ما الذي يطلب بأنّ؟

ما الذي يطلب بأيّ؟

ما هي المعاني التي تخرج إليها أدوات الاستفهام عن معانيها الأصلية؟

المبحث الرابع

في التّمنّي

ألتمنّي: هو طَلبُ الشيء المحبوب الذي يُرجى حصولُه

١ ـ إمّا لكونه مستحيلاً، كقوله:

ألا ليتَ الشَّبابَ يعودُ يوماً فأُخبرَه بما فَعَلَ المَشيبُ

٢ ـ وإمّا لكونه ممكناً غير مطموعٍ في نيله كقوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ [القصص: ٧٩].

وإذا كان الأمرُ المحبوبُ ممّا يُرْجَى حصولُه كان طلبه ترجّياً، ويُعبَّرُ فيهِ «بعسَى، ولعلَّ» كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١] و ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ [المائدة: ٥٢].

وقد تُستَعملُ في التَّرجّي «لَيتَ» لِغرض بَلَاغِيٍّ[1] وللتَّمَنِّي أربعُ أدوات، واحدةٌ أصليَّةٌ وهي «لَيتَ»، وثلاثٌ غيرُ أصليَّةٍ نَائبةٌ عنها ويُتَمَنّى بها لغرض بلاغِيٍّ، وهي:

١ ـ هل[2] ـ كقوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾[3] [الأعراف: ٥٣].

٢ ـ ولو[4] ـ كقوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢].

---

(١) الغرض هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بُعد نيله، نحو:

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وما بين المصائب

وقد تستعمل أيضاً للتندّم نحو: **﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾** [الفرقان: ٢٧].

(٢) اعلم أن سبب العدول عن ليت إلى «هل» إبراز المتمنَّى لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا يجزم بانتفائه وهو المستفهم عنه.

(٣) لما كان عدم الشفاء معلوماً لهم امتنع حقيقة الاستفهام وتولّد منه التمني المناسب للمقام.

(٤) وسبب العدول إلى «لو» الدلالة على عزة متمناه وندرته حيث أبرزه في صورة الذي لا يوجد لأن «لو» تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

٣ ـ ولَعلَّ[1] كقوله:

أسِربَ القَطا هلْ مَن يُعيرُ جناحهُ ... لعلّي إلى مَنْ قدْ هَويتُ أطيرُ

ولأجل استعمالِ هذه الأدوات في التَّمَنِّي يُنصبُ المضارع الواقع في جوابها.

تمرين

بيِّن المعاني المُستفادةَ من صِيغ التَّمني فيما يأتي:

قال تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]

عَلَّ اللّيالي الّتي أضْنت بفُرْقتنا ... جِسمي سَتَجمعُني يوماً وتَجمعهُ

لو يأتينا فيُحدِّثنا، لعلّي أحجُّ فأزورَك، ﴿يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧] ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤] ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ [القصص: ٧٩] ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [غافر: ٣٦]، لوْ تتلو الآياتِ فتشقّ سمعي.

كُلُّ مَنْ في الكَوْنِ يشكُو دَهرَهُ ... ليتَ شِعري هذه الدنيا لِمَنْ

فلَيْتَ اللّيلَ فيه كانَ شهْراً ... ومرَّ نهارُهُ مَرَّ السَّحابِ

فلَيْتَ هَوَى الأحِبة كانَ عَدْلاً ... فحمَّلَ كُلَّ قلْبٍ ما أطاقا

---

(١) وذلك لبعد المرجو فكأنه مما لا يرجى حصوله، واعلم أن «هلّا، وألّا ولوما ولولا» ـ مأخوذة من «هل ولو» بزيادة ما ولا عليهما، وأصل «ألّا هلّا» قلبت الهاء همزة ليتعين معنى التمني ويزول احتمال الاستفهام والشرط فيتولّد من التمني معنى التنديم في الماضي نحو: هلّا قمت، ومعنى التحضيض في المستقبل نحو هلّا تقف ولا يُتمنى بهل ولو ولعل إلا في المقطوع بعدم وقوعه لئلا تحمل على معانيها الأصلية.

المبحث الخامس

في النِّداء

النِّداء ـ هو طلب المُتكلِّم إقبالَ المُخاطَبِ عليه بحرف نائب مناب «أُنادِي» المنقول من الخبر إلى الإنشاء، وأدواته ثمانية:

الهمزة. وأيّ. ويَا. وآ. وآيْ. وأيَا. وَهيَا. ووَا(١)

وهي في الاستعمال نوعان:

١ ـ الهمزة وأيّ لنِدَاء القريب.

٢ ـ وباقي الأدوات لِنِدَاء البعيد.

وقد يُنَزَّلُ البعيد منزلة القريب، فيُنادى «بالهمزة وأيّ»، إشارة إلى أنه لِشدَّة استحضاره في ذهن المتكلّم صار كالحاضر معه لا يغيب عن القلب وكأنه ماثِلٌ أَمامَ العين ـ كقول الشاعر:

أَسُكَّانَ نَعمانِ الأَراكِ تيَقَّنوا ... بأنكم في رَبع قلبيَ سُكّانُ

وقد يُنَزَّلُ القريب منزلة البعيد، فيُنادى بغير «الهمزة وأيّ»:

١ ـ إشارةً إلى عُلوِّ مرتبته، فيُجعلُ بُعدُ المنزلة كأنه بُعْدٌ في المكان، كقولك: أيا مولاي، وأنت معه للّدلالة على أن المُنادَى عظيمُ القدر رفيعُ الشّأن.

ب ـ أو إشارة إلى انحطاط مَنْزلتِهِ ودرجتِهِ ـ كقولك: أيا هذا، لمن هو معك.

جـ ـ أو إشارة إلى أن السّامع لغفلته وشرود ذهنه كأنّه غيرُ حاضر كقولك للسّاهي: أيا فلان، وكقول البارودي[٨٩]:

يأيُّها السَّادِرُ المُزْوَرُّ مِنْ صَلَفٍ ... مَهلاً فإنَّكَ بالأيّامِ مُنْخَدِعُ(٢)

---

(١) اعلم أن لفظ الجلالة يختص نداؤه بيا.

(٢) السادر: الذاهب عن الشيء ترفعاً عنه، والذي لا يبالي ولا يهتم بما صنع. المزور: المنحرف، والصلف: الكبر.

---

[٨٩] البارودي: محمود سامي (١٨٤٠ ـ ١٩٠٤) شاعر من شعراء عصر النهضة المقدمين، وسياسي امتاز شعره بالجزالة والسهولة.

وقد تخرج ألفاظ النِّدَاء عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تُفهم من السِّياق بمعونة القرائن، ومن أهمّ ذلك:

١ ـ الإغراءُ، نحو: قولك لمن أقبل يتظلّم: يا مظلومُ.

٢ ـ والاستغاثة، نحو: يَالله للمُؤمنين.

٣ ـ والنُّدبة، نحو:

فوا عجباً كم يدَّعي الفضْلَ ناقصٌ ... وَوَا أسفاً كم يُظهِر النَّقصَ فاضلُ

٤ ـ والتّعجب كقوله:

فيا لكِ مِن قُبَّرَةٍ بمَعْمَرِ ... خَلَالكِ الجوُّ فبِيضِي واصفِري

٥ ـ والزَّجر، كقوله:

أَفُؤَادِي مَتَى المتابُ ألَمَّا ... تَصْحُ والشَّيْبُ فَوْقَ رَأْسِي ألَمّا

٦ ـ والتّحَسُّر والتَّوجُّع، كقوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠] وكقول الشاعر:

أيا قَبرَ مَعْنٍ كيف وَاريْتَ جُودَهُ ... وقَدْ كانَ مِنْهُ البَرُّ والبحرُ مُترَعا

٧ ـ والتّذَكر، كقوله:

أيا منزِلَيْ سَلْمَى سَلَامٌ عَلَيْكُما ... هَل الأَزمُنُ اللَّاتِي مَضيْنَ رواجعُ

٨ ـ والتَّحيُّر والتَّضَجُّر، نحو قوله:

أَيَا مَنازِلَ سَلْمَى أيْنَ سَلْمَاكِ ... مِنْ أَجْلِ هذَا بَكَيْنَاهَا بكَيناكِ

ويكثر هذا في نداء الأَطلال والمطايا ونحوها.

٩ ـ والاختصاص[١]: وهو ذكر اسم ظاهر بعد ضمير لبيانه، نحو: قوله تعالى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود: ٧٣] ونحو: نَحن العُلماءَ ورثةُ الأنبياء ويكون الاختصاص:

أ ـ إمّا للتفاخر نحو: أنا أُكرِمُ الضّيْفَ أيّها الرَّجُلُ.

ب ـ وإما للتّواضع نحو: أَنا الفقيرُ المسكينُ أَيُّها الرَّجُلُ.

---

(١) بيان ذلك أن النداء تخصيص المنادي بطلب إقباله عليك، فجرد عن طلب الإقبال واستعمل في تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب إليه منها.

ونحو: أَللّهم اغفر لنا أَيتها العِصابَة(١).

تمرين

بيِّن المعاني الحقيقيَّة المستفادة من صيغ النِّدَاء، والمعاني المجازيةَ المستفادة من القرائن:

صاحِ شمِّرْ ولا تزَلْ ذاكِر المو ... تِ فَنِسْيانُهُ ضَلَالٌ مُبِينُ

يا لقَوْمي وَيا لأَمْثَالِ قَوْمِي ... لِأُنَاسٍ عُتُوُّهُمْ في ازْدِيَادِ

يَا للرِّجال ذَوِي الألباب مِنْ نَفَرٍ ... لا يَبرَحُ السفَّهُ المُزْدِي لَهُمْ دِيناً

أيُّها القَلْبُ قَدْ قَضَيتَ مَرَاماً ... فإلامَ الوُلُوع بالشَّهواتِ

أَيا شَجَرَ الخابورِ مالَكَ مُورِقاً ... كأنَّكَ لم تَجْزَعْ على ابنِ طَرِيفِ

يا أيُّها الظَّالمُ في فِعْلِهِ ... الظُّلْمُ مَرْدُودٌ على مَنْ ظَلَم

أَرَيْحانةَ العينينِ والأنْفِ والْحَشَا ... أَلَا لَيْتَ شِعْري هَلْ تغيَّرْتِ مِنْ بَعْدِي

يا ناقُ سِيري عَنقاً فسيحَا ... إلى سُلَيْمانَ فنستريحا[٩٠]

حَجبُوهُ عن الرِّياحِ لأني ... قُلْتُ يا ريحُ بلِّغيهِ السَّلَاما

يا ليتني كُنْتُ صبيًّا مُرضَعَا ... تحملُني الذَّلفاءُ حوْلاً أكتعا[٩١]

يا ليلةً لستُ أَنْسَى طيبَها أبداً ... كأنَّ كلَّ سرورٍ حاضرٌ فيها

يا ليلةً كالمِسْكِ مَخْبرُها ... وكَذَاكَ فِي التَّشبيهِ مَنْظَرُها

أَحْيَيْتُها والبدْرُ يخدُمني ... والشَّمسُ أنْهاها وآمُرها

---

(١) أي اللهم اغفر لنا مخصوصين من بين العصائِبْ، فصورته صورة النداء وليس به إذا لم يرد به إلا ما دل عليه ضمير المتكلم السابق. ولذا لا يجوز إظهار حرف النداء فيه.

---

[٩٠] عنقا: عنق يعنُق عَنَقاً: طال عنقه. وعنق عليه مشى وأشرف.

[٩١] حولاً أكتعا: أي سنة كاملة: والذلفاء: من الذَّلف وهو صغر الأنف مع استواء أرنبته قال الشاعر أبو النجم:

للَّثم عندي بهجة ومزيَّة ... وأحب بعض ملاحة الذلفاء

وقال آخر:

إنما الذلفاء ياقوتة ... أخرجت من كيس دهقان

ومعنى الذلفاء: المرأة المليحة.

يـا مَـنْ تُـذَكِّـرنـي شَـمَـائِـلُـهُ ... ريحَ الشَّـمـالِ تَـنَـفَّـسَـتْ سَـحَـرا
وإذا امْـتَـطَـى قَـلَـمٌ أنـامِـلَـهُ ... سَـحَـرَ الـعـقـولَ بـه ومـا سَـحَـرا
يا قَلْبُ وَيْحَكَ ما سمعتَ لِنَا صِحِ ... لـمّـا ارْتَـمَـيْـتَ ولا اتَّـقَـيْـتَ مَـلَامـا
يـا أَعْـدل الـنَّـاس إلَّا فـي مـعـامـلـتـي ... فيكَ الخِصامُ وأَنْتَ الخَصْمُ والحَكَمُ

تنبيهات

الأول: يُوضع الخبرُ موضعَ الإنشاء لأَغراضٍ كثيرة ـ أهمها:

١ ـ التّفاؤل: نحو هداك اللَّهُ لصالح الأعمال، كأنّ الهدايةَ حصلت بالفعل فأخبرَ عنها، ونحو: وفّقك الله.

٢ ـ والاحتراز عن صورة الأمر تأدّباً واحتراماً نحو: رحم الله فلاناً، ونحو: يَنظر مولايَ في أمري ويَقضِي حاجتي.

٣ ـ والتّنبيه على تيسُّرِ المطلوب لقوّة الأسباب، كقول الأمير لجنده: تأخذون بنوَاصيهم وتُنزلونهم من صَياصيهم.

٤ ـ والمُبالغة في الطّلب للتنبيه على سُرعة الامتثال، نحو: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] لم يقُل لا تسفكوا قصداً للمُبالغة في النَّهي حتى كأنّهم نهُوا فامتثلوا، ثم أَخبر عنهم بالامتثال.

٥ ـ إظهار الرَّغبة، نحو قولك في غائب: رزقني الله لِقاءَهُ.

الثاني: يُوضع الإنشاء موضع الخبر لأغراض كثيرة.

أ ـ منها إظهار العناية بالشّيء والاهتمام بشأنه كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩] لم يقل وإقامةِ وجوهكم إشعاراً بالعناية بأمر الصلاة، لعظيم خَطَرِها، وجَليل قَدرها في الدِّين.

ب ـ ومنها التّحاشِي والاحتراز عن مُساواة الّلاحق بالسّابق، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ [هود: ٥٤، ٥٥] لم يقل وأشهدكم تحاشياً وفراراً من مساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى.

الثالث: الإنشاء كالخبر في كثير ممّا ذكر فيه، ومما سيُذكر في

الأبواب التالية من الذكر والحذف وغيرهما إن شاء الله تعالى .

تطبيق (أ) .

بيّن المعاني المستفادة من النّداء، وسببَ استعمال أداةٍ دون غيرها فيما يلي :

١ ـ أيا مَنَازِلَ سَلْمَى أيْنَ سَلماكِ ... مِنْ أجلْ هَذَا بكَيناها بكَيناكِ[١]

٢ ـ صادِحَ الشَّرْقِ قدْ سكَتَّ طَويلاً ... عزِيزٌ علينَا ألّا تَقُولا[٢]

٣ ـ أيا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وارَيْتَ جُودَهُ ... وقَدْ كان مِنْهُ البَرُّ والبَحْرُ مُتْرَعا[٣]

٤ ـ يا دُرَّةً نُزِعَتْ من تاج والدها ... فأصبحت حِلْيَةً في تاجِ رِضوانِ

٥ ـ فيا لائِمي دعني أغالي بقيمتي ... فقيمةُ كل الناسِ ما يُحسنونه

الرقم	الأداة	المعنى المستفاد	سبب إيثار الأداة
١ ـ	أيا	التضجر والتحير معاً	تنزيل المنازل المخاطبة منزلة البعيد لعظم شأنها لديه
٢ ـ	يا	التضجر والتحير معاً	كون المنادى بعيد المرتبة حقيقة
٣ ـ	أيا	التحسر	تنزيل المخاطب منزلة البعيد إشعاراً برفعة شأنه
٤ ـ	يا	التحسر	تنزيل المنادى منزلة البعيد تنويهاً بعظم الأمر ورفعة القدر
٥ ـ	يا	الطلب	للإشارة إلى أن المخاطب منحط الدرجة

---

(١) يريد لعدم وجود سلمى بكيناها وبكينا المنازل، فواو العطف محذوفة .
(٢) صدح الرجل رفع صوته بالغناء .
(٣) المترع أي المملوء .

تطبيق (ب)

وضّح الاعتبار الدّاعي لوضع كلٍّ من الخبر والإنشاء موضع الآخر:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

٣ ـ أتاني أبَيْتَ اللّعْنَ أنّكَ لُمتَنِي ... وَتِلْكَ الّتي أهْتَمُّ منها وأنْصَبُ[1]

٤ ـ إذاً فَعاقَبَني ربّي مُعاقَبَةً ... قرّتْ بها عينُ مَنْ يأتيكَ بالحَسَدِ

الرقم	نوع الكلام	البيان	الاعتبار
١ ـ	الإنشاء	إذ التقدير أحسنوا بالوالدين والمقام للأخبار	الاهتمام وإظهار العناية
٢ ـ	الخبر	إذ المعنى ليأمن من دخله	إظهار الحرص على وقوعه
٣ ـ	الخبر	المقام للإنشاء إذ الغرض الدعاء له	التفاؤل بالدعاء
٤ ـ	الخبر	المقام للطلب	لإظهار الحرص على وقوعه

تدريب

بيِّن فيما يلي الغرضَ من وضع الإنشاء موضعَ الخبر وبالعكس:

١ ـ كُلُّ خليلٍ كُنتُ خالَلتُه ... لا تَرَكَ اللّهُ لهُ واضِحَة

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا﴾ [هود: ٤١].

٣ ـ قولك لصديقك. رزقني الله لقاءك.

٤ ـ ولائمة لَامَتْكَ يا فَضْلُ في النّدَى ... فقلتُ لها هل أثّرَ اللّومُ في البحرِ
أتَنْهَيْنَ فَضْلاً عَنْ عطاياهُ لِلْوَرَى ... ومَنْ ذا الذي يَنْهَى الغَمامَ عن القَطْرِ

---

(١) أبيت اللعن: كانت تحية الملوك ومعناها أبيت أن تفعل شيئاً تلعن به اهتم: أي أصير ذا همّ. أنصب: أي أتعب.

أسئلة يطلب أجوبتها

١ ـ عرّف التّمني واذكر ألفاظه.

٢ ـ بيّن الفرق بين التَّمني والتّرجي، واذكر ألفاظ ثانيهما.

٣ ـ بيّن النّداء واذكر أدواته، وقسّمها من حيث الاستعمال.

٤ ـ متى يُنزَّل القريب منزلة البعيد وبالعكس؟

٥ ـ بيّن المعاني المجازية التي تُستفاد من ألفاظ النّداء.

٦ ـ بيّن الأغراضَ الدّاعية لإِيثار الخبر في مقام الإِنشاء.

٧ ـ لِمَ يُوضع الإِنشاءُ موضع الخبر؟

تطبيق عام

على الباب الثاني

١ ـ أنا الذَّائدُ الحامِي الذّمارَ وإنّما يُدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

الجملة الأولى: خبرية اسمية من الضرب الابتدائي[٩٢]، والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة، المسند إليه: أنا، والمسند: الذائد، والجملة الثانية خبرية فعلية من الضرب الثالث، لما فيها من التوكيد بإنما، والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة أيضاً، المسند: يدافع، والمسند إليه: أنا.

٢ ـ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التوبيخ ـ المسند إليه: ربّ، والمسند: ظلّام.

٣ ـ أنت خرجت عن حدّك: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التوبيخ، المسند إليه: أنت. والمسند: جملة خرجت.

٤ ـ ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء: ١١٧] جملة ربّ إنشائية ندائية، والمراد بها الدعاء، المسند والمسند إليه محذوفان نابت عنهما ياء النداء المحذوفة، وجملة إن قومي كذَّابون: خبرية اسمية من الضرب الثالث، المراد بها إظهار التحسر. المسند إليه: قومي، والمسند: جملة كذَّابون.

٥ ـ زارنا الغيث: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. المراد بها إظهار

---

[٩٢] أضرُبُ الخبر ثلاثة: ابتدائي، طلبي، إنكاري. وحين يشير المؤلف إلى نوع الضرب الخبري بكلمة الأول فهو يعني الابتدائي وبكلمة الثاني فهو يعني الطلبي وبكلمة الثالث فهو يعني الإنكاري/ راجع ص ٥٧ من الكتاب تحت عنوان: في كيفية إلقاء المتكلم الخبر للمخاطب.

الفرح، المسند إليه: الغيث. والمسند: زار. وأتى بها فعلية لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار.

٦ ـ ذهب عنا الحزن: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. والمراد بها إظهار الشماتة بمدبر، المسند: ذهب. والمسند إليه: الحزن، وأتى بها فعلية لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار.

٧ ـ قابلت الأمير: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. والمراد بها إظهار السرور. المسند: قابل. والمسند إليه: التاء.

٨ ـ أنا ممتثل لأمرك: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي والمراد بها إظهار التواضع، المسند إليه: أنا. والمسند: ممتثل. وأتى بها اسمية لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه.

٩ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـًٔا﴾ [يونس: ٤٤]. جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التوبيخ للناس. المسند إليه: لفظ الجلالة. والمسند: لا يظلم. وأتى بالمسند جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد، والجملة الاسمية مفيدة للاستمرار الآن بقرينة الإسناد إلى الله تعالى.

١٠ ـ ما جاءنا من أحد: جملة خبرية فعلية من الضرب الثالث، والمراد بها فائدة الخبر. المسند: جاء، والمسند إليه: أحد، وأتى بها فعلية لما تقدم.

١١ ـ أنت نجحت: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد. والمراد بها لازم الفائدة، المسند إليه: أنت. والمسند: جملة نجحت

١٢ ـ حضر الأمير: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. والمراد بها أصل الفائدة، المسند: حضر. والمسند إليه: الأمير.

١٣ ـ سيحرم المقصر: خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد بها الذم. المسند: سيحرم. والمسند إليه: المقصر. وهي تفيد الاستمرار التجددي بقرينة الذم.

١٤ ـ ما برح المقصر نادماً: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد بها الذم، المسند إليه: المقصر. والمسند: نادماً. وهي مفيدة للاستمرار بقرينة ما برح.

١٥ ـ كلما جئتني أكرمتك: جملة أكرمتك خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، وهي الجملة، وما قبلها قيد لها، لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها،

المسند: أكرم، والمسند إليه: التاء، وهي مفيدة للاستمرار التجدّدي بقرينة كلمّا.

١٦ ـ ما مجتهد صاحباك: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، ولا يقال اسمية لأن الاسم حل محل الفعل، ولذلك رفع ما بعده على أنه فاعله، والمراد بها الاستمرار بقرينة الذم، المسند: مجتهد. والمسند إليه: صاحباك، وقس عليها نحو ما مبغوض أنت، وما حسن فعل أعدائك. وأقائم أخواك، وهل منصف أصحابك.

١٧ ـ كلما ذاكر المجتهد استفاد: جملة استفاد فعلية خبرية من الضرب الابتدائي، المسند: استفاد، والمسند إليه: هو، وهي مفيدة للاستمرار التجدديّ بقرينة كلّما.

١٨ ـ الشمس طالعة: للعاثر، جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي. المسند إليه: الشمس والمسند: طالعة. والمراد بها التوبيخ.

١٩ ـ الكريم محبوب: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، المسند إليه: الكريم. والمسند محبوب، والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح.

٢٠ ـ من يسافر؟: جملة انشائية استفهامية. المسند إليه: من، والمسند: جملة يسافر.

٢١ ـ التفتوا: جملة إنشائية أمرية. المسند: التفت والمسند إليه: الواو.

٢٢ ـ لا تتركوا المذاكرة: جملة إنشائية نهيية. المسند: تترك. والمسند إليه الواو.

٢٣ ـ ليت البخيل يجود: جملة إنشائية تمنية اسمية. المسند إليه: البخيل. والمسند: جملة يجود.

٢٤ ـ هل فهمتم؟: جملة إنشائية استفهامية والمسند: فهم. والمسند إليه: التاء.

٢٦ ـ يا تلاميذ: جملة إنشائية ندائية. المسند والمسند إليه محذوفان تقديرهما أدعو، نابت عنهما يا.

الباب الثالث

في أحوال المُسند إليه

المُسندُ إليه: هو المبتدأ الذي له خبر، والفاعل ونائبه وأسماء النواسخ. وأحواله هي: الذكر، والحذف، والتّعريف، والتنكير، والتَّقديم، والتَّأخير وغيرها. وفي هذا الباب عدة مباحث.



المبحث الأول

في ذكر المسند إليه

كلّ لفظ يدلّ على معنًى في الكلام خليقٌ بالذكر لتأدية المعنى المرادِ به، فلهذا يُذكر المُسند إليه وجوباً، حيث لا قرينة تدلّ عليه عند حذفه، وإلّا كان الكلام مُعمًّى مُبهماً لا يَستبينُ المرادُ منه، وقد يُعمد إلى الذّكر مع وجود قرينة تُمكِّن من الحذف، وذلك لأغراض بلاغيّة كثيرة[(١)] منها:

١ ـ زيادة التّقرير والإيضاح للسّامع، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(٢)] [البقرة: ٥] ـ وكقول الشاعر:

هو الشّمس في العَلْيَا هو الدّهر في السّطا[٩٣] ... هو البدرُ في النّادي هو البحرُ في النّدى

٢ ـ قِلّة الثّقة بالقرينة لضعفها، أو ضعف فهم السّامع، نحو: سعدٌ نِعم الزّعيمُ، تقول ذلك إذا سبق لك ذكر سعد، وطال عهد السامع به، أو ذُكر معه كلام في شأن غيره.

٣ ـ الرّد على المُخاطب نحو: الله واحد، ردًّا على من قال اللَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ.

٤ ـ التّلذُّذ. نحو: الله ربّي، اللَّهُ حسبي.

٥ ـ التّعريضُ بغباوة السّامع نحو: سعيدٌ قال كذا، في جواب ماذا قال سعيد.

٦ ـ التّسْجيل على السّامع[(٣)]، حتّى لا يَتأتّى له الإِنكار، كما إذا قال الحاكم

---

(١) بيان ذلك أنه إذا لم يكن في الكلام قرينة تدلّ على ما يراد حذفه، أو وجدت قرينة ولم يكن هناك غرض يدعو إلى الحذف فلا بد من الذكر جرياً على الأصل، وقد تدعو الظروف والمناسبات إلى ترجيح الذكر مع وجود قرينة تمكّن من الحذف وذلك لأغراض مختلفة كالمذكورة هنا.

(٢) الشاهد في أولئك هم المفلحون حيث كرر اسم الإشارة المسند إليه للتقرير والإيضاح تنبيهاً على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة والميزة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح أيضاً.

(٣) أي كتابة الحكم عليه بين يدي الحاكم.

---

[٩٣] السّطا: من السطو أي القهر والبطش.

لشاهدٍ: هل أقرّ زيد هذا بأنّ عليه كذا؟. فيقول الشاهد: نَعَمْ، زيد هذا أَقَرَّ بأنّ عليه كذا[1].

٧ ـ التعجُّب ـ إذا كان الحكم غريباً ـ نحو: عليٌّ يُقاوِمُ الأسد، في جواب من قال: هل عليٌّ يقاوم الأسدَ؟.

٨ ـ التَّعظيم ـ نحو: حضر سيف الدولة. في جواب من قال: هل حضر الأمير؟.

٩ ـ الإِهانة ـ نحو: السَّارق قادم. في جواب من قال: هل حضر السّارق!؟

---

(١) فيذكر المسند إليه لئلا يجد المشهود عليه سبيلاً للإنكار بأن يقول للحاكم عند التسجيل إنما فهم الشاهد أنك أشرت إلى غيري، فأجاب: ولذلك لم أنكر ولم أطلب الأعذار فيه.

المبحث الثاني

في حذف المُسند إليه

الحذف خلاف الأصل وهو قسمان:

أ ـ قسم يظهر فيه المحذوف عند الإعراب، كقولهم: أهلاً وسهلاً، فإنّ نصبَهما يَدُلّ على ناصب محذوف يقدّر: بنحو: جئتَ أهلا ونزلت مكاناً سهلاً، وليس هذا القسم من البلاغة في شيء.

ب ـ وقسم لا يظهر فيه المحذوف بالإعراب، وإنما تعلم مكانه إذا أنتَ تصفّحت المعنى وجدته لا يتمّ إلا بمُراعاته، نحو: يُعطي ويَمنع، أي يعطي ما يشاء ويمنع ما يشاء، ولكن لا سبيل إلى إظهار ذلك المحذوف، ولو أنت أظهرته زالت البهجة وضاع ذلك الرّونق[1].

ومن دواعي الحذف، إذا دلَّت عليه قرينة وتعلَّق بتركه غرض من الأغراض الآتية:

١ ـ ظهوره بدلالة القرائن عليه نحو: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩] أي أنا عجوز.

٢ ـ إخفاء الأمر عن غير المخاطب، نحو: أقبلَ، تُريد عَلِيًّا مثلاً.

٣ ـ تَيَسُّر الإنكار عند الحاجة، نحو: لئيم خسيس، بعد ذكر شخص.

٤ ـ الْحَذر منْ فوات فرصة سانحة، كقول مُنَبِّهِ الصيَّاد: غزال «أي هذا غزال».

---

(١) وفي هذا القسم تظهر دقائق البلاغة ومكنون سرها وروائع أساليبها، ولهذا يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في باب الحذف: إنه باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبُر، وتدفعها حتى تنظر، والأصل في جميع المحذوفات على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدلّ عليها، وإلّا كان الحذف تعمية وإلغازاً لا يصار إليه بحال، ومن شرط حسن الحذف أنه متى ظهر المحذوف زال ما كان في الكلام من البهجة والطلاوة، وصار إلى شيء غثّ لا تناسب بينه وبين ما كان عليه أوّلاً.

٥ ـ اختبار تنبُّه السَّامع، أو مقدار تنبُّهه، نحو: نوره مستفاد من نور الشَّمس، أو هو واسطة عقد الكواكب، أي القمر في كلٍّ من المثالين.

٦ ـ ضِيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجّر وتوجّع، كقوله:

قالَ لي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلٌ ... سَهَرٌ دائِمٌ وحُزْنٌ طَويلُ[١]

٧ ـ المُحافظة على السَّجع، نحو:

مَنْ طابَتْ سَرِيرَتُهُ، حُمِدَتْ سِيرتُهُ[٢].

٨ ـ المُحافظة على قافية، كقوله:

وَما المالُ وَالأَهْلُونَ إلّا ودَائِعٌ ... وَلَا بُدَّ يوماً أن تُرَدَّ الوَدائعُ[٣]

٩ ـ المُحافظة على وزن، كقوله:

على أنّني راضٍ بأَنْ أَحْمِلَ الهَوَى ... وأخلُصَ مِنْهُ لا عَلَيَّ وَلَا لِيا[٤]

١٠ ـ كونُ المسند إليه مُعيّناً معلوماً حقيقة نحو: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣] أي الله، أو ادّعاءً، نحو: وَهَّابُ الألوف، أي فلان.

١١ ـ إتّباع الاستعمال الوارد على تركه[٥]، نحو: رَمْيَةٌ من غير رامٍ، أي هذه رمية، ونحو: نِعْمَ الزّعيم سعدٌ، أي هو سعدٌ.

١٢ ـ الخوف منه أو عليه، نحو: ضُرِبَ سعيد.

١٣ ـ تكثيرُ الفائدة، نحو: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] أي فأمري صبرٌ جميل.

١٤ ـ تَعيُّنه بالعهدية، نحو: (واسْتَوَتْ على الْجُودِيِّ[٦]) أي السّفينة ونحو حتّى توارت بالحجاب، أي الشمس.

---

(١) أي لم يقل أنا عليل لضيق المقام بسبب الضجر الحاصل له من الضنى.

(٢) أي لم يقل حمد الناس سيرته للمحافظة على السجع المستلزم رفع الثانية.

(٣) فلو قيل أن يردّ الناس الودائع لاختلفت القافية لصيرورتها مرفوعة في الأول منصوبة في الثاني.

(٤) أي لا عليّ شيء ولا لي شيء.

(٥) وكذا أيضاً الوارد على ترك نظائره مثل الرفع على المدح نحو مررت بزيد الهمامُ، وعلى الذم نحو رأيت بكراً اللئيمُ ـ وعلى الترحم مثل: ترفق بخالد المسكينُ.

(٦) قيل الجودي هو الجبل الذي وقفت عليه سفينة نوح وهي معهودة في الكلام السابق في قوله واصنع الفلك بأعيننا.

تدريب

بيّن أسباب ذكر وحذف المسند إليه في الأمثلة الآتية:

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] الرَّئيس كلّمني في أمرك، والرئيس أمرني بمقابلتك(١) الأمير نشر المعارف، وأمَّنَ المخاوف(٢) محتالٌ مُراوغ(٣) مُنضِجةٌ للزَّرع، مُصْلِحَةٌ للهواء(٤)

فـعـبَّـاسٌ يـصُـدُّ الـخـطـبَ عـنَّـا وعـبَّـاسٌ يـجـيـرُ مَـن اسـتـجـارا

﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: ٣]، مقرر للشرائع موضح للدلائل ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٥) [النحل: ٩]

وإنّـي مـن الـقـوم الـذيـن هُـمُ هُـمُ إذا مـات مـنـهـم سـيِّـدٌ قـام صـاحـبـه

أنـا مَـصْـدَرُ الـكَـلِـمِ الـبَـوادِي بَـيْـنَ الـمـحـاضِـرِ والـنَّـوَادي

أنـا فـارسٌ أنـا شـاعـرٌ فـي كـلّ مـلـحـمـة ونـادِ

إن حَـلّ فـي رُومٍ فَـفـيـهـا قَـيْـصَـرٌ أوْ حَـلَّ فـي عُـرْبٍ فـفـيـهـا تُـبَّـعُ[٩٤]

تطبيق

وضّح دَواعي الحذف في التّراكيب الآتية:

مـلـوكٌ وإخـوانٌ إذا مـا مَـدَحْـتُـهـم أُحَـكَّـم فـي أَمْـوالـهـم وأُقَـرَّبُ

أَمَـا والـذي أَبْـكَـى وأَضْـحَـكَ والَّـذي أَمَـاتَ وأَحْـيَـا والَّـذِي أَمـرُهُ أَمْـرُ

(١) تخاطب غبيًا.
(٢) جواباً لمن سأل ما فعل الأمير؟
(٣)بعد ذكر إنسان.
(٤) تعني الشمس.
(٥) أي لو شاء هدايتكم.

[٩٤] تبّع: اسم ملك من ملوك اليمن في القديم قال تعالى: أهم خير أم قوم تبّع، وتبّع كما جاء في التفسير على لسان الزجاج: كان مؤمناً وأن قومه كانوا كافرين. (لسان العرب، باب العين، فصل التاء).

١ ـ لَسِنٌ إذا صَعِدَ المنابر أو نَضا قَلَّماً شأى الْخُطَباءَ والكُتَّابا[1]

٢ ـ عَليلُ الجسم مُمْتَنِعُ القيام شديدُ السُّكْرِ مِنْ غير المُدَام

٣ ـ أحجَّاجُ لا يفلَل سلاحُكَ إنّما الـ ـمنايا بكَفِّ اللَّهِ حيثُ تراها[2]

٤ ـ حَريصٌ على الدُّنيا مُضيعٌ لدِينه وليس لما في بَيْتِهِ بِمُضيع

٥ ـ وإنّي رأيتُ البُخْل يُزري بأهْلِهِ فأكْرَمْتُ نفسي أنْ يُقال بَخيلُ

٦ ـ لَوْ شِئتَ لم تُفسِدْ سماحةَ حاتم كَرَماً ولم تَهْدِمْ مآثِرَ خالِدِ

٧ ـ بَرْدُ حَشَايَ إنِ استطَعْتَ بِلَفْظَةٍ فَلَقَدْ تَضُرُّ إذا تَشاءُ وتَنْفَعُ[3]

٨ ـ نُجومُ سماءٍ كُلَّما غارَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ تأوي إليه الكواكب[4]

وقد عَلِمَ القبائِلُ مِنْ مَعَدٍّ إذا قُبَبٌ بأبْطَحِها بُنينا

بأنّا المُطْعِمون إذا قَدِرْنا وأنّا المُهْلِكون إذا ابتُلينا

وأنّا المانعون لما أَرَدْنا وأنّا النّازلون بحيثُ شِينا

وأنّا التّاركُون إذا سَخِطْنا وأنّا الآخذُون إذا رضِينا

الرقم	المحذوف	السبب
١	المسند إليه	ادعاء العلم به في مقام المدح
٢	المسند إليه	ضيق المقام من التوجع
٣	المسند إليه	العلم به
٤	المسند إليه	ادعاء العلم به في مقام الذم
٥	المسند إليه	العلم به
٦	المفعول	البيان بعد الإبهام
٧	المفعول	عدم تعلق الغرض به بتنزيل المتعدي منزلة اللازم
٨	المسند إليه	ادعاء تعيينه في مقام المدح

(١) نضا بمعنى جرّ ـ شأى: سبق.
(٢) فلول السيف: كسور في حده.
(٣) الحشا: ما انطوت عليه الضلوع.
(٤) أي هؤلاء نجوم.

أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب[٩٥]، أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة[٩٦] ولا فخر، خلّاق لما يشاء، الحمد لله الحميد، لا تخاطب السفيه اللئيم، وأحسن إلى الفقير المسكين.

[٩٥] صحيح البخاري/ كتاب الجهاد والسير/ الحديث رقم ٢٧١٣.

[٩٦] مسند أحمد/ الحديث رقم ١٠٥٦٤.

المبحث الثالث

في تعريف المسند إليه

اعلم أنَّ حقَّ المسند إليه أن يَكون معرفة، لأنّ المحكوم عليه ينبغي أن يكون معلوماً ليكونَ الحكم مُفيداً.

وتعريفه[1] إمّا بالإِضمار، وإمَّا بالعلَمِيَّة، وإمَّا بالإِشارة، وإمّا بالموصولية وإمّا بأل، وإمّا بالإضافة، وإمّا بالنداء.

---

(١) اعلم أن كلاً من المعرفة والنكرة يدل على معيَّن وإلا امتنع الفهم، إلا أن الفرق بينهما أن النكرة يفهم منها ذات المعيَّن فقط ولا يفهم منها كونه معلوماً للسامع، وأن المعرفة يفهم منها ذات المعيَّن ويفهم منها كونه معلوماً للسامع لدلالة اللفظ على التعيين، والتعيين فيها إما بنفس اللفظ من غير احتياج إلى قرينة خارجية كما في العَلَم وإما بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة كما في الضمائر، وإما بقرينة إشارة حسية كما في الإشارة - وإما بنسبة معهودة كما في الأسماء الموصولة وإما بحرف وهو المعرّف بأل والنداء. وإما بإضافة معنوية وهو المضاف إلى واحد مما ذكر ما عدا المنادي.

واعلم أنه قدم ذكر الإضمار لأنه أعرف المعارف، وأصل الخطاب أن يكون لمعيَّن وقد يستعمل أحياناً دون أن يقصد به مخاطب معيَّن كقول المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا

أخرج الكلام هنا في صورة الخطاب ليفيد العموم.

المبحث الرابع

في تعريف المسند إليه بالإضمار

يُؤتَى بالمسند إليه ضميراً لأغراض:

١ ـ لكون الحديث في مقام التّكلم، كقوله عليه الصلاة والسلام: أنا النبيُّ لا كذِب، أنا ابن عبد المُطّلِب.

٢ ـ أو لكون الحديث في مقام الخطاب، كقول الشاعر:

وأنتَ الذي أخلَفتَنِي ما وعدتَنِي وأشْمَتَّ بي مَن كان فيك يَلومُ

٣ ـ أو لكون الحديث في مقام الغيبة، نحو: هو اللّهُ تبارك وتعالى، ولا بدَّ من تقدُّم ذكره.

أ ـ إمّا لفظاً، كقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

ب ـ وإمّا معنى، نحو: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [النور: ٢٨] أي الرُّجوع ونحو: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨] أي العدل.

جـ ـ أو دلّتْ عليه قرينة حال، كقوله تعالى: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾ [النساء: ١١] أي الميت.

تنبيهات

الأوّل: الأصل في الخطاب أن يكون لمُشاهَد مُعيّن.

نحو: أنتَ استرقَقْتنِي بإحسانك، وقد يُخاطب:

أ ـ غيرُ المُشاهَد إذا كان مُستحضراً في القلب نحو ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ب ـ وغير المُعيّن: إذَا قُصِد تعميم الخطاب لكلٍّ مَن يُمكن خطابه على سبيل البدل ـ لا التّنَاوُل دَفعة واحدة كقول المُتنبِّي:

إذا أنْتَ أكْرَمْتَ الكريمَ مَلَكْتَه وإنْ أنْتَ أكْرَمْتَ اللّئيم تَمرَّدَا

الثاني: الأصل في وضع الضَّمير عدمُ ذكره إلا بعد تَقدُّم ما يُفسِّرُهُ وقد يُعدل

عن هذا الأصل فيُقدم الضَّمير على مرجعه لأغراض كثيرة:

أ ـ منها تمكين ما بعد الضَّمير في نفس السّامع لتشوُّقه إليه، كقوله:

هيَ النَّفس ما حَمّلْتَها تَتَحَمّلُ

فإنها لا تَعْمى الأبصار، ونِعمَ رجلاً عليٌّ، فالفاعل ضمير يفسِّره التّمييز ويطَّرد ذلك في بابي نعم وبئس، وفي باب ضمير الشأن، نحو: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٢].

ب ـ ومنها ادّعاء أنّ مرجع الضَّمير دائم الحضور في الذِّهن نحو: أقبل وعليه الهيبة والوقار.. ونحو قول الشاعر:

أبَتِ الوِصَالَ مخافَةَ الرُّقباء وأتَتْكَ تَحتَ مدَارع الظُّلَماء

ويُسمَّى هذا العدولُ بالإضمار في مقام الإظهار.

الثالث: يُوضع الظّاهر، سواء أكان علماً، أو صفة، أو اسم إشارة، موضع الضمير لأغراض كثيرة:

١ ـ منها إلقاء المهابة في نفس السّامع ـ كقول الخليفة: أمير المؤمنين يأمر بكذا.

٢ ـ وتمكين المعنى في نفس المخاطب، نحو: ﴿ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨]

٣ ـ ومنها التلذُّذ، كقول الشاعر:

سَقَى الله نجداً والسَّلام على نجد ويا حَبّذا نجدٌ على القُرْب والبُعد

٤ ـ ومنها الاستعطاف، نحو: اللّهم عبدك يَسألك المغفرة (أي أنا أسألك)

ويُسمى هذا العدول بالإظهار في مقام الإضمار.

المبحث الخامس

في تعريف المسند إليه بالعلميّة

يُؤتى بالمُسند إليه علماً لإحضار معناه في ذهن السّامع باسمه الخاص ليمتاز عمّا عَداه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقد يُقصد به مع هذا أغراض أخرى تُناسب المقام:

١ ـ كالمدح في الألَقاب التي تُشعِر بذلك، نحو: جاء نصر، وحضر صلاح الدين.

٢ ـ والذمّ والإهانة نحو: جاء صخر، وذهب تأبّط شرًا.

٣ ـ والتّفاؤل، نحو: جاء سرور.

٤ ـ والتّشاؤم، نحو: حربٌ في البلد.

٥ ـ والتبرُّك، نحو: الله أكرمني، في جواب هل أكرمك الله؟

٦ ـ والتّلذّذ، كقول الشاعر:

بالله يا ظَبيَاتِ القَاعِ قُلْنَ لنا ... لَيلايَ منكُنَّ أم لَيلى مِن البَشَرِ

٧ ـ والكناية عن معنى يَصلح العلمُ لذلك المعنى بحسب معناه الأصلي قبل العلميّة، نحو: أبو لهب فعل كذا.. كناية عن كونه جُهَنّمِيًا

لأن اللّهَب الحقيقي هو لهب جهنم ـ فيصحّ أن يُلاحظ فيه ذلك.

في تعريف المسند إليه بالإشارة

يُؤتى بالمسند إليه اسمُ إشارة إذا تعيَّن طريقاً لإحضار المُشار إليه في ذهن السَّامع، بأن يكون حاضراً محسوساً، ولا يعرف المتكلّم والسَّامع اسمه الخاص، ولا مُعيِّناً آخر، كقولك أتبيع لي هذا ـ مشيراً إلى شيء لا تعرف له اسماً ولا وصفاً.

أما إذا لم يتعيَّن طريقاً لذلك، فيكون لأَغراض أُخرى:

أ ـ بيان حاله في القُرْب، نحو: هذه بضاعتنا.

ب ـ بيان حاله في التّوسّط، نحو: ذاك ولدي.

جـ ـ بيان حاله في البعد، نحو: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠].

٢ ـ تعظيم درجته بالقرب نحو: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

أو تعظيم درجته بالبُعد كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١].

٣ ـ والتَّحقير بالقرب، نحو: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؟ [الأنبياء: ٣].

أو التّحقير بالبعد، كقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٣].

٤ ـ وإظهار الاستغراب، كقول الشاعر:

كم عاقلٍ عاقلٍ أعْيَتْ مَذاهِبُهُ   وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مَرْزُوقا
هذا الذي تركَ الأوهامَ حائرةً   وصيَّر العالم النِّحرير زنديقا

٥ ـ وكمال العناية وتمييزه أكمل تمييز، كقول الفرزدق:

هذا الذي تَعرفُ البَطحاءُ وطأته   والبيتُ يعرفهُ وَالحِلّ وَالحرَم

ونحو قوله: هذا أبو الصَّقر فَرداً في مَحاسِنه.

٦ ـ والتّعريض بغباوة المخاطب حتى كأنّه لا يفهم غير المحسوس، كقوله:

أُولئك آبائي فجئني بمِثلهم   إذا جَمَعَتنا يا جَريرُ المجامعُ

٧ ـ والتّنبيه على أن المشار إليه المُعَقَّبَ بأوصاف جديرٌ لأجل تلك الأوصاف بما يُذكر بعد اسم الإشارة، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[1] [البقرة: ٥].

وكثيراً ما يُشار إلى القَريب غير المُشاهَد بإشارة البعيد تنزيلاً للبُعد عن العيان منزلة البُعد عن المكان نحو: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٢].

---

(١) أي فالمشار إليه بأولئك. هم المتقون. وقد ذكر عقبه أوصافاً هي الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وما بعدهما ـ ثم أتى بالمسند إليه اسم إشارة وهو أولئك تنبيهاً على أن المشار إليهم أحقاء من أجل تلك الخصال، بأن يفوزوا بالهداية عاجلاً والفوز بالفلاح آجلاً.

المبحث السابع

في تعريف المسند إليه بالموصولية

يُؤتى بالمسند إليه اسمُ موصول إذا تعيّن طريقاً لإحضاره معناه، كقولك: الذي كان معنا أمس سافر، إذا لم تكن تعرف اسمه، أمَّا إذا لم يتعين طريقاً لذلك فيكون لأغراض أخرى:

١ ـ منها التّشويق، وذلك فيما إذا كان مضمونُ الصّلة حكماً غريباً كقوله:

والـذي حـارت الـبـريَّـة فـيـه حيـوانٌ مسـتـحـدَث مـن جَـمـاد[1]

٢ ـ ومنها إخفاء الأمر عَنْ غير المخاطب، كقول الشاعر:

وأخـذتُ مـا جـاد الأمـيـرُ بـه وقـضـيـتُ حـاجـاتـي كـمـا أهـوى

٣ ـ ومنها التّنبيه على خطأ المخاطب نحو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٩٤]

إنَّ الَّـذيـن تَـرَوْنـهـم إخـوانـكـم يَشفي غليلَ صُدورهم أن تُصرَعوا[2]

٤ ـ ومنها التّنبيه على خطأ غير المخاطب، كقوله:

إنَّ الّـتـي زعـمـتْ فـؤادك مَـلّـهـا خُلِقَتْ هواك كما خُلِقَتَ هوًى لها

٥ ـ ومنها تعظيم شأن المحكوم به، كقوله الشاعر:

إنَّ الـذي سـمـك الـسَّـمـاء بَـنـى لـنـا بـيـتـاً دَعـائـمـهُ أعـزُّ وأطـوَلُ[3]

٦ ـ ومنها التّهويل تعظيماً أو تحقيراً، نحو: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ﴾[4] [طه: ٧٨]

ونحو: من لم يدر حقيقة الحال قال ما قال.

٧ ـ ومنها استهجان التّصريح بالاسم، نحو: الّذي ربّاني أبي[5]

---

(١) يعني تحيّرت البرية في المعاد الجسماني.

(٢) أي من تظنون أُخوتهم يحبون دماركم فأنتم مخطئون في هذا الظن ـ ولا يفهم هذا المعنى لو قيل إن قوم كذا يشفي الخ.

(٣) أي أن من سمك السماء بنى لنا بيتاً من العز والشرف هو أعز وأقوى من دعائم كل بيت.

(٤) أي غطاهم وسترهم من البحر موج عظيم لا تحيط العبارة بوصفه.

٨ ـ ومنها الإشارة إلى الوجه الذي يُبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب كقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: ٥٠].

٩ ـ ومنها التّوْبيخ، نحو: الّذي أحسن إليك قد أسأتَ إليه.

١٠ ـ ومنها الاستغراق، نحو: الّذين يأتونك أَكْرِمْهم.

١١ ـ ومنها الإبهام نحو: لكلّ نفسٍ مَا قدمتْ.

واعلم أنّ التّعريف بالموصوليّة مبحث دقيق المسلك، غريب النّزعة يُوقِفك على دَقائقَ من البلاغة تؤنسُك إذا أنت نظرتَ إليها بثاقِب فكرك، وتُثلجُ صدرك إذا تأمّلتها بصادق رأيك، فأسرارُ ولطائفُ التّعريف بالموصوليّة لا يمكن ضبطها، واعتبر في كلّ مقام ما تراه مُناسباً.

---

(١) أي بأن كان اسمه قبيحاً، كمن اسمه برغوث أو جحش أو بطة أو غيره.

في تعريف المسند إليه بأل

يُؤتى بالمُسند إليه مُعرّفاً بأل العَهْدِيَّة، أو أل الجنسية لأغراضٍ.

أل العهدية

أل العهدية: تدخل على المُسند إليه للإشارة إلى فرد معهود خارجاً بين المُتخاطبينِ، وعهده يكون:

أ ـ إمَّا بتقدُّم ذكره صريحاً كقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥، ١٦] ويُسمَّى عهداً صريحيًا.

ب ـ وإمّا بتقدُّم ذكره تلويحاً، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٤] فالذكر وإن لم يكن مسبوقاً صريحاً إلا أنه إشارة إلى «ما» في الآية قبله: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[1] [آل عمران: ٣٥].

فإنهم كانوا لا يُحرِّرونَ لِخدمة بيت المقدس إلّا الذكور، وهو الْمعنيُّ «بمَا» ـ ويُسمّى عهداً كنائيًا.

جـ ـ وإما بحضوره بذاته، نحو: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] أو بمعرفة السّامع له نحو: هل انعقد المجلس؟ ويُسمَّى عهداً حُضوريًا.

أل الجنسيّة

أل الجنسية: وتُسمَّى لامَ الحقيقة، تدخل على المسند إليه لأغراض أربعة:

١ ـ للإشارة إلى الحقيقة من حيث هي بقطع النّظر عن عمومها وخصوصها، نحو: الإنسان حيوانٌ ناطق، وتُسمَّى لامَ الجنس، لأن الإشارة فيه إلى نفس الجنس، بقطع النظر عن الأفراد، ونحو: الذّهب أثمن من الفضّة.

٢ ـ أو للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مُبهم، إذا قامت القرينة على ذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣].

---

(١) التحرير هو العتق لخدمة بيت المقدس.

ومدخولها في المعنى كالنكرة فيُعامَل مُعاملتها، وتُسمَّى لامَ العهد الذِّهني.

٣ ـ أو للإشارة إلى كلِّ الأفراد التي يتناولها اللَّفظ بحسب اللغة:

أ ـ بمعونة قرينة «حالية» نحو: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

أي كلّ غائب وشاهد.

ب ـ أو قرينة «لفظية» نحو ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٣].

أي كلّ إنسان، بدليل الاستثناء بعده، ويُسمَّى استغراقاً حقيقيّاً.

٤ ـ أو للإشارة إلى كلّ الأفراد مقيّداً، نحو: جمع الأمير التُّجار وألقى عليهم نصائحه، أي جمع الأمير تجّار مملكته، لا تجّارَ العالَم أجمعَ، ويسمّى استغراقاً عرفياً.

تنبيهات

الأول: علم ممّا تقدم أن أل التعريفية قسمان:

القسم الأول: لام العهد الخارجي وتحته أنواع ثلاثة: صريحي ـ وكنائي ـ وحضوري.

والقسم الثاني: لام الجنس وتحته أنواع أربعة: لام الحقيقة من حيث هي، ولام الحقيقة في ضمن فرد مبهم، ولام الاستغراق الحقيقي، ولام الاستغراق العرفي فمجموع أقسام أل من حيث هي سبعة.

الثاني: استغراق المفرد أشمل من استغراق المثنى والجمع، لأن المفرد يتناول كل واحد واحد من الأفراد، والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين. والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة، بدليل صحة لا رجال في الدار إذا كان فيها رجل أو رجلان، بخلاف قولك لا رجلَ: فإنه لا يصحّ إذا كان فيها رجل أو رجلان.

وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها، وإنما تصحّ في النكرة المنفية دون الجمع المعرف باللام، لأن المعرفة بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد نحو: **﴿الرّجال قوّامون على النساء﴾** [النساء: ٣٤] بل هو في المفرد أقوى كما دلّ عليه الاستقراء وصرح به أئمة اللغة وعلماء التفسير في كل ما وقع في القرآن العزيز، نحو: **﴿أعلم غيب السموات والأرض﴾** [البقرة: ٣٣] **﴿والله يحب المحسنين﴾** [آل عمران: ١٣٤] **﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾** [البقرة: ٣١] إلى غير ذلك مما لا يُعدّ ولا يحصى.

الثالث: قد يعرّف الخبر بلام الجنس لتخصيص المسند إليه بالمسند المعرفة وعكسه «حقيقة» نحو: **﴿هو الغفور الودود﴾** [البروج: ١٤] ونحو: **﴿وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى﴾** [البقرة: ١٩٧] أو «ادّعاء» للتنبيه على كمال ذلك الجنس في المسند نحو محمد العالم، أي الكامل في العلم، أو كماله في المسند، نحو الكرم التقوى (أي لا كرم إلا هي).

المبحث التاسع

في تعريف المسند إليه بالإضافة

يُؤْتَى بالمُسند إليه مُعرَّفاً بالإِضافة إلى شيء من المعارف السَّابقة لأَغراض كثيرة:

١ ـ منها أنها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السّامع، نحو: جاء غلامي، فإنه أخصر من قولك: جاء الغلام الذي لي.

٢ ـ ومنها تعذُّر التَّعدُّد أو تعسُّره، نحو: أجمع أهل الحقِّ على كذا، وأهلُ مصرَ كرامٌ.

٣ ـ ومنها الخروجُ مِن تَبِعة تقديم البعض على البعض، نحو: حضر أمراء الجند.

٤ ـ ومنها التّعظيم للمضاف، نحو: كتاب السُّلطان حضر.

أو للمضاف إليه، نحو: الأمير تلميذي ـ أو غيرهما نحو: أخو الوزير عندي.

٥ ـ ومنها التّحقير للمضاف، نحو: وَلد اللِّصِّ قادم، أو للمضاف إليه نحو رفيق زيد لصٌّ، أو غيرهما نحو: أخو اللّصِّ عند عمرو.

٦ ـ ومنها الاختصار لضيق المقام لفرط الضّجر والسآمة، كقول جعفر بن عُلْبة وهو في السِّجن بمكة:

هوايَ[1] مع الرّكب اليمانينَ مُصعِدُ ... جَنيبٌ وُجثماني بمكّة مُوثَقُ[٩٧]

---

(١) أي من أهواه وأحبه ذاهب مع ركبان الإبل القاصدين إلى اليمن منضم إليهم، مقود معهم، وجسمي مقيد بمكة محبوس وممنوع عن السير معهم، فلفظ هواي أخصر من الذي أهواه، ونحوه.

---

[٩٧] جعفر بن علبة الحارثي، كان مسجوناً في مكة بجناية، فزارته محبوبته مع ركب من قومها فلما رحلت قال فيها ذلك. مصعد: اسم فاعل من أصعد بمعنى أبعد في السير. الجنيب: المستتبع من جنب البعير إذا قاده من جنبه.

واعلم أنَّ هيئة التركيب الإضافي موضوعة للاختصاص المُصحح لأن يقال «المضاف للمضاف إليه» فإذا استعملت في غير ذلك كانت مجازاً كما في الإضافة لأدنى مُلابسة نحو: مكرُ اللّيل، وكقوله:

إذا كـوكـبُ[1] الـخـرقـاء لاحَ بـسَـحْـرةٍ   سُـهـيـلٌ أذاعـت غـزلَـهَـا فـي الـقـرَائِـب[98]

---

(١) أضاف الكوكب إلى الخرقاء أي المرأة الحمقاء مع أنه ليس لها لأنها لا تتذكر كسوتها إلا وقت طلوع سهيل سحراً في الشتاء، وتفصيل ذلك أنه يقال إن المرأة الحمقاء كانت تضيع وقتها في الصيف فإذا طلع سُهيل وهو كوكب قريب من القطب الجنوبي في السحر وذلك قرب الشتاء أحست بالبرد واحتاجت إلى الكسوة ففرقت غزلها أي قطنها أو كتّانها الذي يصير غزلاً في أقاربها ليغزلوا لها بسبب عجزها عن الغزل ما يكفيها لضيق الوقت، فإضافة كوكب الخرقاء لأدنى ملابسة، وقد جعل الشاعر هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص.

---

[٩٨] أضاف الكوكب إلى الخرقاء لأدنى ملابسة، وهي أنها لا تتذكر كسوة الشتاء إلا وقت طلوعه سحراً، وهو لا يطلع سحراً إلا في الشتاء، سهيل: نجم وإعرابه بدل من كوكب.

المبحث العاشر

في تعريف المسند إليه بالنّداء[1]

يُؤتى بالمسند إليه مُعرفاً بالنداء لأغراض:

١ ـ منها إذا لم يُعرف للمخاطب عنوان خاصٌّ، نحو: يا رجلُ.

٢ ـ ومنها الإشارة إلى عِلّة ما يُطلب منه نحو: يا تلميذ أكتب الدَّرس.

---

(١) اعلم أن أغلب البيانيين لم يثبت التعريف بالنداء في تعريف المسند إليه، وتحقيق ذلك يطلب من المطولات.

المبحث الحادي عشر

في تنكير المسند إليه

يُؤتى بالمسند إليه نكرة لعدم عِلْم المُتكلم بجهةٍ من جهات التّعريف حقيقةً أو ادّعاءً، كقولك: جاء هنا رجل يسأل عنك، إذا لم تعرف ما يُعيّنه من عَلَم أو صِلة أو نحوهما، وقد يكون لأغراض أخرى:

١ ـ كالتَّكثير(١) نحو: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤] أي رُسُلٌ كثيرة.

٢ ـ والتّقليل، نحو: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٥٤] ونحو: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

٣ ـ والتّعظيم والتّحقير، كقول ابن أبي السَّمط[٩٩]:

لهُ حاجِبٌ عنْ كلِ أَمْرٍ يَشينهُ ... وليسَ لهُ عَنْ طالب العُرْف حاجبُ

أي له مانع عظيم وكثير عن كلّ عيب، وليس له مانع قليل أو حقير عن طالب الأحسان(٢) فيحتمل التعظيم والتكثير والتقليل والتحقير.

٤ ـ وإخفاء الأمر، نحو: قال رجلٌ إنَّك انحرفتَ عن الصَّواب تخفي اسمه حتَّى لا يلحقه أذًى.

---

(١) اعلم أن الفرق بين التعظيم والتكثير أن التعظيم بحسب رفعة الشأن وعلو الطبقة، وأن التكثير باعتبار الكميات والمقادير تحقيقاً كما في قولك: إن له لأبِلَا وإن له لغَنَما، أو تقديراً نحو: رضوان من الله أكبر، أي قليل من الرضوان أكبر من كل شيء، ويلاحظ ذلك الفرق في التحقير والتقليل أيضاً.

(٢) أي ومنه قوله: ولله عندي جانب لا أضيعه وللهو عندي والخلاعة جانب، ويحتمل التكثير والتقليل قوله تعالى: **﴿إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾** [مريم: ٤٥].

---

[٩٩] البيت في كتاب زهر الآداب منسوب لأبي السمط مروان بن أبي حفصة، وفي كتاب ديوان المعاني منسوب لمولى ابن أبي السمط وهو أبو الطمحان القيني، ومعنى البيت أن ممدوحه له حاجب عظيم من نفسه يمنعه عن فعل ما يشينه وليس له حاجب عن طالب الندى: فالحاجب الأول نفسي والتنكير فيه للتعظيم، والحاجب الثاني حسي والتنكير فيه للتحقير على سبيل المبالغة.

٥ ـ وقصد الإِفراد، نحو: وَيلٌ أهْوَنُ من ويلين، أي ويل واحد.

٦ ـ وقصد النَّوعية، نحو: لكلّ داءٍ دَواءٌ، أي لكلّ نوع من الدّاء نوع من الدَّواء.

المبحث الثاني عشر

في تقديم المسند إليه[1]

إعلم أنّ مرتبة المسند إليه التَّقديمُ، وذلك لأنّ مدلوله هو الذي يخطر أولا في الذهن لأنه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً فلهذا تقدّم وضعاً، ولتقديمه دواعٍ شَتَّى:

---

(١) معلوم أن الألفاظ قوالب المعاني، فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي حسب ترتيبها الطبعي، ومن البيِّن أن رتبة المسند إليه التقديم لأنه المحكوم عليه ورتبة المسند التأخير إذ هو المحكوم به، وما عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتي تالية لهما في الرتبة، ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا والاعتبارات ما يدعو إلى تقديمها، وإن كان من حقها التأخير فيكون من الحسن إذاً تغيير هذا الأصل واتباع هذا النظام ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذي يؤدي إليه ومترجماً عمّا يريد ولا يخلو التقديم من أحوال أربع:

الأول: ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ وذلك هو الغاية القصوى وإليه المرجع في فنون البلاغة، والكتاب الكريم هو العُمدة في هذا، انظر إلى قوله تعالى: ﴿**وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ [القيامة: ٢٣] تجد أن تقديم الجار في هذا قد أفاد التخصيص وأن النظر لا يكون إلا لله مع جودة الصياغة وتناسق السجع.

الثاني: ما يفيد زيادة في المعنى فقط نحو: ﴿**بل الله فاعبد وكن من الشاكرين**﴾ [الزمر: ٦٦] فتقديم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة وأنه ينبغي ألاّ يكون لغيره، ولو أُخّر ما أفاد الكلامُ ذلك.

الثالث: ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير وليس لهذا الضرب شيء من الملاحة كقوله:

وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت ... بحمد إلَهي وهي منه سليب

فتقديره: ثم أصبحت وهي منه سليب بحمد إلَهي.

الرابع: ما يختل به المعنى ويضطرب، وذلك هو التعقيد اللفظي، أو المعاظلة التي تقدمت، كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول، أو نحو ذلك كما سلف من قول الفرزدق:

إلى ملك ما أمه من محارب ... أبوه ولا كانت كُليبٌ تصاهره

فتقديره إلى ملك أبوه ما أمه من محارب، أي ما أم أبيه منهم، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى بل يحتاج إلى تأمل وتريث ورفق حتى يفهم المراد منه.

١ ـ منها تعجيل المسَرَّة، نحو: العفو عنك صدَرَ به الأمر.
٢ ـ ومنها تعجيل المسَاءة، نحو: القَصاصُ حكم به القاضي.
٣ ـ ومنها التّشويق إلى المتأخّر إذا كان المتقدِّمُ مُشعِراً بغرابة كقول المعرّي:

والَّـذي حـارت الـبـريَّـةُ فـيـه   حـيـوانٌ مُـسـتَـحـدثٌ مـنْ جَـمـاد[1]

٤ ـ ومنها التَّلذّذ، نحو: ليلى وصلَت وسلمى هَجرت.
٥ ـ ومنها التّبرُّك، نحو: اسمُ الله اهتديتُ به.
٦ ـ ومنها النَّص على عموم السلب أو سلب العموم.

فعموم السلب يكون بتقديم أداة العموم[2] ككلّ، وجميع، على أداة النفي نحو: كلّ ظالم لا يُفلح ـ المعنى لا يفلح أحد من الظلّمَة، ونحو كلّ ذلك لم يكن، أي لم يقع هذا ولا ذاك، ونحو كلّ تلميذ لم يقصّر في واجبه ويسمى «شمول النّفي».

واعلم أن عُموم السّلب يكون النّفي فيه لكلّ فرد، وتوضيح ذلك أنك إذا بدأت بلفظة «كلّ» كنتَ قد بَنيتَ وسلّطت الكُليَّة على النّفي وأعملتَها فيه، وذلك يقتضِي ألّا يشذَّ عنه شيء.

وسلب العموم يكون بتقديم أداة النّفي على أداة العموم ـ نحو لم يكن كلّ ذلك، أي لم يقع المجموع، فيحتمل ثبوت البعض، ويحتمل نفي كلّ فرد، لأنّ النّفي يُوَجّه إلى الشّمول خاصة دون أصل الفعل.

ويُسمَّى «نفي الشّمول».

واعلم أن سلب العُموم يكون النّفي فيه للمجموع غالباً كقول أبي العتاهية:

ما كلُّ رأي الفتى يدعُو إلى رَشَدِ[١٠٠]

وقد جاء لعموم النفي قليلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

---

(١) قيل الحيوان هو: الإنسان، والجماد الذي خلق منه هو: النطفة، وحيرة البرية فيه هو: الاتلاف في إعادته للحشر، وهو يريد أن الخلائق تحيّرت في المعاد الجسماني، يدل لذلك قوله قبله:

بـان أمـر الإلـه واخـتـلـف الـنـا   س فـداع إلـى ضـلال وهـاد

(٢) بشرط أن تكون أداة العموم غير معمولة لما بعدها كما مثّل، فإن كانت معمولة للفعل بعدها سواء تقدمت لفظاً أو تأخرت نحو كلَّ ذنب لم أصنع، ولم آخذ كلَّ الدراهم، أفاد الكلام سلب العموم ونفي الشمول غالباً.

---

[١٠٠] تمام البيت: إذا بدا لك رأي مشكل فقفِ.

ودليل ذلك الذَّوق والاستعمال.

٧ ـ ومنها إفادة التخصيص قطعاً [١]، إذا كان المسند إليه مسبوقاً بنفي والمسند فعلاً، نحو: ما أنا قُلت هذا، أي لم أقُلْه، وهو مقول لغيري.

ولذا لا يصحّ أن يقال ما أنا قلتِ هذا ولا غيري، لأن مفهوم ما أنا قلت أنّه مقول للغير، ومنطوق ولا غيري كونه غير مقول للغير، فيحصل التّناقض سلباً وإيجاباً.

وإذا لم يَسبق المسندَ إليه نفيٌ، كان تقديمه محتملاً [٢] لتخصيص الحكم به أو تقويته إذا كان المسند فعلاً [٣] نحو: أنت لا تبخل، وهو يَهبُ الألوف، فإنَّ فيه الإسناد مرتين، إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب في المثال الأول، وإسناد الجملة إلى ضمير الغائب في المثال الثاني.

٨ ـ ومنها كون المُتقدِّم محطَّ الإنكار والغرابة، كقوله:

أبعدَ المشِيب المُنقضِي في الذَّوائب ... تُحاوِلُ وصلَ الغانيات الكواعب

٩ ـ ومنها سُلوك سبيل الرُّقي، نحو: هذا الكلام صحيح، فصيح، بليغ، فإذا قلتَ فصيح، بليغ، لا يحتاج إلى ذكر صحيح ـ وإذا قلت بليغ لا يحتاج إلى ذكر فصيح.

١٠ ـ ومنها مُراعاة التّرتيب الوُجودِي، نحو: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

---

(١) وذلك يكون في ثلاثة مواضع:
الأول: أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة بعد نفي نحو: ما فؤاد فعل هذا.
الثاني: أن يكون المسند معرفة مضمرة بعد نفي نحو: ما أنا قلت ذلك.
الثالث: أن يكون المسند إليه نكرة بعد نفي نحو: ما تلميذ حفظ الدرس.

(٢) وذلك في ستة مواضع:
الأول: أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة قبل نفي، نحو: فؤاد ما قال هذا.
الثاني: أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة مثبتة نحو: عباس أمر بهذا.
الثالث: أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة قبل نفي نحو: أنا ما كتبت الدرس.
الرابع: أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة مثبتة نحو: أنا حفظت درسي.
الخامس: أن يكون المسند إليه نكرة قبل نفي نحو: رجل ما قال هذا.
السادس: أن يكون المسند إليه نكرة مثبتة نحو: تلميذ حضر اليوم في المدرسة.
واعلم أن ما ذكرناه هو مذهب عبد القاهر الجرجاني وهو الحق وخالفه السكاكي.

(٣) **فإن قيل**: لماذا اشترط أن يكون المسند فعلاً وهل إذا كان المسند وصفاً مشتملاً على ضمير نحو: أنت بخيل لم يكن كالفعل في إفادة التقوية، **أقول**: لمّا كان ضمير الوصف لا يتغير تكلّماً وخطاباً وغيبةً، فهو شبيه بالجوامد، وكانت تقويته قريبة من الفعل لا مثلها تماماً.

المبحث الثالث عشر

في تأخير المسند إليه

يُؤَخَّر المسند إليه إن اقتضى المقامُ تقديم المسند، كما سيجيء، ولا نَلتمسُ دواعي للتّقديم والتّأخير إلا إذا كان الاستعمال يبيح كليهما.

تطبيق عام على أحوال المسند إليه وما قبله

١ ـ أمير المؤمنين يأمرك بكذا: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، المراد بالخبر بيان سبب داعي الامتثال. المسند إليه أمير المؤمنين، ذكر للتعظيم، وقدم لذلك والمسند جملة يأمر، ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند إليه، وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد، والتعظيم وتقوية الحكم، وكون ذكر المسند هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، واقتضاء المقام تقديم المسند إليه أحوال. والذكر والتقديم والتأخير مقتضيات. والاتيان بهذه الجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

٢ ـ أنت الذي أعانني، وأنت الذي سرَّني، ذكر أنت ثانياً لزيادة التقرير والإيضاح، فزيادة التقرير والإيضاح حال، والتكرير مقتضى، والاتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

٣ ـ سعيد يقتحم الأخطار «بعد مدحه» ذكر سعيد للتعظيم والتعجب، فالتعظيم والتعجب حال، والذكر مقتضى، والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

٤ ـ حضر الكريم «بعد أحضر سعد؟» ذكر الكريم لتعظيم سعد ومدحه، فالتعظيم حال، والذّكر مقتضى، والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

٥ ـ علي كتب الدّرس «جواب، ما الذي عمل علي» ـ ذكر عليّ للتعريض بغباوة السامع، وقدم لتقوية الحكم لكون الخبر فعلاً، فالتعريض والتّقوية حالان، والذكر والتقديم مقتضيان. والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحالين.

٦ ـ ـ محمود نعم التلميذ «بعد مدح كثير له»، ذكر محمود لقلة الثقة بالقرينة، وقدم لتقوية الحكم.

٧ ـ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله، حذف المسند وهو خلقنا، للعلم به.

٨ ـ ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٣] حذف المسند إليه وهو الله تعالى للعلم به.

٩ ـ معطي الوسامات والرُّتب ـ حذف المسند إليه للتنبيه على تعيين المحذوف ادعاء.

١٠ ـ ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى: ٦] حذف مفعول آوى للمحافظة على الفاصلة.

١١ ـ صاحبك يدعو إلى وليمة العرس، حذف مفعول يدعو للتعميم باختصار.

١٢ ـ لا يعطي ولا يمنع إلا الله تعالى، حذف المفعولان لعدم تعلق الغرض بهما.

١٣ ـ أهين الأمير، حذف الفاعل للخوف عليه.

١٤ ـ لسان الفتى نصف ونصف فؤاده[١٠١] قدم نصف الثاني للمحافظة على الوزن.

١٥ ـ ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه[١٠٢]. قدمت أداة النفي على أداة العموم لإفادة سلب العموم ونفي الشمول.

١٦ ـ جميع العقلاء لا يسعون في الشر، قدمت أداة العموم على أداة النفي لإفادة عموم السلب وشمول النفي.

١٧ ـ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠] قدم الجار والمجرور للتخصيص.

١٨ ـ ونحن التّاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

الجملة الأولى خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد بالخبر إظهار الفخر والشجاعة، المسند إليه نحن، ذكر لأن ذكره الأصل، وقدم للتعظيم، وعرف

[١٠١] تمام البيت: فلم يبق إلّا صورة اللحم والدم.

[١٠٢] تمامه: تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

بالإضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار، والمسند التاركون، ذكر وأخر لأن الأصل ذلك.

١٩ ـ وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمتَّ بي من كان فيك يلوم

جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي. والمراد بالخبر التوبيخ، المسند إليه أنت. ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك. وعرف بالإضمار لكون المقام للخطاب مع الاختصار. والمسند لفظة الذي، وقد ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك. وعرّف بالموصولية للتعليل.

يعني أن إخلاف وعده كان سبب الشماتة واللوم، وأما جملة أشمتَّ فمعطوفة على جملة أخلفت، ووُصلت بها لما تقدّم. وعُرف المسند إليه وهو الفاعل في يلوم بالإضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار.

٢٠ ـ أبو لهب فعل كذا: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد. والمراد بالخبر أصل الفائدة لمن يجهل ذلك، المسند إليه أبو لهب. ذكر وقدّم لأن الأصل فيه ذلك. وعرف بالعلمية للكناية عن كونه جهنمياً.

أسئلة على أحوال المسند إليه يطلب أجوبتها

ما هو المسند إليه؟

ما هي أحواله؟

متى يجب ذكره؟

ما هي الوجوه التي ترجّح ذكره عند وجود القرينة؟

متى يحذف؟

ما الفرق بين المعرفة والنكرة؟

لمَ يُعرّف المسند إليه بالإضمار؟

ما الأصل في الخطاب؟

ما الأصل في وضع الضمير؟

هل قدّم الضمير على مرجعه؟

هل يوضع الظاهر موضع الضمير؟

لمَ يعرّف المسند إليه بالعلميّة؟

لِمَ يُعرَّف بالإشارة؟
لِمَ يعرَّف بالموصولية؟
لِمَ يُعرَّف بأل . . ؟
إلى كم تنقسم أل؟
لِمَ يُعرَّف بالإضافة؟
لِمَ يعرَّف بالنداء؟
لأيّ شيء ينكّر المسند إليه؟
لِمَ يقدَّم؟
ما الفرق بين عموم السلب وسلب العموم. لِمَ يؤخّر؟

الباب الرابع

في المسند وأحواله [1]

المُسند هو: الخبر، والفعل التَّام؛ واسم الفعل، والمبتدأ الوصف المُستغني بمرفوعه عن الخبر، وأخبار النَّواسخ، والمصدر النّائب عن الفعل.

وأحواله هي: الذكر، والحذف، والتّعريف، والتّنكير، والتّقديم والتّأخير، وغيرها، وفي هذا الباب ثلاثة مباحث.

---

(١) وإنما ذكر المسند بعد المسند إليه لأن المسند محكوم به، والمسند إليه محكوم عليه، والمحكوم به مؤخر عن المحكوم عليه طبعاً، ففعل ذلك وضعاً.



المبحث الأول

في ذكر المسند أو تركه

يُذكر المسند للأغراض التي سبقت في ذكر المسند إليه، وذلك:

١ ـ ككون ذكره هو الأصل ولا مُقتضَى للعُدول عنه، نحو: العلم خيرٌ من المال.

٢ ـ وكضعف التَّعويل على دلالة القرينة، نحو: حالي مستقيم ورزقي ميسور، إذ لو حُذف ميسور، لا يدلُّ عليه المذكور.

٣ ـ وكضعف تنبُّه السَّامع، نحو: (أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا ثَابِتٌ) إذ لو حذف ثابت رُبما لا يتنبّه له السّامع لضعف فهمه.

٤ ـ وكالرّد على المخاطب نحو: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩] بعد قوله تعالى: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾.

٥ ـ وكإفادة أنه «فِعْلٌ» فيفيد التّجدُّدَ والحدوثَ، مقيّداً بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار.

«أو اسمٌ» فيفيد الثُّبوتَ مطلقاً نحو: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] فإنَّ يُخادعون تُفيد التَّجدُّد مرّة بعد أخرى، مُقيّداً بالزمان من غير افتقار إلى قرينة تدلُّ عليه، كذكر الآن، أو، الغد وقوله وهو خادعهم، تُفيد الثّبوت مطلقاً من غير نظر إلى زمان ويُحذف المسند لأغراض كثيرة:

١ ـ منها إذا دلّت عليه قرينة وتعلّق بتركه غرض مِمّا مرَّ في حذف المسند إليه.

والقرينة

أ ـ إمّا مذكورة كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٣١] أي خَلقهنَّ الله.

ب ـ وإمّا مُقدّرة كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦] أي يُسَبِّحهُ رِجالٌ، كأنه قيل من يُسَبّحه؟

٢ ـ ومنها الاحتراز عن العَبث، نحو: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣] أي ورسولُهُ بريءٌ منهم أيضاً.

فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثاً لعدم الحاجة إليه.

٣ ـ ومنها ضيق المقام عن ذكره، كقول الشاعر:

نـحـنُ بـمـا عـنـدنـا وأنـتَ بـمـا عـنـ ـدك راضٍ والـرَّأيُ مُـخْـتَـلِـفُ

أي نحن بما عندنا راضون، فحذف لضيق المقام.

٤ ـ ومنها اتّباع الاستعمال، نحو: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١] أي لولا أنتم موجودون، ونحو: فصَبرٌ جميلٌ، أي أجمل.

المبحث الثاني

في تعريف المسند أو تنكيره

يُعرّف المسند

١ ـ لإِفادة السّامع حُكماً على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله بإِحدى طُرُق التعريف، نحو: هذا الخطيب، وذاك نقيب الأشراف.

٢ ـ ولإِفادة قصره على المسند إليه «حقيقة» نحو: سعد الزّعيم إذا لم يكن زعيم سواه ـ أو «ادعاءً» مبالغة لكمال معناه في المسند إليه نحو: سعد الوطني أي الكامل الوطنية، فخرج الكلام في صورة توهّم أنّ الوطنية لم توجد إلا فيه لعدم الاعتداد بوطنية غيره.

وذلك إذا كان المسند معرفاً بلام[١٠٣] الجنس(١).

وينكّر المسند لعدم الموجب لتعريفه، وذلك:

١ ـ لقصد إرادة العهد أو الحصر، نحو: أنت أميرٌ وهو وزير.

٢ ـ ولاتّباع المسند إليه في التّنكير، نحو: تلميذ واقفٌ بالباب.

٣ ـ ولإِفادة التّفخيم، نحو: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

٤ ـ ولقصد التّحقير، نحو: ما خالد رجلاً يُذكر.

---

(١) على أن التعريف بلام الجنس لا يفيد أحياناً القصر كقول الخنساء:

إذا قبح البكاء على قتيل ... وجدتُ بُكاءك الحسنَ الجميل

فالخنساء لا تقصد قصر الجنس على بكاء قتيلها، ولكنها تريد أن تثبت له وتخرجه من جنس بكاء غيره من القتلى، فهو ليس من القصر في شيء.

---

[١٠٣] لام الجنس أو «أل» الجنسية هي الداخلة على نكرة تفيد معنى الجنس المحض ككلمة «نجم» فهي تدل على معنى شائع ينطبق على كل جرم سماوي مضيء، فإذا أدخلنا «أل» عليها، كانت لتعريف الجنس كله، ولذلك حين تقول: النجم مضيء بذاته لا نقصد نجماً محدداً بل كل نجم (عباس حسن: النحو الوافي ـ الجزء الأول ص٤٢٥).

المبحث الثالث

في تقديم المسند أو تأخيره

يُقدمُ المسند إذا وُجد باعث على تقديمه كأن يكون عاملاً نحو: قام عليٌّ، أو ممَّا له الصدارة في الكلام نحو: أَين الطريق؟

أو إذا أريد به غرض من الأغراض الآتية:

١ ـ منها التّخصيص بالمسند إليه، نحو: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ١٢٠].

٢ ـ ومنها التّنبيه من أوَّل الأَمر على أنه خبر لا نعتٌ كقوله:

لـه هِـمـمٌ لا مُـنـتـهَـى لِـكـبـارهـا ... وهِـمَّـتـه الـصُّـغـرى أجـلُّ مـن الـدَّهـر

لَـهُ رَاحـةٌ لـو أنَّ مِـعـشَـارَ جُـودهـا ... عـلـى الـبَـرِّ كـان الـبَـرُّ أَنْـدَى مـن الـبحـرِ

فلو قيل «همم له» لتُوهِّم ابتداءً كون «له» صفة لما قبله.

٣ ـ ومنها التّشويق للمُتأخّر إذا كان في المتقدِّم ما يُشوِّق لذكره كتقديم المسند في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وكقوله:

خيـرُ الـصـنَّـائـع فـي الأنـام صـنـيـعـةٌ ... تـنـبُـو بـحـامـلـهـا عـن الإذلال

٤ ـ ومنها التفاؤل، كما تقول للمريض: في عافية أنت: وكقوله:

سَـعـدتْ بـغُـرَّة وجْـهـك الأيـامُ ... وَتَـزَيَّـنـتْ بِـلـقَـائِـكَ الأعْـوَامُ

٥ ـ ومنها إفادة قصر المُسند إليه على المُسند نحو: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٧] «أي دِينكم مقصورٌ عليكم وَدِيني مقصورٌ عليَّ».

٦ ـ ومنها المساءة كقول المتنبي:

ومِنْ نـكَـدِ الـدُّنـيـا عَـلـى الـحُـرِّ أن يـرى ... عـدُوًّا لـه مـا مـن صـداقـتـه بُـدُّ

٧ ـ ومنها التّعجب أو التَّعظيم أو المدح أو الذّم أو التّرحّم أو الدّعاء نحو: لله دَرّك، وعظيمٌ أنتَ يا أَلله. ونِعْم الزعيم سعدٌ، وبِئس الرجل خليل، وفقير أبوك، ومباركٌ وصولك بالسّلامة. ويُؤَخّر الْمُسْنَدُ لأنّ تأخيره هو الأصل، وتقديم المسند إليه أهمّ نحو: الوطن عزيز.

وينقسم المسند من حيث الإفراد وعدمه إلى قسمين: مفرد وجملة، فالمسند المفرد قسمان: فعل: نحو: قدم سعدٌ ـ واسم: نحو: سعدٌ قادمٌ. والمسند الجملة ثلاثة أنواع:

١ ـ أن يكون سببياً نحو: خليل أبوه مُنتصر، أو أبوه انتصر، أو انتصر أبوه.

٢ ـ وأن يُقصد تخصيص الحكم بالمسند إليه، نحو: أنا سعيت في حاجتك، أي السّاعي فيها أنا لا غيري.

٣ ـ وأن يُقصد تأكيد الحكم، نحو: سعد حضر. لما فيها من تكرار الإسناد مرّتين.

ويُؤتى بالمسند ظرفاً للاختصار، نحو: خليل عندك.

وجارًا ومجروراً، نحو: محمود في المدرسة.

تمرين

بيِّن أسباب التّقديم والتّأخير فيما يأتي:

١ ـ ما كلّ ما فوق البسيطة كافياً ... فإذا قنعت فبعض شيء كاف[١]

٢ ـ وما أنا وحدي قلت ذا الشّعر كلّه ... ولكنّ شعري فيه من نفسه شعر[٢]

إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة ... فبالحكم سُدْ لا بالتّسرُّع والشَّتم[٣]

٤ ـ ثلاثة تَشْرُق الدنيا ببهجتها ... شمس الضّحى وأبو إسحاق والقمر[٤]

---

(١) قدم حرف النفي وهو (ما) على لفظ العموم وهو (كل) ليدلّ على عموم السّلب، والمعنى لا يكفيك جميع ما على الأرض إذا كنت طامعاً.

(٢) إذا كان المسند فعلاً منفياً ووُسِّط المسند إليه بين الفعل وحرف النفي كما في هذا المثال وهو (ما أنا قلت) دلّ ذلك على التخصيص، والمعنى لست القائل لذلك الشعر وحدي، بل شاركني فيه غيري.

ولذلك يعدّ من الخطأ الذي لا يستقيم معه معنى أن تقول ما أنا فعلت هذا ولا غيري، لأن معنى ما أنا فعلت، يفيد من نفسه نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك فقولك، ولا غيري، يكون تناقضاً.

(٣) قدم الجار والمجرور في قوله (بالحلم سد) ليدلّ على التخصيص، أي أنك تسود بالحلم لا بغيره.

(٤) قدم العدد وهو ثلاثة وأخر المعدود ليشوّق إليه. لأن الإنسان إذا سمع العدد مجموعاً يشتاق إلى تفصيل آحاده.

٥ ـ أفي الحق أن يُعطَى ثلاثون شاعراً ويُحرَم ما دون الرّضا شاعرٌ مثلي[(١)]

٦ ـ فكيف وكلٌّ ليس يعدو[(٢)] حِمَامَه وما لامرىء عمّا قضى الله مُزْحلُ[١٠٤]

٧ ـ قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[(٣)] [الزمر: ٦٦]

٨ ـ بك اقتدتِ الأيام في حسناتها وشيمتها لولاك هَمٌّ وتكريب[(٤)]

تطبيق عام على أحوال المسند

لما صدأت مرآة الجَنان، قصدت لجلائها بعض الجِنان. الجملة الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها وهو قصدت، وهي خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد بها أصل الفائدة. المسند قصد. ذكر لأن ذكره الأصل. وقدم لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار. والمسند إليه التاء، ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند، وعرّف بالإضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار.

كأنه الكوثر الفياض. جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد بها المدح، فهي تفيد الاستمرار بقرينة المدح. المسند إليه: الهاء. ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بالإضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار. والمسند، الكوثر ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بأل للعهد الذهني[١٠٥].

---

(١) قدم الجار والمجرور بعد الاستفهام في قوله أفي الحق أن يعطى، ليدلّ على أن ذلك المقدم هو محط الإنكار. فتحليل المعنى أنه لا ينكر الإعطاء ولكنه ينكر أن يُعدّ ذلك حقاً وصواباً مع حرمانه هو.

(٢) قدم أداة العموم على أداة السلب في قوله (كلٌّ ليس يعدو) ليدلّ على عموم السلب، أي أن الناس واحداً واحداً يشملهم حكم الموت ولا مفرّ منه.

(٣) قدم المفعول على الفعل في قوله (الله فاعبد) ليدلّ على التخصيص أي اعبد الله ولا تعبد غيره.

(٤) قدم الجار والمجرور على الفعل في قوله (بك اقتدت) ليدلّ على التخصيص أي أن الاقتداء كان بك لا بغيرك.

---

[١٠٤] الحِمام: الموت. مزحل: من زحل بمعنى زال. مزحل: مُبْعَد.

[١٠٥] أل العهدية هي التي تدخل على النكرة فتفيدها درجة من التعريف تجعل مدلولها فرداً معيناً بعد أن كان مبهماً شائعاً، وأنواع «العهد» ثلاثة: ذِكْري وذهني وحضوري.

«أل» التي للعهد الذكري وظيفتها الربط بين نكرتين ربطاً معنوياً يجعل معنى الثانية فرداً محدوداً محصوراً فيما دخلت عليه وحده، والذي معناه ومدلوله هو النكرة السابقة ذاتها، وهذا التحديد والحصر هو الذي جعل الثانية معرفة، لأنها صارت معهودة عهداً ذكرياً أي: معلومة المراد والدلالة، مثل: أقبلت سيارة فركبت السيارة.

«أل» التي للعهد الذهني تدخل على النكرة لتحصرها في فرد معين حصراً أساسه علم سابق مثل: هل

كتاب في صحائفه حِكَم: التنكير في هذه الجملة للتعظيم.

ما هذا الرجل إنساناً: نكر المسند «إنساناً» للتحقير.

له همم لا منتهى لكبارها[١٠٦] ـ المسند له ـ قدم لإفادة أنه خبر من أول الأمر، لأنه لو تأخر لتوهم أنه صفة للمسند إليه لأنه نكرة.

ولم يكن له كفواً أحد، . قدم المسند: كفواً، على المسند إليه: أحد، للمحافظة على الفاصلة، على رأي بعضهم. والمنصوص عليه في كتب التفسير المعتبرة أن التقديم للمبادرة إلى نفي المثل.

زهرة العلم أنضر من زهرة الروضة. جملة خبرية اسمية، من الضرب الابتدائي والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح. المسند إليه: زهرة العلم. ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك. وعرف بالإضافة إلى العلم لتعظيمه. والمسند: أنضر. ذكر وأخر لأن الإصل فيه ذلك، ونكر لتعظيمه.

غلامي سافر، أخي ذهبت جاريته، أنا أحب المطالعة، الحق ظهر، الغضب آخره ندم، أتى بالمسند في هذه المُثُل جملة لتقوية الحكم لما فيها من تكرار الإسناد.

أسئلة على أحوال المسند يطلب أجوبتها

ما هو المسند؟

ما هي أحواله؟

لأي شيء يذكر المسند؟

لأيّ شيء يحذف؟

لِمَ يُقدّم؟

لمَ يؤخر؟

لمَ يُعرَّف؟

لمَ ينكَّر؟

لمَ يؤتى به جملة؟

كتبت المحاضرة؟ فالسؤال عن محاضرة معهودة معلومة من قبل.

«أل التي للعهد الحضوري هي التي تدخل على النكرة لتحقق مدلولها في وقت الكلام مثل: اليوم يحضر والدي، تريد من اليوم الوقت الحاضر الذي أنت فيه خلال الكلام. (عباس حسن: النحو الوافي ـ الجزء الأول ص٤٢٤.

[١٠٦] تمامه: وهمته الصغرى أجلُّ من الدهر.



في الإطلاق[1] ـ والتّقييد

إذا اقتُصِرَ في الجملة على ذكر المسند إليه والمسند. فالحكم مطلقٌ والإطلاق يكون حِينما لا يتعلّق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه لِيذهبَ السّامع فيه كلّ مَذهبٍ مُمكِنٍ.

وإذا زيدَ عليهما شيءٌ ممّا يتعلّق بهما أو بأحدهما، فالحكم مُقَيّدٌ والتّقييد يكون حِينما يتعلّق الغرض بتقييده بوجه مخصوص، بحيث لو حُذف القيد لكان الكلام كذباً، أو غير مَقصود، نحو: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦] فلو حذف الحال وهو (لاعبين) لكان الكلام كذباً بدليل المشاهدة، ونحو ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ [النور: ٣٥] إذ لو حُذف «يكاد» لفات الغرض المقصود وهو إفادة المقاربة، وهلم جرّاً.

واعلم أن معرفة خواصّ التراكيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع، وباهر الصنع، ولطائف المزايا، يسترعي لُبَّك إلى أنّ التّقييد بأحد الأنواع الآتية يكون لزيادة الفائدة وتقويتها عند السامع لما هو معروف من أنّ الحكم كلّما ازدادت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً، وحينئذ تكون فائدته أتمّ وأكمل.

والتّقييد يكون بالتوابع، وضمير الفصل؛ والنواسخ، وأدوات الشرط والنفي، والمفاعيل الخمسة، والحال والتمييز، وفي هذا الباب

---

(١) الإطلاق والتقييد وصفان للحكم. فالإطلاق أن يقتصر في الجملة على ذكر المسند والمسند إليه حيث لا غرض يدعو إلى حصر الحكم ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه، نحو: الوطن عزيز. والتقييد أن يزاد على المسند والمسند إليه شيء يتعلق بهما أو بأحدهما ممّا لو أغفل لفاتت الفائدة المقصودة، أو كان الحكم كاذباً نحو: الولد النجيب يسرّ أهله.

جملة مباحث[1] .

---

(١) اعلم أن التقييد يكون لتمام الفائدة لما تقرّر من أن الحكم كلّما زاد قيده زاد خصوصية، وكلّما زاد خصوصية زادت فائدته لا فرق بين مسند إليه أو مسند أو غيرهما، كما لا فرق بين تقييده بالتوابع أو غيرها.

المبحث الأول

في التّقييد بالنّعت

أمَّا النَّعت فيؤتى به لأغراض كثيرة:

أ ـ منها تخصيص المنعوت بصفة تُميِّزه إن كان نكرة، نحو: جاءني رجل تاجر.

ب ـ ومنها توضيح المنعوت إذا كان معرفة لغرض:

١ ـ الكشف عن حقيقته، نحو: الجسم الطويل العريض العميق يَشغل حيزاً من الفراغ.

٢ ـ أو التأكيد، نحو: تلك عشرة كاملة، وأمسِ الدَّابرُ كان يوماً عظيماً.

٣ ـ أو المدح، نحو: حضر سعد المنصور.

٤ ـ أو الذّم، نحو: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٥].

٥ ـ أو التّرحمّ، نحو: قدِم زين المسكينُ.

المبحث الثاني

في التّقييد بالتوكيد

أمّا التّوكيد فيُؤتى به:

١ ـ لمجرّد التّقرير، وتحقيق المفهوم عند الإِحساس بغفلة السَّامع، نحو: جاء الأميرُ ـ الأميرُ.

٢ ـ وللتّقرير مع دفع توهُّم خلاف الظّاهر، نحو: جاءني الأميرُ نفسهُ.

٣ ـ وللتّقرير مع دفع توهُّم عدم الشّمول نحو: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ١٥].

٤ ـ ولإِرادة انتقاش معناه في ذهن السّامع، نحو: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

المبحث الثالث

في التّقييد بعطف البيان

أما عطف البيان فيُؤتي به:

أ ـ لمجرَّد التَّوضيح للمتبوع باسم مُختصّ به[1] نحو أقسم بالله أبو حفص عُمَر.

ب ـ وللمدح، كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] فالبيت الحرام عطف بيان للمدح.

---

(١) يكفي في التوضيح أن يوضّح الثاني الأولَ عند الاجتماع، وإن لم يكن أوضحَ منه عند الانفراد، نحو علي زين العابدين، ونحو: عسجد ذهب.

المبحث الرابع

في التَّقييد بعطف النَّسَق

أَما عطف النَّسَق فيُؤتى به للأغراض الآتية:

١ ـ لتفصيل المسند إليه باختصار، نحو: جاء سعد وسعيد، فإنه أخصر من: جاء سعد، وجاء سعيد، ولا يعلم منه تفصيلُ المسند لأن الواو لمطلق الجمع.

٢ ـ ولتفصيل المسند مع الاختصار أيضاً، نحو: جاء نصرٌ فمنصورٌ[١] أو ثم منصور، أو جاء الأميرُ حتى الجندُ. لأن هذه الأحرفَ الثلاثةَ مُشتركة في تفصيل

---

(١) قد تجيء الفاء للتعقيب في الذكر دون الزمان، إما مع ترتيب ذكر الثاني على الأول كما في تفصيل الإجمال في قوله تعالى: ﴿نادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي﴾ [هود: ٤٥] ونحو: ﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ [الزمر: ٧٢] وإما بدون ترتيب وذلك عند تكرير اللفظ الأول، نحو بالله ـ فبالله وقد تجيء للتراخي في الذكر دون الزمان، إما مع الترتيب المذكور نحو:

إنَّ مَنْ سادَ ثم سادَ أبوه ... ثم سادَ قبلَ ذلك جدُّه

فإن الغرض ترتيب درجات حال الممدوح، فابتدأ بسيادته ثم بسيادة أبيه، ثم بسيادة جده. وإما بدون ترتيب نحو: ﴿وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ [الانفطار: ١٦، ١٧] ولاستبعاد مضمون جملة عن مضمون جملة أخرى نحو: ﴿ثم أنشأناه خَلْقاً آخر﴾ [المؤمنون: ١٤] فنَزلوا الترتيب في هذه الأمور منزلة الترتيب الزماني المستفاد منها بأصل الوضع ولذا يكون استعمالها في هذه الأمور مجازاً.

المسند، إلا أنّ الأولَ يفيد الترتيبَ مع التّعقيب، والثاني يفيد التّرتيب مع التراخي، والثالث يفيد ترتيبَ أجزاءِ ما قبله ذاهباً من الأقوى إلى الأضعف أو بالعكس، نحو مات الناس حتّى الأنبياءُ.

٣ ـ ولردِّ السامع إلى الصَّواب مع الاختصار، نحو: جاء نصر، لا منصور أو لكن منصور.

٤ ـ ولصرف الحكم إلى آخر، نحو: ما جاء منصور بل نصر.

٥ ـ وللشكّ من المتكلم، أو التّشكيك للّسامع، أو للإبهام ـ نحو: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

٦ ـ وللإباحة أو التّخيير، نحو: تعلَّم نحواً أو صرفاً. وتَزوَّجْ هنداً أو أختها. ونحو: تعلَّم إمَّا صرفاً وإمَّا نحواً. وتَزوّج إمَّا هنداً أو أختها.

في التقييد بالبدل

يُؤتى بالبدل لزيادة التَّقرير والإِيضاح. لأَن البدل مقصودٌ بالحكم بعد إبهام، نحو: حضر ابني عليٌّ. في بدل الكلّ، وسافر الجندُ أغلبهُ، في بدل البعض، ونفعني الأستاذ علمهُ، في بدل الاشتمال، ووجهك بدرٌ شمسٌ، في بدل الغلط[1] لِإفادة المبالغة التي يقتضيها الحال.

---

(١) لكن الحق الذي عليه الجمهور أن بدل الغلط لا يقع في كلام البلغاء.

المبحث السادس

في التقييد بضمير الفَصل

يُؤتى بضمير الفَصل لأَغراض:

١ ـ منها التَّخصيص، نحو: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة: ١٠٤].

٢ ـ ومنها تأكيد التَّخصيص إذا كان في التركيب مخصَّصٌ آخرُ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

٣ ـ ومنها تمييز الخبر عن الصفة، نحو: العالِم هو العاملُ بعلمه.

المبحث السابع

في التَّقييد بالنَّواسخ

التَّقييد بها يكون للأغراض التي تُؤدِّيها معاني ألفاظ النَّواسخ كالإستمرار، أو لحكاية الحال الماضية في: «كان»[1].

وكالتوقيت بزمن مُعيّن في: «ظلَّ، وبات، وأصبح، وأمسى، وأضحى».

وكالتّوقيت بحالة معيَّنة في: «ما دام».

وكالمقاربة في: «كاد، وكَرب، وأوشك».

وكالإستدراك في: «لكنَّ»، وكالرَّجاء في: «لعلَّ»، وكالتمنِّي في: «ليتَ» وكاليقين في: «وجد، وألفى، ودَرى، وعلم» وكالظنِّ في: «خال، وزعم، وحسِب» وكالتحوُّل، في: «اتَّخذ وجعل وصيَّر» وهلمَّ جرًّا.

---

(١) فالجملة تنعقد من الاسم والخبر، أو من المفعولين اللذين أصلهما مبتدأ وخبر ويكون الناسخ قيداً، فإذا قلت رأيت الله أكبرَ كل شيء، فمعناه الله أكبر كل شيء على وجه العلم واليقين. وهكذا.

في التقييد بالشّرط

التَّقييد به يكون للأغراض التي تُؤَدِّيها معاني أدوات الشّرط، كالزَّمان في: «متى وأيّان» والمكان في: «أين، وأنّى، وحيثما»، والحال في: «كيفما» واستيفاء ذلك وتحقيق الفرق بين تلك الأدوات يُذكر في علم النحو، وإنّما يفرّق هُنا بين (إنْ وإذَا ولو) لاختصاصها بمزايا تُعدُّ من وجوه البلاغة.

الفرق بين إنْ ـ وإذا ـ ولو

الأصل عدم قطع المتكلّم بوقوع الشَّرط في المستقبل مع «إنْ» ومنْ ثَمَّ كَثُرَ أن تُسْتَعمل «إنْ» في الأحوَال التي ينذُر وقوعها، ووجب أنْ يتلوَها لفظ المضارع لاحتمال الشكّ في وقوعه[1].

بخلاف «إذا» فتُستعمل بحسب أصلها في كلّ ما يَقطع المتكلّم بوقوعه في المستقبل، ومن أجل هذا لا تُستعمل «إذا» إلّا في الأحوال الكثيرة الوقوع، ويتلوها الماضي لدلالته على الوقوع قطعاً، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١] فلكونِ مجيء الحسنة منه مُحقَّقاً، ذكر هو والماضي مع **(إذا)** وإنَّما كان ما ذكر مُحقَّقاً، لأنّ المرادَ بها مُطلقُ الحسنة الشامل لأنواع كثيرة من خصب ورخاء وكثرة أولاد، كما يفهم من التّعريف بأل الجنسية في لفظة «الحسنة».

ولكون مجيء السَّيئة نادراً ذُكر هو والمضارع مع **(إنْ)**.

وإنمَّا كان ما ذُكر نادراً لأنّ المراد بها نوعٌ قليلٌ وهو جذْبٌ وَبَلَاءٌ كما يُفهم من التّنكير في لفظة «سيئة» الدّال على التَّقليل.

(ولو) تفيد انتفاءَ الشيءِ بسبب انتفاءِ غيره في الماضي مع القطع بانتفاء الوقوع.

---

(١) ولذا لا يقال إن طلعت الشمس أزرك: لأن طلوع الشمس مقطوع بوقوعه، وإنما يقال إذا طلعت الشمس أزورك.

ويجب كون جملتيها فعليَّتين ما ضَويَّتين، نحو: لو أتقنت عملك لبلغتَ أَمَلك وتُسمَّى «لو» حرفَ امتناع لامتناع، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ونحو: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩] أي انتفت هدايته إيَّاكم بسبب انتفاء مشيئته لها.

تنبيهات

الأول: يُعلم ممَّا تقدم أن المقصود بالذَّات من الجملة الشّرطية هو الجواب، فإذا قلت إن اجتهد فريد كافأته، كنت مخبِراً بأنك ستكافئه، ولكن في حال حصول الاجتهاد، لا في عموم الأحوال[(١)].

ويتفرَّع على هذا أنها تُعدّ خبريَّة أو إنشائيَّة باعتبار جوابها.

الثاني: ما تقدَّم من الفرق بين «إن» و «إذا» هو مقتضى الظاهر، وقد يَخرُج الكلامُ على خلافه، فتستعمل «إنْ» في الشّرط المقطوع بثبوته أو نفيه، لأغراض كثيرة:

أ ـ كالتّجاهل، نحو قول المعتذر: إنْ كُنْتُ فعلتُ هذا فعنْ خطأ.

ب ـ وكتنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل لمخالفته مقتضَى علمه كقولك للمُتكبِّر توبيخاً له: إنْ كنتَ من تراب فلا تفتخر.

جـ ـ وكتغليب غير المتّصف بالشّرط على المتّصف به كما إذا كان السّفرُ قطعيَّ الحصول لسعيد، غيرَ قطعيٍّ لخليل، فتقول إن سافرتما كان كذا[(٢)] وقد

---

(١) قال السكاكي قد يُقيَّد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعي التقييد به، ولا يخرج الكلام بتقييده به عما كان عليه من الخبرية والإنشائية، فالجزاء إن كان خبراً فالجملة خبرية نحو: إن جئتني أُكرِمُكَ أي أكرمك لمجيئك، وإن كان إنشاء فالجملة إنشائية نحو: إن جاءك خليل فأكْرِمه، أي أكْرِمْه وقت مجيئه، فالحكم عنده في الجمل المصدّرة بإن وأمثالها في الجزاء، وأمّا نفس الشرط فهو قيد للمسند فيه، وقد أخرجته الأداة عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب.

(٢) أي ففيه تغليب لمن لم يقطع له بالسفر على من قطع له به، فاستعملت إنْ في المجزوم وهو من قطع له به بسبب تغليبه على من لم يقطع به، وهذا السبب مساغ لذكر إن، واعلم أن التغليب: الذي هو أن يعطى أحد المصطحبين أو المتشاكلين حكم الآخر، باب واسع يجري في أساليب كثيرة لنكات عديدة، سمحت بها المطولات في هذا المقام، واعلم أن المقصود بالذات من جملتي الشرط والجواب هو جملة الجواب فقط وأما جملة الشرط فهي قيد لها فإذا قلت إنْ زارني سليم أكرمته فالمقصود أنك ستكرم سليماً ولكن في حال زيارته لك. فتعدّ إسمية أو فعلية خبرية أو إنشائية باعتبار الجواب كما سبق توضيحه مفصلاً: فارجع إليه إن شئت.

تُستعمل إذا في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه، لأَغراض:

١ ـ منها الإِشعار بأن الشّك في ذلك الشّرط لا ينبغي أن يكون مشكوكاً فيه، بل لا ينبغي ألّا يكون مجزوماً به، نحو: إذا كثُر المطر في هذا العام أَخصب النّاس.

ب ـ ومنها تغليب المتّصف بالشرط على غير المتّصف به، نحو: إذا لم تسافرْ كان كذا، وهلمّ جرًا من عكس الأغراض التي سبقت.

الثالث: لمّا كانت (إنْ) و (إذا) لتعليق الجزاء على حصول الشرط في المستقبل وجب أن يكون شرطُ وجزاءُ كلٍّ منهما جملةً فعليةً استقبالية لفظاً ومعنى، كقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩] وكقول الشاعر:

وإذَا تُـرَدّ إلـى قَـلِـيـلٍ تَـقْـنَـعُ[١٠٧]

وَلا يُعدلُ عن استقباليّة الجملة لفظاً وَمعنى إلى استقباليتها معنى فقط إلّا لدواعٍ غالباً:

أ ـ منها التّفاؤل، نحو: إنْ عِشتُ فعلتُ الخير(١).

ب ـ ومنها تخييل إظهار غير الحاصل، وهو الاستقبال، في صورة الحاصل، هو الماضي، نحو: إنْ متُّ كان ميراثي للفقراء.

الرَّابع: عُلم مما تقدّم من كون «لو» للشَّرط في الماضي لزومُ كون جملتي شرطها وجزائها فعليتين ما ضَويَّتين، وعدم ثوبتهما، وهذا هو مُقتضَى الظّاهر، وقد يخرج الكلام على خلافه، فتُستعمل «لو» في المضارع لدواعٍ اقتضاها المقامُ، وذلك:

أ ـ كالإشارة إلى أن المضارعَ الذي دخلت عليه يُقصد استمراره فيما مضى

---

(١) وقد تستعمل «إن» في غير الاستقبال لفظاً ومعنى، وذلك فيما إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط في الماضي حقيقة كقول أبي العلاء المعري:

فيـا وطـنـي إن فـاتـنـي بـك سـابـق　　　من الـدهـر فـلـيـنـعـم بـسـاكـنـك الـبـالُ

وقد تستعمل «إذا» أيضاً في الماضي حقيقة نحو حتى إذا ساوى بين الصّدفين وللاستمرار نحو: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا.

---

[١٠٧] مطلع البيت: والنفس راغبة إذا رغَّبتها.

وقتاً بعد وقت، وحصوله مرّة بعد أخرى، كقوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ[1]﴾ [الحجرات: ٧].

ب ـ وكتنزيل المضارع منزلة الماضي لصدوره عمّن المُستقبلُ عنده بمنزلة الماضي في تحقُّق الوقوع، ولا تخلُّفَ في أخباره كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[2] [السجدة: ١٢].

---

(١) أي امتنع عنتكم أي وقوعكم في جهد وهلاك بسبب امتناع استمراره فيما مضى على طاعتكم.

(٢) نزل وقوفهم على النار في يوم القيامة منزلة الماضي فاستعمل فيه إذ ولفظ الماضي وحينئذٍ فكان الظاهر أن يقال ولو رأيت بلفظ الماضي، لكن عدل عنه إلى المضارع تنزيلاً للمستقبل الصادر عمّن لا خلاف في خبره منزلة الماضي الذي عُلم وتحقّق معناه، كأنه قيل قد انقضى هذا الأمر وما رأيته، ولو رأيته لرأيت أمراً فظيعاً.

المبحث التاسع

في التقييد بالنفي

التقييد بالنَّفي يكون لسلب النِّسبة على وجه مخصوص ممّا تفيده أحرف النّفي السّبعة، وهي: لا، وما، ولات، وإنْ، ولنْ، ولم، ولمّا، (فلا) للنّفي مطلقاً، و (مَا وإنْ ولَاتَ) لنفي الحال إنْ دخلت على المضارع، و (لن) لنفي الاستقبال، و (لَمْ ولمّا) لنفي المُضيّ، إلّا أنه (بلمّا) يَنسحبُ إلى ما بعد زمن التكلُّم، ويختصّ بالمتوقّع، وعلى هذا فلا يقال لمَّا يقم خليلٌ ثم قام، ولا: لمّا يجتمع النَّقيضان، كما يقال لم يقم عليٌّ ثم قام ولم يجتمع الضّدان؛ فلمّا في النفي تقابل (قد) في الإثبات. وحينئذٍ يكون منفيُّها قريباً من الحال، فلا يصحّ لمّا يجيءُ خليل في العام الماضي.

في التّقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها

التَّقييدُ بها يكون لبيان نوع الفعل؛ أو ما وقع عليه، أو فيه، أو لأجْله، أو بمُقارنته، ويُقيّد بالحال لبيان هيئة صاحبها وتَقييد عامِلها؛ ويُقيّد بالتّمييز لبيان ما خَفِيَ من ذَات أو نسبة، فتكون القيودُ هي محطُّ الفائدة، والكلام بدونها كاذبٌ، أو غيرُ مقصود بالذّات، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦] وقد سبق القولُ في ذلك مفصَّلاً.

تنبيهان

الأول: عُلم مِمَّا تقدَّم أن التّقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها للأَغراض التي سبقت، وتقييدها إذا كانت (مذكورة)، أما إذا كانت (محذوفة) فتفيد أغراضاً أخرى:

١ ـ منها التَّعميم باختصار، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] أي جميعَ عباده لأنّ حذف المعمول يؤذن بالعمُوم[1]، ولو ذُكر لفات غرض الإختصار.

٢ ـ ومنها الاعتماد على تقدُّم ذكره، كقوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] أي ويُثبِتُ ما يَشاءُ.

٣ ـ ومنها طلب الاختصار، نحو: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩] أي يغفر الذُّنوب.

٤ ـ ومنها استهجان التَّصريح به نحو: ما رأيتُ منه ولا رأى منّي، أي العورة.

---

(١) أي ما لم يكن تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريباً كقوله:

فلو شئت أن أبكي دماً لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وأعددته ذخراً لكلّ ملمّة ... وسهم المنايا بالذخائر أولع

فإنّ تعلّق فعل المشيئة ببكاء الدم غريب. فلذا لم يحذف المفعول ليتقرر في نفس السامع

٥ ـ ومنها البيانُ بعد الإبهام، كما في حذف مفعول فعل المشيئة[1] ونحوها[2] إذا وقع ذلك الفعل شرطاً فإنّ الجواب يدلّ عليه ويبيّنه بعد إبهامه فيكون أوقع في النفس، ويقدّر المفعول مصدراً من فعل الجواب نحو: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن﴾ [الكهف: ٢٩] أي فمن شاء الإيمان.

٦ ـ ومنها المحافظة على سجع، أو وزن.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠].

إذ لو قيل يخشى الله، لم يكن على سنن رؤوس الآي السّابقة.

والثاني: كقول المتنبي:

بناها فأعلى والقَنا يقرعُ القَنا ... ومَوجُ المنايا حَولها مُتلاطِمُ

أي فأعلاها.

٧ ـ ومنها تعيُّن المفعول، نحو: رعت الماشية (أي نباتاً).

٨ ـ ومنها تنزيل المتعدّي منزلة الّلازم لعدم تعلُّق الغرض بالمعمول، بل يجعل المفعول نسياً، بحيث لا يكون ملحوظاً مقدّراً، ولا يلاحظ تعلق الفعل به أصلاً كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3] [الزمر: ٩].

الثاني: الأصل في العَامل أن يُقدَّم على المعمول، وقد يُعكس فيقدّم المعمول على العامل لأغراض شتَّى:

١ ـ منها التَّخصيص، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[4] [الفاتحة: ٥].

٢ ـ ومنها رَدُّ المخاطَب إلى الصَّواب عند خَطئِهِ في تعيين المفعول، نحو: نصراً رأيتُ، ردًّا لمن اعتقد أنك رأيت غيره.

---

(١) هذا التعميم وإن أمكن بذكر المفعول على صيغة العام، لكن يفوت الاختصار المطلوب.

(٢) أي ما يرادفها في المعنى كالإرادة والمحبة.

(٣) أي فالغرض مجرد إثبات العلم ونفيه بدون ملاحظة تعلقه بمعلوم عام أو خاص ـ والمعنى لا يستوي من تثبت له حقيقة العلم ومن لم تثبت له، فلو قدر له مفعول وقيل هل يستوي الذين يعلمون الدين والذين لا يعلمونه لفات هذا الغرض.

(٤) وذلك لأن المناسب لمقام عرض العبادة له تعالى تخصيصها به، لا مجرد الإخبار بأنّ العبادة له، فاستفادة التخصيص من التقديم إنما هي بحسب المقام لا بأصل الوضع.

٣ ـ ومنها كون المتقدِّم محطَّ الإِنكار مع التعجب، نحو: أبعدَ طُولِ التَّجرِبةِ تنخدع بهذه الزَّخارف.

٤ ـ ومنها رِعاية مُوازاةِ رُؤوس الآي، نحو: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١] وَهلمَّ جرًّا من بقية الأغراض التي سبقت(١).

تطبيق عام على الإطلاق والتقييد

١ ـ إذا كنت في نعمة فارْعَها فإنَّ المعاصي تزيل النِّعم

جملة فارْعَها إنشائية أمرية والأمر مستعمل في أصل معناه، المسند إليه أنت، وهي مقيدةَ بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل، ومقيدة بالشرط للتعليق، وكانت أداة الشرط «إذا» لتحقق الحصول «فإن المعاصي تزيل النعم» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث[١٠٨]، والمراد بالخبر التحذير من المعاصي.

المسند إليه المعاصي والمسند جملة تزيل، وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد، وقيّد بالمفعول به «النعم» لبيان ما وقع عليه الفعل، والحكم مقيد بأنّ للتوكيد.

٢ ـ إن اجتهد خليل أكرمته. الجملة «أكرمته» وهي جملة خبرية من الضرب الابتدائي. المسند: أكرم. والمسند إليه: «التاء» وهي مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل، وبالشرط للتعليق. وكانت أداة الشرط «إنْ» لعدم الجزم بوقوع الفعل.

٣ ـ وأصابت تلك الرُّبى عين شمس أوْرثتها من لونها اصفرارا

---

(١) أي فيكون التقديم للتبرك والاستلذاذ وموافقة كلام السامع والاهتمام وضرورة الشعر، وغير ذلك، واعلم أن اختلاف الترتيب بين المعمولات إمّا لأمر معنوي نحو: **﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾** [يٓس: ٢٠] فلو أخر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل، والمراد كونه من صلة فعله.

وإما لأمر لفظي نحو: **﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾** [النجم: ٢٣] فلو قدم الفاعل لاختلفت الفواصل لأنها مبنيّة على الألف، وقد يتقدم بعض المفاعيل على بعض إما لأصالة في التقدم لفظاً نحو: حسبت زيداً كريماً، فإن زيداً وإن كان مفعولاً في الحال لكنه مبتدأ في الأصل، أو معنى نحو أعطى زيد عمراً درهماً فإن عمراً وإن كان مفعولاً بالنسبة إلى زيد لكنه لا يخلو من معنى الفاعلية بالنسبة إلى الدرهم لأنه آخذ والدرهم مأخوذ.

---

[١٠٨] الضرب الثالث من أضرب الخبر هو الإنكاري، ص٩٧.

كلما جال طرفها تركت النا   س سكارى وما هم بسكارى

«وأصابت تلك الربى» جملة خبرية فعلية من الضرب الإبتدائي. والمراد بالخبر أصل الفائدة، المسند: أصاب، ذكر لأن الأصل فيه ذلك. وقدّم لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الإختصار، والمسند إليه عين شمس، ذكر لأن الأصل فيه ذلك وأُخِر لاقتضاء المقام تقديم المسْنَد، وخصص بالإضافة لتعينها طريقاً لإحضار معناه في ذهن السامع. والمضاف إليه شمس قيد بالصفة «أورثتها من لونها» لأنها في محل جر صفة شمس للتخصيص. وقيد الحكم بالمفعول به «تلك» لبيان ما وقع عليه الفعل وعرف المفعول به بالإشارة لبيان حاله في البعد، وقيد المفعول بالبدل «الربى» لتقرير حاله في نفس السامع «تركت الناس سكارى» هي الجملة لأنَّ الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها وهي جملة خبرية اسمية من الضرب الإبتدائي والمراد بالخبر التفخيم، المسند إليه: الناس، ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بأل للعهد الذهني[١٠٩] لأن المراد بالناس الذين نظروا إليها، والمسند: سكارى ذُكِر وأُخِر لأن الأصل فيه ذلك ونُكِّر للتهويل والحكم مقيَّد بترك لإفادة التحويل وبالشرط للتعليق وكانت أداة الشرط «كلما» لإفادة التكرار «وما هم بسكارى» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث والمراد بالخبر أصل الفائدة، المسند إليه «هم» والمسند «سكارى» والحكم مقيد «بما» لنفي الحال.

لا تيأسنّ وكن بالصبر معتصما   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

«لا تيأسن» جملة إنشائية نهيية والمراد بالنهي الإرشاد. المسند: لا تيأس والمسند إليه: أنت. و «كن بالصبر معتصماً» أصلها أنت معتصم بالصبر. وهي جملة إنشائية أمرية والمراد بالأمر الإرشاد أيضاً، المسند إليه: الضمير المستتر في كُنْ والمسند معتصماً والحكم مقيد «بالصبر» لبيان ما وقع عليه الفعل، وبالأمر «كن» لإفادة التوقيت بالاستقبال «لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا» أصلها لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الإبتدائي والمراد بالخبر الحث على الصبر. المسند: تبلغ والمسند إليه: أنت والحكم مقيد بلَنْ للنفي في المستقبل، وبالجار والمجرور لبيان غاية الفعل.

٥ ـ عسى الكرب الذي أمسيت فيه   يكون وراءه فرج قريب

في البيت جملة إنشائية غير طلبية وهي اسمية من الضرب الثالث لما فيها من

---

[١٠٩] «أل» العهدية، انظر تفصيل القول فيها ص ١١٩.

تقوية الحكم بتكرار الإسناد، المسند إليه: «الكرب» ذُكر وقُدّم لأن الأصل فيه ذلك وعرف بأل للعهد الذهني، وقيد بالنعت «الذي أمسيت فيه» لتوضيحه والمسند: يكون الخ والحكم مقيد بعسى لإفادة الرجاء، وأما جملة النعت «الذي أمسيت فيه» فهي جملة خبرية اسمية من الضرب الإبتدائي المسند إليه فيها: التاء ـ والمسند: الجار والمجرور، والحكم مقيد بأمسى لإفادة المساء وجملة الخبر «يكون وراءه فرج قريب» جملة خبرية اسمية من الضرب الإبتدائي. المسند إليه فيها: «فرج» ذُكر لأن الأصل فيه ذلك وأُخر لضرورة النظم وقُيّد بالنعت «قريب» لإفادة القرب والمسند: وراءه، ذكر لأن الأصل فيه ذلك وقدم للضرورة والحكم مقيَّد بالناسخ «يكون» لإفادة الإستقبال.

٦ ـ يوشك من فرّ من منيّته   في بعض غِرّاته يوافقها

أصل الجملة يوشك من فر من منيته يوافقها في بعض غراته وهي جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التيئيس من الخلود في هذه الدنيا، المسند إليه «من» ذكر وقُدّم لأن الأصل فيه ذلك وعُرّف بالموصولية لعدم العلم بما يخصه غير الصلة، والمسند: جملة يوافقها. ذكر وأُخِر لأن الأصل فيه ذلك وأتى به جملة لتقوية الحكم، وقُيّد بالجار والمجرور لبيان زمنه، والحكم مُقَيَّد بالناسخ «يوشك» لإفادة المقاربة.

٧ ـ إنَّ الثمانين وبُلِّغتَها قد   أحوجت سمعي إلى ترجمان

إن الثمانين قد أحوجت: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها إظهار الضعف، المسند إليه: «الثمانين» ذكر وقدّم لأن الأصل فيه ذلك، وعرِّف بأل للعهد. الذهني. والمسند (قد أحوجت) ذكر وأُخّر لأن الأصل فيه ذلك وأتى به جملةً لتقوية الحكم، مقيد بإنّ وقد للتوكيد، وأما قوله وبلغتها فهي معترضة للدعاء وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الإبتدائي. المسند إليه: التاء والمسند: بلغ، والحكم مقيد بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل.

أسئلة على الإطلاق والتقييد يطلب أجوبتها

ما هو الإطلاق؟

ما هو التقييد؟

متى يكون الإطلاق؟

متى يكون التقييد؟

لماذا يقيّد بالنعت؟

لماذا يقيد بالتوكيد؟
لماذا يقيد بعطف النسق؟
لماذا يقيد بالبدل؟
لماذا يقيد بالمفاعيل الخمسة؟
لماذا يقيد بالحال؟
لماذا يقيد بالتمييز؟
لماذا يقيد بالنواسخ؟
لماذا يقيد بضمير الفصل؟
لماذا يقيد بالشرط؟
ما الفرق بين إن وإذا ولو؟
ما المقصود من الجملة الشرطية؟
هل يمكن أن تستعمل إنْ في مقام الجزم بوقوع الشرط؟
هل يمكن أن تستعمل إذا في مقام الشك؟
هل يمكن أن تستعمل لو مع المضارع؟
لماذا يقيد بالنفي؟



في أحوال متعلَّقات الفعل

الأصل في الفعل بناؤه للمعلوم، وقد يُبنى للمجهول ويُحذف الفاعل لأغراض شتّى.

١ ـ للعلم به، نحو: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

٢ ـ أو للجهل به، نحو: سُرق المتاع، إذا لم يُعرف السّارق.

٣ ـ أو للخوف عليه، نحو: شُتِمَ الأَمير، إذا خِيف على الشّاتم.

٤ ـ أو للخوف منه، نحو: قُتِلَ قَتيل، إذا خِيف مِن القاتل.

٥ ـ أو للمُحافظة على سجع، نحو: من طابت سريرته حُمدت سيرته.

٦ ـ أو لتعظيم الفاعل إذا كان الفعل خسيساً، أو صونه عن اللّسان نحو: تُكلِّم بما لا يليق.

٧ ـ أو لتحقيره بصون اللِّسان عنه نحو: قد قِيلَ ما قِيلَ.

والأصل في المفعول أن يُؤَخّر عن الفعل ولا يُقدّمُ عليه إلّا لأغراض كثيرة:

١ ـ منها التّخصيص، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] ردًّا على من قال أعتقد غير ذلك.

٢ ـ ومنها رِعاية الفاصلة، نحو: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣١].

٣ ـ منها التَّبرُّك، نحو: كتاباً مقدَّساً تلوتُ.

٤ ـ ومنها التّلَذُّذ، نحو: الحبيبَ قابلتُ.

والأصل في العامل أن يُقدّمَ على المعمول؛ كما أنَّ الأصلَ في المعمول أن تُقدّم عُمدتُه على فَضلتِه، فيُحفظ هذا الأصلُ بين الفعل والفاعل، أمّا بين الفعل والمفعول ونحوه كالظّرف والجارّ والمجرور

فيختلف التَّرتيب للأَسباب الآتية.

أ ـ إمَّا لأمرٍ معنويٍّ، نحو: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس: ٢٠] فلو أُخِّر المجرور لتُوُهِّم أنه من صلة الفاعل وهو خلافُ الواقع لأنه صلةٌ لفعله.

ب ـ وإمَّا لأمرٍ لفظي، نحو: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣] فلو قُدِّم الفاعل لاختلفَتِ الفواصلُ، لأَنها مبنيةٌ على الألف.

جـ ـ وإما للأهميَّةِ، نحو: قُتل الخارجيُّ فلانٌ.

وأمّا تقديم الفضلات على بعض، فقد يكون:

أ ـ للأصالة في التقدُّم لفظاً، نحو: حسِبتُ الهلال طالعاً، فإنَّ الهلال وإنْ كان مفعولاً في الحال لكنه مبتدأ في الأصل، أو للأَصالة في التقدُّم معنى، وذلك كالمفعول الأول في نحو: أعطى الأمير الوزير جائزة، فإِن الوزير وإن كان مفعولاً بالنسبة إلى الأمير، لكنه فاعل في المعنى بالنِّسبة إلى الجائزة[1].

ب ـ أو لإِخلال في تأخيره ـ نحو: مررت راكباً بفلان ـ فلو أخرت الحال لتُوُهِّمَ أنها حال من المجرور، وهو خلاف الواقع فإنها حال من الفاعل، والأصل في المفعول ذكره، ولا يحذف إلَّا لأغراض تقدَّم ذكرها.

---

(١) لأن الجائزة مأخوذة، والآخذ لها الوزير الذي فيه معنى الفاعلية التي تستدعي حق التقدم.

الباب السابع

في القصر

القصر لغة: الحبس، واصطلاحاً: هو تخصيص أمرٍ بآخرَ بطريق مخصوص أو، هو: إثبات الحكم لما يذْكر في الكلام ونفيه عمّا عداه بإِحدى الطرق الآتية نحو: ما فَهِم إلا خليل، فمعناه تخصيص الفهم بخليل، ونفيه عن غيره مِمّن يُظَنُّ فيه ذلك، فما قبل «إلّا» وهو الفهم يسمّى مقصوراً، وما بعدها وهو (خليل) يسمى مقصوراً عليه (وما ـ وإلا) طريق القصر، ولكل قصر طرفان «مقصور، ومقصور عليه» وفي هذا الباب أربعة مباحث.



المبحث الأول

في طرق القصر

للقصر طرُقٌ كثيرة، وأشهرها في الاستعمال أربعة[(1)] وهي:

---

(1) ومن طرق القصر التي ليست مشهورة الاستعمال لفظ: وحده، أو فقط، أو لا غير، أو مادة الاختصاص، أو مادة القصر، أو توسط ضمير الفصل، أو تعريف المسند إليه، أو تقديم المسند إليه على خبره الفعلي أحياناً وغير ذلك. وهذه الطرق خالية من اللطائف البلاغية وقد أوصلها السيوطي في كتاب الاتقان في علوم القرآن إلى أربعة عشر طريقاً.

أهمها الطرق الأربعة المشهورة الاستعمال وهي تختلف من أوجه كثيرة: منها أن «لا» العاطفة لا تجتمع مع النفي والاستثناء لأن شرط المنفي بها أن لا يكون منفياً صريحاً قبلها بغيرها فلا تقول ما عليٌّ إلّا مجتهد لا متكاسل ـ ولذا عيب على الحريري[110] قوله:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه ... على ما تحلى يومه لا ابن أمسه

وتجتمع «لا» مع إنما أو التقديم نحو: إنما أنا مصري لا سوري، ونحو: المجتهدَ أكرمتُ لا المتكاسلَ لأن النفي فيهما غير مصرح به، ومنها أن الأصل في الحكم مع النفي والاستثناء، أن يكون مجهولاً منكراً للمخاطب (أي شأنه أن يجهله المخاطب وينكره) بخلاف إنما لأن النفي مع الاستثناء لصراحته أقوى في التأكيد من «إنما» فينبغي أن يكون لشديد الإنكار.

ونحو: قولك (وقد رأيت شبحاً من بعد) ما هو إلا زيد لمن اعتقد أنه غيره، ونحو: **﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾** [يّس: 15] لما كانوا مصرّين على دعوى الرسالة مع زعم المكذبين امتناع الرسالة في البشر. رد المكذبون إصرارهم عليها بقولهم ذلك.

وقد يُنَزَّل المعلوم منزلة المجهول لغرض بلاغي فيستعمل فيه النفي والاستثناء نحو: **﴿وما محمد إلا رسول﴾** [آل عمران: 144] أي مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبرّي من الموت، وهذا معلوم للصحابة لكن لاستعظامهم موته لشدة حرصهم على بقائه ﷺ نُزّلوا منزلة من لا يعلمه.

وقد يُنَزَّل المجهول منزلة المعلوم نحو: **﴿إنما نحن مصلحون﴾**. لادّعائهم أن كونهم مصلحين أمر ظاهر. ولهذا رد عليهم بقوله: **﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾** [البقرة: 12] مؤكداً بما ترى بالجملة ـ فالاستثناء لقوته يكون لرد شديد الإنكار حقيقة أو ادعاء ـ و«إنما» لضعفها

---

[110] الحريري: القاسم بن علي (1054 ـ 1222)، أشهر مؤلفاته: المقامات له ديوان رسائل وشعر حسن.

١ ـ النفي والإستثناء، نحو: ما شوقي إلَّا شاعر، أو: ما شاعر إلَّا شوقي.

٢ ـ وإنما، نحو: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

٣ ـ والعطف بلا، وبل، ولكن، نحو: الأرض متحركة لا ثابتة، أو: ما الأرض ثابتة بل متحركة، أو: ما الأرض ثابتة لكن متحركة.

٤ ـ وتقديم ما حقه التّأخير، نحو: إيَّاك نعبدُ وإيّاك نستعين.

«وتوضيح ذلك» أن المقصور عليه «في النفي الإستثناء» هو ما بعد أداة الإستثناء، نحو: وما توفيقي إلا بالله، والمقصور عليه مع (إنما) يكون مؤخراً في الجملة وجوباً نحو: إنما الدنيا غرُور. والمقصور عليه مع (لا) العاطفة هو الواقع قبلها والمُقابلُ لما بعدها نحو: الفخر بالعلم لا بالمال.

تكون لرد الإنكار في الجملة حقيقة أو ادعاء ـ ومنها زيادة «إنما» على العطف بمزية أنه يفهم منها الحكمان أعني الإثبات للمذكور، والنفي عما عداه معاً، بخلاف العطف فإنه يفهم منه أولاً الإثبات، ثم النفي، أو عكسه، نحو: إنما خليل فاهم ـ خليل فاهم لا حافظ ـ وأحسن مواقعها التعريض نحو: ﴿**إنما يتذكر أولو الألباب**﴾ [الرعد: ١٩].

واعلم أن «غير» كإلّا في إفادة القصرين، وفي امتناع اجتماعه مع لا العاطفة فلا يقال: ما عليٌّ غير شاعر لا منجم، وما شاعر غير علي لا نصر.

تنبيهات

الأول: الأصل في العطف أن ينص فيه على المثبت له الحكم والمنفي عنه إلَّا إذا خيف التطويل، وفي الثلاثة الباقية يُنَص على المثبت فقط.

الثاني: النفي بلا العاطفة، لا يجتمع مع (النفي والاستثناء) فلا تقول: ما محمد إلا ذكي لا غبي، لأن شرط جواز النفي بلا أن يكون ما قبلها منفيًا بغيرها، ويجتمع النفي بلا العاطفة مع كل من إنما والتقديم. فتقول: إنما محمد ذكي لا غبي. وبالذكاء يتقدم محمد لا بالغباوة.

الثالث: الأصل في (النفي والاستثناء) أن يجيء لأمر ينكره المخاطب، أو يشكّ فيه، أو لما هو مُنزَّل هذه المنزلة، ومن الأخير قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ في القُبُورِ * إِنْ أَنْتَ إلا نَذِيرٌ**﴾ [فاطر: ٢٢، ٢٣].

الرابع: الأصل في (إنما) أن تجيء لأمر من شأنه أن يجهله المخاطب ولا ينكره، وإنما يراد تنبيهه فقط، أو لما هو منزل هذه المنزلة. فمن الأول قوله تعالى: ﴿**إِنَّما يَستَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ**﴾ [الأنعام: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿**فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب**﴾ [الرعد: ٤٠] ومن الثاني قوله تعالى حكاية عن اليهود: ﴿**إنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ [البقرة: ١١] فهم قد ادّعوْا أن إصلاحهم أمرٌ جليٌّ لا شكّ فيه، وقال الشاعر:

أنا الذائد الحامي الذِّمار وإنّما ... يُدافعُ عن أحسابهم أنا أو مثلي

والمقصور عليه مع (بل) أو (لكن) العاطفتين هو الواقع مابعدهما، نحو: ما الفخر بالمال بل بالعلم، ونحو: ما الفخر بالنّسب لكن بالتّقوى، والمقصور عليه في (تقديم ما حقّه التأخير) هو المُقدَّم نحو: على الله توكلنا.

ملاحظات

١ ـ للقصر بإنّما مزيّة على العطف لأنَّها تفيد الإثبات للشَّيء، والنفي عن غيره دَفعة واحدة، بخلاف العطف فإنه يفهم منه الإثبات أولاً، ثم النفي ثانياً ـ أو عكسه.

٢ ـ القصر بالتَّقديم لا يُدَلّ عليه بطريق الوضع كالثلاثة الأول، بل مرجع دلالته إلى الذوق السليم والفكر الصّائب ـ ويُسمِّي علماءُ المعاني التّخصيصَ المُستفادَ من هذه الوسائل بالقصر ـ ويُسمُّون الوسائلَ نفسَها طُرُقَ القَصر.

المبحث الثاني

في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين

أ ـ قصر حقيقي[1]: وهو أن يختصّ المقصورُ بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بأَلَّا يتعدّاه إلى غيره أصلاً، نحو: لا إِلَه إِلَّا اللَّهُ.

ب ـ وقصر إضافي، وهو أن يختصّ المقصور بالمقصور عليه بحسب الإِضافة والنسبة إلى شيء آخَر مُعيَّن، لا لجميع ما عداه، نحو: ما خليل إلا مسافر، فإنك تقصد قَصْر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره كمحمود مثلاً وليس قصدك أنه لا يوجد مسافر سواه، إذ الواقع يشهد ببطلانه.

---

(١) ومنه نوع يسمى بالقصر الحقيقي الادعائي ويكون على سبيل المبالغة بفرض أن ما عدا المقصور عليه لا يعتدّ به.

المبحث الثالث

في تقسيم القصر باعتبار طرفيه

ينقسم القصر باعتبار «طرفيه المقصور والمقصور عليه» سواء أكان القصر حقيقياً أم إضافياً إلى نوعين:

أ ـ قصر صفة على موصوف، ومثاله من الحقيقي (لا رازقَ إلَّا الله) ومثاله من الإضافي، نحو: لا زعيم إلّا سعد.

ب ـ قصر موصوف على صفة، ومثاله من الحقيقي، نحو: ما الله إلّا خالقُ كلِّ شيءٍ[1].

---

(١) قصر الموصوف على الصفة في القصر الحقيقي لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها، ويكثر القصر الحقيقي في قصر الصفة على الموصوف بخلاف القصر الإضافي الذي يأتي كثيراً في كلّ من قصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة. واعلم أنّ المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية التي تدلّ على معنى قائم بشيء، سواء أكان اللّفظ الدال عليه جامداً أو مشتقاً، فعلاً أو غير فعل، وليس المراد بها الصفة النحوية المسماة بالنعت.

أسباب ونتائج

الغاية من القصر تمكين الكلام وتقريره في الذهن كقول الشاعر:

وما المرء إلا كالهلال وضوئه ... يوافي تمام الشهر ثم يغيب

ونحو:

وما لامرىء طول الخلود وإنما ... يخلّده طول الثناء فيخلد

وقد يراد بالقصر المبالغة في المعنى كقول الشاعر:

وما المرء إلا الأصغران لسانه ... ومعقوله والجسم خَلْق مُصوّر

وكقوله:

لا سيف إلا ذو الفقار ... ولا فتى إلا علي

وذو الفقار لقب سيف الإمام علي، وسيف العاص بن منبه.

والقصر قد ينحو فيه الأديب مناحي شَتى، كأن يتّجه إلى القصر الإضافي رغبة في المبالغة كقوله:

ومثاله من الإضافي قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

= ومـا الـدنـيـا سِـوى حُـلـم لـذيـذ ... تُـنَـبِّـهُـهُ تـبـاشـيـر الـصّـبـاح

وقد يكون من مرامي القصر التعريض كقوله تعالى: **﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾** إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها ولكنها تعريض بالمشركين الذين في حكم من لا عقل له.

المبحث الرابع

في تقسيم القصر الإضافي

ينقسم القصر الإِضافيُّ بنوعيه[1] على حسب حال المخاطب إلى ثلاثة أنواع:

أ ـ قصر إفراد إذا اعتقد المخاطب الشِّركة، نحو: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]. ردًّا على مَن اعتقد أنّ الله ثالثُ ثلاثةٍ.

ب ـ قصر قلب: إذا اعتقد المخاطب عكسَ الحكم الذي تُثبته نحو: ما سافر إلا عليّ. ردًّا على من اعتقد أن المسافرَ خليل لا عليٌّ فقد قلبتَ وعكستَ عليه اعتقادَه.

جـ ـ قصر تعيين: إذا كان المخاطب يتردَّد في الحكم، كما إذا كان متردِّداً في كون الأرض متحرّكةً أو ثابتة فتقول له: الأرض متحركة لا ثابتة. ردًّا على مَنْ شَكَّ وَتَرَدّد في ذلك.

واعلم أن القصر يقع بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل، وبين الفاعل والمفعول، وغير ذلك من المتعلّقات.

---

(١) بخلاف الحقيقي بنوعيه، إذ العاقل لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات أو اتصافه بجميعها إلا واحدة، أو يتردد في ذلك، كيف وفي الصفات ما هي متقابلة فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها وينفي عن الباقي إفراداً أو قلباً أو تعييناً. وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف، كما في المطول وشراح التجريد.

تطبيق ١

وضّح فيما يلي نوع القصر وطريقه

١ ـ ما الدَّهرُ عندك إلا رَوضةٌ أُنُفٌ ... يا مَن شمائلُهُ في دهره زَهَرُ[(١)]

٢ ـ ليس عارٌ بأن يُقالَ فقيرٌ ... إنما العار أن يُقال بخيلُ

٣ ـ وإنما الأَمَمُ الأَخلاق ما بقِيت ... فإن هُمُ ذَهبتْ أخلاقُهم ذَهبُوا

٤ ـ فلمّا أبى إلّا البكاءَ رَفَدْتُهُ ... بعَينين كانا للدّموع على قَدْرِ[(٢)]

٥ ـ ما لنا في مديحه غيرُ نظم ... للمساعي التي سعاها ووصفُ

٦ ـ بك اجتمع الملك المُبَدَّدُ شَمْلهُ ... وضُمَّتْ قَواصٍ منه بعد قَواص[(٣)]

٧ ـ سيذكرني قومي إذا جَدَّ جِدُّهُمُ ... وفي الليلة الظلماء يُفْتَقَدُ البدرُ[(٤)]

٨ ـ ما افترقنا في مديحه بل وَصَفْنَا ... بعضَ أخلاقه وذلك يَكفي

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
١	ما الدهر . .	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء
٢	إنما العار . .	موصوف على صفة	إضافي	إنما
٣	إنما الأمم	موصوف على صفة	حقيقي ادعائي	إنما
٤	فلما أبى . . .	صفة على موصوف	إضافي	النفي والاستثناء
٥	ما لنا . . .	صفة على موصوف	إضافي	النفي والاستثناء
٦	بك اجتمع	صفة على موصوف	إضافي	تقديم الجار والمجرور
٧	وفي الليلة . .	موصوف على صفة	إضافي	تقديم الجار والمجرور
٨	ما افترقنا . .	موصوف على صفة	إضافي	بل

(١) روضة أنف: لم يرعها أحد.

(٢) رفده: أعانه. قدر: مصدر قدر على الشيء بمعنى اقتدر.

(٣) المبدد: المفرق. القواصي: جمع قاصية، وهي الناحية البعيدة.

(٤) جد في أمره: اجتهد. والجد (بكسر الجيم): الاجتهاد. وضده الهزل. يُفْتَقد: يُطْلب.

تطبيق ٢

١ ـ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١].

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١٣].

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الحشر: ٥٩].

٤ ـ قال تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: ١٥]

٥ ـ فإنْ كان في لُبْسِ الفتى شَرَفٌ له ... فما السَّيْف إلا غِمده والحمائلُ[1]

٦ ـ ليسَ اليتيمُ الذي قَدْ مَات والدهُ ... بَلِ اليتيمُ يتيم العِلم والأَدب

٧ ـ وما شاب رأسي من سِنينَ تتابَعَت ... عليَّ ولكن شَيَّبَتني الوقائع

٨ ـ إن الجَديدَينِ في طول اختلافهمَا ... لا يَفْسُدَان ولكن يَفسُدُ النـاسُ

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور	باعتبار المخاطب	طريقه
١	إنما الله....	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	إنما
٢	إن حسابهم....	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	النفي والاستثناء
٣	لله ما في السموات	حقيقي	صفة على موصوف		التقديم
٤	إن أنتم....	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	النفي والاستثناء
٥	فما السيف...	إضافي	موصوف على صفة	محتمل	النفي والاستثناء
٦	ليس اليتيم...	إضافي	صفة على موصوف	محتمل	العطف ببل
٧	وما شاب...	إضافي	صفة على موصوف	محتمل	العطف بلكن
٧	لا يفسدان...	إضافي	صفة على موصوف	محتمل	العطف بلكن

(١) جفن السيف: غمده. والحمائل: جمع حمالة. علاقة السيف.

١ ـ لا يألف العلم إلا ذكي، ولا يجفوه إلا غبيّ

٢ ـ قد علمتْ سَلْمى وجاراتُها ... ما قطَّرَ الفارس إلَّا أنا

٣ ـ إنما الدنيا هِباتٌ ... وعوارٍ مُسترَدَّهْ
شِدَّةٌ بعد رَخاءٍ ... وَرَخاءٌ بعد شِدَّه

٤ ـ عَلى اللَّهِ تَوَكّلْنَا، إنّما الأعمال بالنِّيّات، وإنّما لكل امرىء ما نوى

٥ ـ محاسنُ أوصاف المغنِّين جمّة ... وما قصباتُ السبْق إلا لمعْبد[111]

٦ ـ إلى الله أشكو أنّ في النّفس حاجةً ... تمُرّ بها الأيّام وهي كما هِيَا

٧ ـ عند الإمتحانِ يكرمُ المرءُ أو يُهان.

٨ ـ هاتِ جملةً تفيد نجاحَ سعد، وعدم نجاحَ سعيد، بواسطة إنما.

٩ ـ رُدَّ بطريق القصر بإنما على مَنْ ظنَّ أن المطر يكثر شتاء في السودان.

(١٠) ـ أ ـ مَنْ تُخاطب بالجملة الآتية؟ فيكون القصر قصر قلب.

ب ـ مَنْ تُخاطب بالجملة الآتية؟ فيكون القصر قصر إفراد.

جـ ـ مَنْ تُخاطب بالجملة الآتية؟ فيكون القصر قصر تعيين.

وهي: ما أدَّيتُ إلا الواجبَ عليَّ.

١	لا يألف العلم إلا ذكي	قصر صفة على موصوف	حقيقي	النفي والاستثناء
٢	ما قطر الفارس إلا أنا	قصر صفة على موصوف	حقيقي	النفي والاستثناء
٣	إنما الدنيا هبات	قصر موصوف على صفة	إضافي	إنما
٤	على الله توكلنا	قصر صفة على موصوف	إضافي	التقديم
٥	ما قصبات السبق إلا الخ	قصر صفة على موصوف	إضافي	النفي والاستثناء
٦	إلى الله أشكو	قصر صفة على موصوف	حقيقي	التقديم
٧	عند الامتحان يكرم الخ	قصر صفة على موصوف	إضافي	التقديم
٨	إنما نجح سعد لا سعيد			
٩	إنما يكثر المطر في السودان ربيعاً لا شتاء			

أ ـ إذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت غير الواجب عليك.

ب ـ إذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت الواجب وغيره.

جـ ـ إذا كان المخاطب متردداً في تأدية الواجب وغيره.

---

[111] معبد: هو معبد المغني المتوفى سنة (٧٤٣م) نشأ في المدينة، ورحل إلى الشام، وكانت له شهرة واسعة في العصر الأموي لما عرف به من حسن الغناء.

٢ ـ غيِّر الجملة الآتيةَ بحيث تفيد القصرَ بالعطف:
بالاختراعات الحديثة ارتقت الأمم العربيّة.

أسئلة على القصر يطلب أجوبتها

ما هو القصر لغة واصطلاحاً؟
كم قسماً القصر؟
ما هو القصر الحقيقي ما هو القصر الإضافي؟
كم قسماً القصر الحقيقي؟
كم قسماً القصر الإضافي؟
ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الحقيقي؟
ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الإضافي؟
ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الحقيقي؟
ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الإضافي؟
كم قسماً الإضافي بقسميه؟
على من يُرَدّ بقصر الإفراد؟
على مَن يُرَدُّ بقصر القلب؟
على من يُرَدُّ بقصر التعيين؟
ما هي طرق القصر المصطلح عليها في هذا الباب؟
ما أقواها؟
أيمكن وقوع القصر بين الفعل والفاعل؟
أيمكن وقوع القصر بين الفاعل والمفعول؟
أيمكن وقوع القصر بين الفعل ومعمولاته؟
أيمكن وقوع القصر بين المفعولين؟
متى يجب تأخير المقصور عليه؟
ومتى يكثر تأخير المقصور عليه؟
لماذا يجب تأخير المقصور مع إنما؟
ويكثر مع النفي والاستثناء؟

---

(١) ارتقت الأمم الغربية بالاختراعات الحديثة لا بغيرها.

تطبيق عام على القصر والأبواب السابقة

١ ـ لا حول ولا قوة إلا بالله: جملتان خبريتان اسميتان من الضرب الثالث لما فيهما من التوكيد بالقصر الذي: هو أقوى طرق التوكيد. المسند إليه: (حول وقوة) والمسند: الجار والمجرور، ولا نظر لتقديم الخبر لأن ذلك مراعاة لقاعدة نحوية لا يعتبرها أهل المعاني ولا يعدون حذفه إيجازاً. والحكمان مقيدان بالنفي والاستثناء لإفادة القصر، ففيهما قصر صفة وهي التحول عن المعاصي، والقوة على الطاعة على موصوف وهو الذات الأقدس. وهو قصر إضافي طريقه النفي والاستثناء. ثم إن كان للرد على من يعتقد أن التحول عن المعاصي والقوة على الطاعة بغيرالله تعالى فهو قصر قلب، أو على من يعتقد الشركة فهو إفراد، أو على من يتردد فهو تعيين.

٢ ـ إياك نعبد وإياك نستعين: جملتان خبريتان فعليتان من الضرب الثالث. المسند: نعبد ونستعين. والمسند إليه: الضمير المستتر فيهما، وهما مقيدتان بالمفعولين: إياك. وقَدَّم المفعولين لإفادة القصر، ففيهما قصر صفة وهي العبادة والاستعانة على موصوف وهو الذات الأقدس. طريقة تقديم ما حقه التأخير، وهو إضافي. ثم إنْ كان للرد على من يعتقد أن المعبود غير الله تعالى، فهو: قلب، أو على من يعتقد الشركة فهو: إفراد. أو على من يتردد فهو: تعيين.

٣ ـ إنما شوقي شاعر: فيه قصر موصوف وهو شوقي على صفة وهي الشعر، طريقه إنما ـ وهو قلب أو إفراد أو تعيين على حسب حال المخاطب.

٤ ـ الله الغفور الرحيم: فيه قصر الصفة وهي المغفرة والرحمة، على موصوف وهو الله تعالى ـ طريقه: تعريف المسند بأل.

وهو قلب، أو إفراد، أو تعيين، على حسب حال المردود عليه.

٥ ـ إنما الشجاع علي: فيه قصر صفة وهي الشجاعة، على موصوف وهو عليّ طريقه إنما.

٦ ـ المرء بآدابه لا بثيابه: فيه قصر الموصوف على الصفة، قصر قلب بين المسند إليه والمسند. طريقه: العطف بلا.

٧ ـ إنَّما الإلّه واحد: فيه قصر الموصوف على الصفة، قصراً حقيقياً، طريقه: إنما. وهو واقع بين المسند إليه والمسند.

في الوصل والفصل

العلم بمواقع الجُمل، والوقوف على ما ينبغي أن يصنع فيها من العطف والاستئناف والتّهدّي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند عدم الحاجة إليها صعبُ المسلك، لا يُوفّق للصّواب فيه إلّا مَن أُوتي قسطاً وافراً من البلاغة وطُبع على إدراك محاسنها، ورُزق حظًّا من المعرفة في ذوق الكلام، وذلك لغموض هذا الباب ودِقّة مسلكه، وعظيم خطره، وكثير فائدته، يدلّ لهذا أنهم جعلوه حداً للبلاغة، فقد سُئل عنها بعض البلغاء فقال: هي «معرفة الفصل والوصل» فالوصل عطف جملة على أخرى بالواو ونحوها، والفصل ترك هذا العطف[1] والذي يَتكلّم عليه علماءُ المعاني هُنَا

---

(١) اعلم أنه إذا توالت الجملتان، لا يخلو الحال من أن يكون للأولى محل من الإعراب، أوْ لَا. وإن كان لها محل من الإعراب فلا بد من أن يقصد تشريك الثانية لها في حكم الإعراب، أو لا. فإن قصد التشريك عُطِفَتْ الثانية عليها نحو: الله يحيي ويميت، وإلّا فُصِلَتْ عنها نحو: **﴿قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم﴾** [البقرة: ١٤] لم يعطف قوله الله يستهزىء بهم على ما قبله لئلا يشاركه في حكم المفعولية للقول، وهو ليس مما قالوه كما سيأتي، وإن لم يكن لها محل من الإعراب فإن كان لها حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية وجب الفصل، دفعاً للتشريك بينهما، نحو: **﴿إنما أنت منذر ولِكُلِّ قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾** [الرعد: ٧] لم يعطف (قوله الله يعلم) على ما قبله لئلا يشاركه في حكم القصر فيكون تعالى مقصوراً على هذا العلم. وإن لم يكن لها ذلك الحكم نحو: زيد خطيب وعمرو متشرع ـ أو قصد إعطاء حكمها للثانية نحو إنما زيد كاتب وعمرو شاعر، وجب الوصل كما رأيت، ما لم تكن إحدى الجملتين مطلقاً منقطعة عن الأخرى انقطاعاً كاملاً بحيث لا يصح ارتباطهما، أو متصلة بها اتصالاً كاملاً بحيث لا تصح المغايرة بينهما، فيجب الفصل لتعذر ارتباط المنقطعتين بالعطف، وعدم افتقار المتصلتين إلى ارتباط به. ويُحْمَلُ شِبْهُ كل واحد من الكمالين عليه فيعطى حكمه، واعلم أنه لا يقبل في

العطفُ «بالواو» خاصَّة دون بقيَّة حروف العطف ـ لأنَّ الواو هي الأَداة التي تخفَى الحاجةُ إليها، ويحتاج العطف بها إلى لُطف في الفهم، ودقّة في الإِدراك، إذ لا تفيد إلّا مجرّدَ الرّبط وتشريكَ ما بعدها لما قبلها في الحكم ـ بخلاف العطف بغيرها فيفيد مع التّشريك معاني أخرى ـ كالتّرتيب مع التّعقيب في الفاء ـ وكالتّرتيب مع التّراخي في ثُمَّ ـ وهكذا باقي حروف العطف التي إذا عُطف بواحد منها ظهرت الفائدة، ولا يقع اشتباه في استعماله.

وشرط العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامعٌ كالمُوافقةِ في نحو: يقرأ ويكتبُ، وكالمُضادّة في نحو يضحك ويبكي، وإنّما كانت المضادّة في حكم المُوافقة، لأنّ الذّهن يتصوّر أحد الضّدين عند تصوّر الآخر، فالعلم يخطر على البال عند ذكر الجهل كما تخطر الكتابة عند ذكر القراءة.

والجامع يجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعاً فلا يُقال خليل قادم، والبعير ذاهب، لعدم الجامع بين المسند إليهما، كما لا يقال: سعيد عالم، وخليل قصير، لعدم الجمع بين المسندين.

وفي هذا الباب مبحثان.

= العطف إلا عطف المتناسبات مفردة أو جملاً بالواو أو غيرها، فالشرط وجود جهة جامعة بين المتعاطفات، فنحو الشمس والقمر والسماء والأرض، محدثة (مقبول) ونحو الشمس والأرنب والحمار. محدثة (غير مقبول) لكن اصطلاحهم اختصاص الوصل والفصل بالجمل، وبالواو، فلا يحسن الوصل إلا بين الجمل المتناسبة، لا المتحدة ولا المتباينة، وإلّا فصل. واعلم أنه إن وجدت الواو بدون معطوف عليه قدّر مناسب للمقام، نحو: ﴿**أو كلما عاهدوا عهداً**﴾ [البقرة: ١٠٠] فيقدر اكفروا وكلما عاهدوا لأن الهمزة تستدعي فعلاً.

المبحث الأول

في مواضع الوصل

الوصلُ عطفُ جملة على أُخرى بالواو ونحوها، ويقع في ثلاثة مواضع[١]:

الأول: إذا اتّفقت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظاً ومعنى أو معنى فقط[٢] ولم يكن هناكَ سببٌ يقتضي الفصل بينهما، وكانت بينهما مُناسبةٌ تامّة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] وقوله تعالى: ﴿فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤].

أي إنّي أُشهِدُ اللّهَ وأشهِدُكم[٣]، فتكون الجملة الثانية في هذه الآية إنشائية لفظاً، ولكنّها خبرية في المعنى[٤].

ونحو: إذهبْ إلى فلان وتقول له كذا، فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظاً. ولكنها إنشائية معنى «أي وقلْ له».

فالاختلاف في اللفظ لا في المعنى المُعوّل عليه، ولهذا وجب الوصل وعطف الجملة الثانية على الأولى لوجودالجامع بينهما، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، وكل من الجملتين لا موضع له من الإعراب.

الثاني: إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية وكان الفصل يُوهِم خِلاَف

---

(١) الوصل يقع وجوباً بين جملتين متناسبتين لا متحدتين ولا مختلفتين كما سيأتي تفصيل ذلك.

(٢) المعول عليه اتفاقهما في المعنى لأن العبرة به ولا قيمة لاختلاف الصورة اللفظية.

(٣) والداعي لذكر الجملة الثانية إنشائية ولم تذكر كالأولى خبرية لأجل التحاشي عن مساواة شهادتهم بشهادته تعالى ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ.

(٤) اعلم أن صور الجملتين ثمانية، لأنهما (إما خبريتان) لفظاً ومعنى أو معنى لا لفظاً، أو الأولى جملة خبرية معنى لا لفظاً، أو بالعكس.

(وإما إنشائيتان) لفظاً ومعنى، أو معنى لا لفظاً، أو الأولى جملة خبرية صورة والثانية إنشائية، أو بالعكس كما مثلنا.

المقصود[1] كما تقول مجيباً لشخص بالنّفي «لا وشفاه الله[2]».

لمن يسألك هل بَرِئ عليٌّ من المرض؟ فَتَرْكُ الواو يُوهم السّامع الدُّعاء عليه، وهُو خلافُ المقصود، لأن الغرض الدعاءُ له.

ولهذا وجب أيضاً الوصل وعطف الجملة الثانية على الأولى لدفع الإِيهام، وكلٌّ من الجملتين لا محل له من الإعراب.

الثالث: إذا كان للجملة الأولى محلٌّ من الإعراب، وقُصِد تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع نحو: عليٌّ يقول ويفعل، فجملة يقول في محل رفع خبر المبتدأ، وكذلك جملة: ويفعل، معطوفة على جملة يقول وتشاركها بأنها في محل رفع خبر ثان للمبتدأ.

وحكم هذه الجملة حكم المفرد المُقتضِي مُشاركة الثّاني للأوّل في إعرابه والأحسن أن تَتَّفِقَ الجملتان في الإِسمية والفعلية، والفعليتان في الماضوية والمضارعية، أي أن تُعْطف الاسمية على مثلها، وكلّ من الماضوية والمضارعيّة على مثلها، وكذا الإِسميتان في نوع المسند من حيثُ الإِفراد والجمليّة والظّرفية، ولا يَحسن العدولُ عن ذلك إلّا لأغراض:

أ ـ كحكاية الحال الماضية، واستحضار الصّورة الغريبة في الذهن نحو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥] ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

ب ـ وكإفادة التجدُّد في إحداهما، والثُّبوت في الأخرى ـ نحو: ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٥] فقد لُوحظَ في الأولى إحداثُ تعاطِي الحقّ، وفي الثانية الاستمرار على اللّعِب، والثّبات على حالة الصّبا ـ ونحو: الصّديق يُكاتبني وأنا مقيمٌ على وُدّهِ[3].

---

(١) أما إذا لم يحصل إيهام خلاف المقصود فيجب الفصل نحو سافر فلان سلمه الله.

(٢) فجملة شفاه الله خبرية لفظاً إنشائية معنى والعبرة بالمعنى، واعلم أن «لا» في هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية إذ التقدير «لا برء حاصل له» وهكذا يقدر المحذوف بحسب كل مثال يليق به.

(٣) وذلك لأنّ الدلالة على التجدّد تكون بالجملة الفعليّة، وعلى الثّبوت بالجملة الإسمية، ومثل هذا يحصل عند إرادة المضي في إحداهما والمضارعية في الأخرى.

المبحث الثاني

في مواضع الفصل

من حقِّ الجُمَل إذا ترادفت ووقع بعضُها إِثر بعض أن تُربطَ بالواو لِتكونَ على نَسق واحد، ولكن قد يَعرِضُ لها ما يُوجب تركَ الواو فيها ويُسمى هذا فصلاً، ويقع في خمسة مواضع:

الأول: أن يكون بين الجملتين اتحادٌ تامٌّ وامتزاجٌ معنويٌّ حتّى كأنّهما أُفرغَا في قالَب واحد، ويُسّمى ذلك «كمالَ الاتصال».

الثاني: أن يكون بين الجملتين تبايُنٌ تَامٌّ بدون إيهام خلاف المراد ويُسمَّى ذلك «كمالَ الانقطاع».

الثالث: أن يكون بين الجملتين رابطة قويّة، ويُسمّى «شِبهَ كمال الاتصال».

الرابع: أن يكون بين الجملة الأولى والثالثة جملةٌ أخرى متوسطة حائلة بينهما فلو عطفت الثالثةُ على «الأولى المناسبةِ لها» لتوهُمّ أنها معطوفة على «المتوسِّطة» فيترك العطف، ويسمّى «شِبهَ كمال الانقطاع».

الخامس: أن يكون بين الجملتين تناسبٌ وارتباط لكن يمنع من عطفهما مانع وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم، ويُسمّى «التّوسُّطَ بين الكمالين».

إيضاح وتحديد

لِكُلِّ موضع من مواضع الفصل الخمسة السّابقة، وهي:

الموضع الأول: «كمال الاتصال» وهو اتِّحَادُ الجملتينِ اتّحاداً تاماً وامتزاجاً معنوياً بحيث تنزل الثّانية من الأولى مَنزلة نفسها.

أ ـ بأن تُجْعَل بدلاً منها نحو: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٢ ـ ١٣٣].

ب ـ أو بأن تُجعل بياناً لها، كقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠].

جـ ـ أو بأن تُجعل مُؤكِّدة لها، كقوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾[1] [الطارق: ١٧] فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً يمنع عطف الشيء على نفسه، ويُوجب الفصل.

الموضع الثاني: «كمال الانقطاع» وهو اختلاف الجملتين اختلافاً تامًّا:

أ ـ بأن يختلفا خبراً وإنشاء، لفظاً ومعنى، أو معنى فقط نحو: حضر الأمير حفظه الله: ونحو تكلّم إنّي مُصغٍ إليك، وكقول الشاعر:

وقال رائِدُهم أرسوا نُزاولها ... فحتفُ كلّ امرىء يجري بمقدار[2].

ب ـ أو بألّا تكون بينهما مناسبة في المعنى ولا ارتباط، كقولك: عليٌّ كاتبٌ. الحمام طائر، فإنه لا مناسبة بين كتابة عليّ، وطيران الحمام فالمانع من العطف في هذا الموضع «أمر ذاتي» لا يمكن دفعه أصلاً، وهو التّباين بين الجملتين، ولهذا وجب الفصل وترك العطف، لأنّ العطف يكون للرَّبط، ولا ربط بين جُملتين في شدة التّباعد وكمال الانقطاع.

الموضع الثالث «شِبه كمال الاتصال» وهو: كون الجملة الثانية قويّة الارتباط بالأولى لوقوعها جواباً عن سُؤال يُفهم من الجملة الأولى، فتُفصَلُ عنها كما يفصل الجواب عن السّؤال، نحو: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[3] [يوسف: ٥٣] ونحو:

زعم العواذلُ أنّني في غمرة ... صَدقُوا ولكنْ غمرتي لا تَنجَلِي

---

(١) هذا في بدل البعض، وأما في بدل الكل فنحو: **﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أئذا متنا﴾** [المؤمنون: ٨١، ٨٢] وأما بدل الاشتمال فنحو قوله:

أقول له ارحل لا تُقيمنَّ عندنا ... وإلّا فكن في السّر والجهر مُسلما

فجملة لا تقيمنّ بدل من ارحل بدل اشتمال لأن بينهما مناسبة بغير الكلية والجزئية.

(٢) أي أوقفوا السفينة كي نباشر الحرب ولا تخافوا من الموت فإن لكل أجل كتاباً، أي فالمانع من العطف في هذا الموضع أمر ذاتي لا يمكن دفعه أصلاً وهو كون إحداهما جملة خبرية والأخرى إنشائية ولا جامع بينهما.

(٣) الجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى «لِمَ لا تبرِّىء نفسك؟» فقال «إنّ النفس لأمّارة بالسوء» فهذه الرابطة القويَّة بين الجملتين مانعة من العطف فأشبهت حالة اتحاد الجملتين، وبذلك ظهر الفرق بين كمال الاتصال، وشبه كمال الاتصال.

«كأنه سُئِل: ـ أصدَقوا في زعمهم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا»[1].

---

(١) وبيان ذلك بعبارة أخرى أنه إذا اجتمعت جملتان: فذلك على خمسة أحوال:
أولاً: أن تكون الثانية بمعنى الأولى، أو جزءاً منها، فيجب ترك العطف لأن الشيء لا يُعطف على نفسه، وكذا الجُزء لا يُعطف على كلّه، فيقال حينئذٍ إنّ بين الجملتين كمال الاتصال ـ ومواضعه:
أ ـ أن تكون الثانية توكيداً للأولى، مثل قوله تعالى: **﴿ما هَذَا بَشَراً إنْ هَذَا إلاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾** [يوسف: ٣١].
ب ـ أن تكون الثانية بدلاً من الأولى، مثل أطعتُ الله، أدّيت الصلاة.
جـ ـ أن تكون الثانية بياناً للأولى، مثل: بثّني شكواه. قال إني لا أجد قوت يومي.
ثانياً: أن تكون الثانية مباينة للأولى تمام المباينة، فيجب ترك العطف لأن العطف يكون للربط، ولا ربط بين المتباينين، فيقال بين الجملتين كمال الانقطاع. ومواضع ذلك:
أ ـ أن تختلفا خبراً وإنشاء مثل: مات فلان رحمه الله، إلا إذا أوهم ترك العطف خلاف المقصود فيجب العطف نحو لا وشفاك الله.
ب ـ أن تتحدا خبراً وإنشاء ولكن لا يوجد بينهما رابط، مثل القمر طالع ـ أكلت كثيراً.
ثالثاً: أن تكون الجملتان متناسبتين وبينهما رابطة، ويُسمّى ذلك التوسطَ بين الكمالين ـ وذلك على نوعين:
أ ـ ألّا يمنع من العطف مانع فيعطف، مثل: اجتهدوا وتأدبوا.
ب ـ أن يمنع مِن العطف مانع، وهو عدم قصد التشريك في الحكم فيمتنع العطف مثل قوله تعالى: **﴿وَإذَا خَلَوْا إلى شَيَاطِينِهِمْ قالوا إنّا معكم إنّما نَحنُ مُستَهزِئُونَ الله يَستَهزِىءُ بِهِمْ﴾**.
رابعاً: أن تكون الثانية قوية الرابطة بالأولى، لأنها جواب عن سؤال يفهم من الأولى، فهذه الرابطة القوية تمنع العطف، لأنها أشبهت حالة اتحاد الجملتين ويسمى ذلك شبه كمال الاتصال، مثل: رأيته مبتسماً، أظنه نجح.
خامساً: أن تكون الأخيرة مناسبة للأولى، ولا مانع من عطفها عليها، ولكن يعرض حائل بينهما وهو جملة أخرى متوسطة، فلو عطفت الثالثة على الأولى المناسبة لها لتوهم أنها معطوفة على المتوسطة، فامتنع العطف بتاتاً وأصبحت الجملتان كأنهما منقطعتان بهذا الحائل، ويُسمى ذلك شبه كمال الانقطاع نحو، قول الشاعر:

وتظنّ سلمى أنّني أبغي بها ... بدلاً أراها في الضلال تَهيمُ

واعلم أنّ التركيب الذي تجاذبت فيه أسباب الوصل وتعاضدت دواعيه قد يفصل إمّا لمانع من تشريك الجملة الثانية مع الأولى ويُسمى قطعاً كما سبق، وإمّا لجعله جواب سُؤال مقدّر لإغناء السّامع عنه، أو لكراهة سماعه له لو سأل، أو لكراهة انقطاع كلامه بكلام السائل، أو للاختصار، ويُسمّى الفصل لذلك استئنافاً، كقوله:

في المهد ينطق عن سعادة جدّه ... أثر النجابة ساطع البرهان

على تقدير أنه جواب كيف ينطق وهو رضيع لم يبلغ أوان النّطق.

فالمانع من العطف في هذا الموضع وجود الرابطة القويّة بين الجملتين فأشبهت حالة اتحاد الجملتين ـ ولهذا وجب أيضاً الفصل.

الموضع الرابع: «شِبه كمال الانقطاع» وهو أن تسبق جملةٌ بجملتين يصحُّ عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فسادٌ في المعنى، فيُترك العطف بالمرَّة دفعاً لتوهُّمِ أنه معطوف على الثانية، نحو:

وَتَـظـنُّ سَـلـمَـى أنّـنـي أبـغِـي بـهـا ... بـدلاً أُراهـا فـي الـضـلال تَـهـيـمُ

فجملة «أُراها» يصح عطفها على جملة «تظنّ» لكن يمنع من هذا توهُّم العطف على جملة «أبغِي بها» فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى، مع أنه غير المقصود، ولهذا امتنع العطف ووجب أيضاً الفصل.

والمانع من العطف في هذا الموضع «أمر خارجي احتمالي» يمكن دفعه «بمعونة قرينة» ومن هذا وممّا سبق يُفهم الفرق بين كلّ من «كمال الانقطاع ـ وشبه كمال الانقطاع».

الموضع الخامس «التَّوسّط بين الكمالين مع قيام المانع» وهو كون الجملتين مُتناسبتين وبينهما رابطة قويّة ـ لكن يمنع من العطف مانع، وهو عدم قصد التّشريك في الحكم ـ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥] فجملة «اللَّهُ يَسْتَهزِىءُ بِهِمْ» لا يصح عطفها على جملة «إنّا معكم» لاقتضائه أنه من مقول المنافقين والحال أنه من مقوله تعالى «دعاء عليهم»، ولا على جملة «قالوا» لئلّا يُتوهَّم مشاركته له في التّقييد بالظّرف، وأنّ استهزاء الله بهم مُقيّد بحال خُلوّهم إلى شياطينهم، والواقع أنّ استهزاء الله بالمنافقين غيرُ مقيّد بحال من الأحوال ولهذا وجب أيضاً الفصل.

تنبيهان

الأول ـ لمّا كانت الحال تجيء جملة، وقد تقترن بالواو، وقد لا تقترن فأشبهت الوصل والفصل، ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبتها، نحو: جاء فؤاد والشمس طالعة[1] ويجب فصلها في ثلاثة مواضع:

---

(١) بيان ذلك أن الحال:
إمّا مؤكدة فلا «واو» للاتحاد بين الجملتين لأنها مقررة لمضمونها نحو سعد أبوك كريماً، وإما منتقلة لحصول معنى حال النسبة أي نسبة العامل إلى صاحب الحال فلزم فيها أمران: الحصول والمقارنة. فالحال المفردة صفة في المعنى، فلا تحتاج لواو للاتحاد. =

١ ـ إذا كان فعلها ماضياً تَالياً «إلا» أو وقع ذلك الماضي قبل «أو» التي

= وأما الجملة، فالمضارع المثبت لا يؤتى له بواو للارتباط معنى، لوجود الحصول والمقارنة معاً، فلا حاجة للربط بها ـ نحو: ﴿**وجاؤوا أباهم عشاء يبكون**﴾ [يوسف: ١٦] ونحو، قدم الأمير تتسابق الفرسان أمامه، ولا يجوز: وجاؤوا أباهم عشاء ويبكون، ولا: قدم الأمير وتتسابق، وهذه إحدى المسائل السبع المذكورة في النحو التي تمتنع فيها الواو.

الثانية: الحال الواقعة بعد عاطف نحو: ﴿**فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون**﴾ [الأعراف: ٤] الثالثة: المؤكدة لمضمون الجملة نحو: هو الحق لا شك فيه ﴿**ذلك الكتاب لا ريب فيه**﴾ [البقرة: ٢] الرابعة: الماضي التالي إلاّ، نحو: ما تكلم زيد إلاّ قال خيراً، وقيل يجوز اقترانه بالواو كما ورد في قوله:

نِعم امرأً هَرِمٌ لم تَعْرُ نائبة ... إلا وكان لمرتاع بها وِزْرا

الخامسة ـ الماضي المتلو بأو: نحو ـ لأضربنه ذهب أو مكث ـ ومنه:

كن للخليل نصيراً جارَ أو عدلا ... ولا تشحّ عليه جادَ أو بخلا

السادسة: المضارع المنفي بلا، نحو: ﴿**وما لنا لا نؤمن بالله**﴾ [المائدة: ٨٤] مالي لا أرى الهدهد، وقوله:

لو أن قوماً لارتفاع قبيلة ... دخلوا السماء دخلتها لا أُحجب

السابعة: المضارع المنفي بما، كقوله:

عهدتكِ ما تصبو وفيك شبيبة ... فمالك بعد الشيب صبّا متيمّا

وأبعد الجمل في الصلاح للحالية الجملة الإسمية لدلالتها على الثبوت، لا على الحصول والمقارنة، فيجب فيها الواو ـ نحو: ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾ [البقرة: ٢٢] وقد يكتفى فيها بالضمير ندوراً، نحو كلمته فوه إلى فيّ ـ أي مشافهة ـ ثم الماضي مثبتاً لعدم المقارنة فيحسن معها الواو لأن الماضي يدلّ على الحصول المتقدم، لا الحصول حال النسبة، وتجب «قد» تحقيقاً أو تقديراً لتقرّبه من الحال أي لتجعل (قد) الفعل الماضي الدال على حصول متقدم، لا حصول حال النسبة قريباً من حال النسبة لا من حال التكلم، إذ اللازم في الحال مقارنتها لزمان النسبة لا لزمان التكلم، وإنما اكتفى بهذا التقريب في صحة الحال وإن كان اللازم الاقتران، إما لأنه ينزل قرب الحال إلى زمان النسبة منزلة المقارنة مجازاً، وإما لأنه يعتبر قربها في الفعل هيئة للفعل، فإذا قلت جاءني زيد وقد ركب ـ فكأنك نزلت قرب ركوبه من مجيئه منزلة مقارنته له، أو جعلت كون مجيئه بحيث يقرب منه ركوبه هيئة لمجيئه وحالاً له، ـ قالوا ـ وتمتنع (قد) مع الماضي الممتنع ربطه بالواو. وهو التالي إلاّ.

والمتلو بأو ـ لكن في شرح الرضي ـ أنهما قد يجتمعان بعد إلا ـ نحو ما لقيته إلا وقد أكرمني ويلي الماضي المثبت الماضي المنفي لأنه هيئة للفعل بالتأويل. لأن قولك جاء زيد ليس راكباً، في قوة جاء زيد ماشياً فيتحقق الحصول ويستمر غالباً فيقارن كذلك فيحسن ترك =

للتّسوية، نحو: ما تكلّم فؤاد إلّا قال خيراً، وكقول الشاعر:

كُن للخليل نصيراً جار أو عدلا ... ولا تشحّ عليه جادَ أوْ بخلا

٢ ـ إذا كان فعلها مضارعاً مُثبتاً أو منفيّاً «بما ـ أو ـ لا» نحو: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾ [يوسف: ١٦] ونحو: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٨٤] ونحو:

عَهِدْتُكَ ما تَصبُو وفيكَ شَبيبةٌ ... فمالكَ بعد الشَّيبَ صبًّا مُتَيَّماً

٣ ـ إذا كانت اسمية واقعة بعد حرف عطف ـ أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما قبلها ـ كقوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] وكقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[1] [البقرة: ٢].

الثاني: علم ممّا تقدّم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين في الخبرية والانشائية، ولا بدَّ مع اتفاقهما من جهة بها يتجاذبان، وأمر جامع به يتآخذان، وذلك الجامع إمّا عقلي[2] أو وَهمي[3] ....

= الواو نظراً إلى تحقق الحصول والمقارنة، ويجوز ذكرها أيضاً نظراً إلى كونه ما كان هيئة للفعل إلا بعد تأويل، ونظراً إلى كون استمراره أغلبياً لا دائمياً والأحسن في الظرف إذا وقع حالاً ترك الواو نظراً للتقدير بمفرد، تقول نظرت الهلال بين السحاب، ومثله الجار والمجرور نحو فخرج على قومه في زينته، ونحو أبصرت البدر في السماء، وإن جوزوا الواو بتقدير فعل ماض، وما يخشى فيه التباس الحال بالصفة أتي فيه بالواو وجوباً، ليتميز الحال فيقال جاء رجل ويسعى ـ إذ لو قيل يسعى ـ لالتبس الحال بالصفة في مثله.

(١) لما كان قوله ذلك الكتاب، فيه مظنة مجازفة بسبب إيراد المسند إليه اسم إشارة ـ والمسند معرفاً بأل، أكده بقوله (لا ريب فيه) تأكيداً معنوياً.
ولما كانت الدعوى المذكورة مع ادعاء عدم المجازفة مظنة استبعاد، أكده بقوله «هدى للمتقين» تأكيداً لفظياً حتى كأنه نفس الهداية.

(٢) فالجامع العقلي: أمر بسببه يقتضي العقل اجتماع الجملتين في القوة المفكرة كالاتحاد في المسند أو المسند إليه، أو في قيد من قيودهما، نحو: زيد يصلي ويصوم ويصلي زيد وعمرو. وزيد الكاتب شاعر. وعمرو الكاتب منجم. وزيد كاتب ماهر، وعمرو طبيب ماهر، وكالتماثل والاشتراك فيهما. أو في قيد من قيودهما أيضاً بحيث يكون التماثل له نوع اختصاص بهما أو بالقيد، لا مطلق تماثل ـ فنحو زيد شاعر وعمرو كاتب لا يحسن إلّا إذا كان بينهما مناسبة لها نوع اختصاص بهما ـ كصداقة أو أخوة أو شركة أو نحو ذلك، وكالتضايف بينهما. بحيث لا يتعقل أحدهما إلا بالقياس إلى الآخر كالأبوة مع البنوّة، والعلة مع المعلول، والعلو والسفل، والأقل والأكثر، إلى غير ذلك.

(٣) والجامع الوهمي: أمر بسببه يقتضي الوهم اجتماع الجملتين في المفكرة كشبه التماثل الذي بين نحو لوني البياض والصفرة، فإنَّ الوهم يبرزهما في معرض المثلين من جهة أنه يسبق إليه =

أو خَيالي [1]

أسئلة على الوصل والفصل يطلب أجوبتها

ما هو الوصل؟

ما هو الفصل؟

كم موضعاً للوصل؟

كم موضعاً للفصل؟

ما هو الجامع العقلي؟

ما هو الجامع الوهمي؟

ما هو الجامع الخيالي؟

متي يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها؟

في كم موضع يجب فصل الجملة الحالية؟

= أنهما نوع واحد زائد في أحدهما عارض، بخلاف العقل فإنه يدرك أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد هو اللون، وكالتضاد بالذات، وهو: التقابل بين أمرين وجوديين بينهما غاية الخلاف، يتعاقبان على محل واحد، كالسواد والبياض، أو التضاد بالعرض كالأسود والأبيض، لأنهما ليسا ضدين لذاتهما لعدم تعاقبهما على محل واحد، بل بواسطة ما يشتملان عليه من سواد وبياض، وكشبه التضاد كالسماء والأرض، فإن بينهما غاية الخلاف ارتفاعاً وانخفاضاً لكن لا يتعاقبان على محل واحد كالتضاد بالذات، ولا على ما يشمله كالتضاد بالعرض.

(1) والجامع الخيالي: أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماع الجملتين في المفكرة بأن يكون بينهما تقارن في الخيال سابق على العطف لتلازمهما في صناعة خاصة، أو عرف عام، كالقدوم والمنشار والمثقاب في خيال النجار.

والقلم والدواة والقرطاس في خيال الكاتب، وكالسيف والرمح والدرع في خيال المحارب، وهلم جرًا وللقرآن الكريم اليد البيضاء في هذا الباب ـ كقوله تعالى: **﴿أفلا ينظرون إلى الإبلِ كيف خُلِقَتْ، وإلى السماء كيف رُفِعَتْ، وإلى الجبال كيف نُصِبَتْ، وإلى الأرض كيف سُطِحَتْ﴾** [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠] فالمناسبة بين الإبل والسماء ـ وبينهما وبين الجبال والأرض غير موجودة بحسب الظاهر. ولكنه أسلوب حكيم في غاية البلاغة ـ لأنه لما كان الخطاب مع العرب، وليس في تخيلاتهم إلا الإبل لأنها رأس المنافع عندهم، والأرض لرعيها والسماء لسقيها، وهي التي توصلهم إلى الجبال التي هي حصنهم عندما تفجأهم حادثة، أورد الكلام على طبق ما في مخيلاتهم.

جربت دهري وأهليه فما تركت — لي التجارب في ودّ امرىء غرضا

فصلت الثانية لشبه كمال الاتصال فإنها جواب سؤال.

٢ ـ ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٦] فصلت الثانية لشبه كمال الاتصال فإنها جواب سؤال ناشىء مما قبلها.

٣ ـ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً، عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما في الإنشاء مع المناسبة التامة بين المفردات فإن المسند إليه فيهما متحد والمسند، وقيدهما متقابلان.

٤ ـ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤] عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما خبراً لفظاً ومعنى مع المناسبة التامة بين مفرداتهما ـ فإن المسندين المقدرين فيهما متحدان، والمسندان إليهما متقابلان. وقيدهما الأول متحد. والثاني متقابل.

٥ ـ أُشْكُر اللَّهَ على السّراء يُنْجِيكَ من الضّراء، لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الانقطاع. فإن الأولى إنشائية لفظاً ومعنى والثانية عكسها.

٦ ـ اصبر على كيد الحسود لا تضجر من مكائده، لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الاتصال فإنها مؤكدة لها.

٧ ـ أنت حميد الخصال ـ تصنع المعروف وتغيث الملهوف، فصلت الثانية من الأولى لكمال الاتصال فإنها بيان لها. ووصلت الثالثة بالثانية للتوسط بين الكمالين مع وجود مانع من الوصل.

تمرين (١)

بيِّن سر الفصل والوصل فيما يلي:

١ ـ أُخطُ مع الدهر إذا ما خطا — واجْرِ مع الدَّهر كما يجري [1]

٢ ـ حكم المنية في البرية جار — ما هذه الدُّنيا بدارِ قَرَار [2]

٣ ـ لا تَدْعُه أن كنت تُنصف نائباً — هو في الحقيقة نائمٌ لا نائب [3]

---

(١) وصل بين الجملتين لاتفاقهما إنشاء مع وجود المناسبة وعدم المانع.

(٢) فصل الشطر الثاني عن الأول لأنه توكيد معنوي له ـ إذ يفهم من جريان حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء فأكد ذلك بالشطر الثاني فبينهما كمال الاتصال.

(٣) فصل الشطر الثاني عن الأول لاختلافهما خبراً وإنشاء إذ الثاني خبر والأول إنشاء، فبينهما كمال الانقطاع.

٤ ـ قال لي كيف أنت قلتُ عليلُ ... سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلُ[(١)]

٥ ـ قالت بُليتَ فما نراك كعهدنا ... لَيْتَ الْعُهُودَ تجدَّدَتْ بعد البِلى[(٢)]

٦ ـ ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾[(٣)] [النمل: ٨٨]

وإنما المرءُ بأصغريهِ ... كلّ امرىءٍ رهنٌ بما لديهِ

لَا تَطْلُبُنَّ بآلة لَك حاجة ... قلمُ البليغ بغير حَظّ مِغْزَلُ

٧ ـ يَرَى البخيلُ سَبيلَ المال واحدةً ... إنّ الكريم يرى في ماله سُبلا[(٤)]

٨ ـ نفسي له نفسي الفداءُ لنفسه ... لكنّ بعض المالكين عفيف[(٥)]

٩ ـ ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[(٦)] [يوسف: ٣١].

١٠ ـ ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[(٧)] [الرعد: ٢].

١١ ـ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[(٨)] [النجم: ٣ ـ ٥].

١٢ ـ ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾[(٩)] [هود: ٦٩]

---

(١) فصل بين قال وقلت لأن الثاني جواب سؤال ـ إذ جرت العادة أنه إذا قيل للرجل كيف أنت. أن يجيب. أنا عليل وكذا بين جملتي سهر دائم وحزن طويل فكأنه قيل: فما سبب علتك؟ فأجاب سهر دائم الخ ففي كل منهما شبه كمال الاتصال.

(٢) بين الشطر الثاني والأول كمال الانقطاع لأن أولهما خبر والثاني إنشاء.

(٣) بين جملتي ترى وتحسب كمال الاتصال لأن الثانية بدل اشتمال من الأولى.

(٤) بين الشطر الثاني والأول شبه كمال الاتصال لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر نشأ من الأولى كأنه قيل: فما حال الكريم في ماله؟ فقال إن الكريم الخ.

(٥) بين نفسي له ونفسي الفداء كمال الاتصال لأن الثانية توكيد لفظي للأولى.

(٦) إن هذا إلا ملك، توكيد معنوي لقوله ما هذا بشراً، إذ مجرى العادة والعرف أنه إذا قيل في معرض المدح: ما هذا بشراً، وما هذا بآدمي، أن يكون الغرض أنه ملك، فيكنى به عن ذلك. فبينهما كمال الاتصال.

(٧) بين يدبر ويفصل كمال الاتصال لأن الثانية بدل بعض من كل.

(٨) بين قوله وما ينطق عن الهوى وقوله إن هو إلا وحي يوحى. كمال الاتصال لأن الثانية توكيد معنوي، لأن تقرير كونه وحياً نفي لأن يكون عن هوى.

(٩) بين قالوا وقال شبه كمال الاتصال، لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر، كأنه قيل فماذا قال لهم؟ حينئذٍ أجيب بأنه قال سلام، وهكذا الحال في حكاية القصص في كل ما جاء في القرآن، والحديث وكلام العرب.

١٣ ـ يهوَى الثناء مبرّز ومقصّرُ   حبُّ الثناء طبيعةُ الإنسان[١]

١٤ ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾[٢] [البقرة: ٨، ٩].

١٥ ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾[٣] [لقمان: ٧]

١٦ ـ ألَا مَن يشتري سهراً بنوم   سعيدٌ مَنْ يَبيتُ قرير عَيْن[٤]

١٧ ـ فآبوا بالرماح مكسّرات   وأُبنا بالسّيوف قد انحنينا[٥]

١٨ ـ فما الحداثة عن حلم بمانعة   قدْ يُوجد الحلمُ في الشّبان والشّيب[٦]

يقولون إني أحمِل الضّيم عندهم   أعوذ بربي أن يضام نظيري[٧]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٨] [البقرة: ٦]

فيا موتُ زُرْ إنَّ الحياة ذميمةٌ   ويا نَفْسُ جِدّي إن دهرك هازل[٩]

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾[١٠] [البقرة: ٤٩] ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً

---

(١) فصل بين الشطر الثاني والأول، لأن بينهما كمال الاتصال، إذ الشطر الثاني مؤكد للأول.

(٢) فصل جملة يخادعون عما قبلها، لأن بينهما كمال الاتصال، لأن هذه المخادعة ليست شيئاً غير قولهم آمنا، دون أن يكونوا مؤمنين، فهي إذاً توكيد معنوي للأولى.

(٣) فصلت جملتا كأن لم يسمعها ـ وكأن في أذنيه وقرا، عما قبلهما لأنهما كالتوكيد له، إذ المقصد من التشبيهين واحد، وهو أن ينفي الفائدة في تلاوة ما تُلي عليه من الآيات. فهما من كمال الاتصال.

(٤) فصل الشطر الثاني عن الأول لاختلافهما خبراً وإنشاء ـ فبينهما كمال الانقطاع.

(٥) بين جملتي آبوا وأُبنا توسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية مع وجود المناسبة.

(٦) بين الشطر الثاني والأول شبه كمال الاتصال، إذ الثاني جواب سؤال مقدر.

(٧) هذا البيت من حيث عدم عطف أعوذ على ما قبله. على حد قوله: وتظن سلمى الخ.

(٨) لم تعطف على ما قبلها مع أن بينهما مناسبة في المعنى بالتضاد لأنها مبيّنة لحال الكفار، وما قبلها مبين لحال المؤمنين، وإن بيان حال المؤمنين غير مقصود لذاته، بل ذكر استتباعاً لبيان حال الكفار، وليس بين بيان حال المؤمنين وحال الكفار مناسبة تقتضي الوصل.

(٩) لم يعطف قوله إن الحياة على ما قبله لأنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل لماذا تطلب زيارة الموت؟؟ فأجاب إن الحياة ذميمة.

(١٠) لم يعطف قوله يذبحون على يسومون لكونه بياناً له.

﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[1] [النمل: ٨٨] ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾[2] [الرعد: ٢] ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾[3] [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

---

(١) فجملة تحسبها جامدة بدل اشتمال.

(٢) فجملة يفصل الآيات بدل بعض.

(٣) فجملة يلق أثاماً بدل كل ـ وقد أنكر بدل الكل علماء البيان خلافاً للنحاة.



الباب التاسع

في الإيجاز والإطناب والمُساواة

كلُّ ما يجُول في الصَّدر من المعاني، ويخطر ببالك معنى منها، لا يَعدُو التّعبير عنه طريقاً من طُرقٍ ثلاث:

أولاً: إذا جاء التّعبير على قدر المعنى بحيث يكون اللّفظ مُساوياً لأصل ذلك المعنى، فهذا هو «المُساواة» وهي الدّستورُ الذي يُقاس عليه.

ثانياً: إذا زاد التعبيرُ على قدر المعنى فذاك هو «الإِطناب».

ثالثاً: إذا نُقص التعبير عن قدر المعنى فذلك هو «الإيجاز»(١).

لهذا يختار البليغ للتّعبير عمَّا في نفسه طريقاً من هذه الطُّرق الثّلاث، فهو تارةً يُوجِزُ، وتارةً يُسهبُ، وتارة يأتي بالعبارة بيْنَ بيْنَ.

وذلك على حسب ما يقتضيه حال المخاطب، ويدعو إليه موطنُ الخطاب وفي هذا الباب ثلاثة مباحث.

---

(١) قال الإمام علي ما رأيت بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة وقالت بنت الحطيئة لأبيها: ما بال قصارك أكثر من طوالك؟ قال: لأنها بالآذان أولج، وبالأفواه أعلق. وقيل لشاعر: لم لا تطيل شعرك؟
فقال: حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.



المبحث الأول

في الإيجاز وأقسامه

الإيجاز: هو جَمعُ المعاني المُتكاثِرَة تحت اللّفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح.

يعني إنّ الإيجاز هو تأدية المعنى بأقلّ من مُتعارف الأوساط(١) مع وفائها بالغرض كقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها ـ وكقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وكقوله عليه السلام «إنما الأعمال بالنيات»[١١٢].

فإذا لم تَفِ العبارة بالغرض سمّي «إخلالاً وحذفاً رديئاً» كقول اليَشكُري:

والعيش خيرٌ في ظِلا ل النُّوك ممّن عاش كَدًّا

مراده أن العيش الناعم الرّغد في حال الحُمق والجهل خيرٌ من العيش الشّاقّ في حال العقل لكن عبارته لا تفيد ذلك فيُضرب به عُرْض الحائط.

---

(١) بأن يكون اللفظ أقل من المعهود عادة، مع وفائه بالمراد، فإن لم يف كان الإيجاز إخلالاً وحذفاً رديئاً، كقول عروة بن الورد:[١١٣]

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

يريد إذ يقتلون نفوسهم في السلم ـ لكن صوغ كلامه لا يدل عليه، ومثله قول بعضهم نثراً: (فإن المعروف إذا قلّ و زجا كان أفضل منه إذا وفر وأبطأ) ولأجل تمام ما يريد كان عليه أن يقول: إذا قلّ وزجا.

واعلم أن متعارف الأوساط هم الذين لم يرتقوا إلى درجة البلغاء ولم ينحطوا إلى درجة البسطاء، فهو الدستور الذي يُقاس عليه كل من الإيجاز والإطناب.

---

[١١٢] الحديث مروي على لسان عمر بن الخطاب في صحيح البخاري: انظر: التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن مبارك الزبيدي. ج١ ص١٠. مطبعة صبيح/ القاهرة.

[١١٣] عروة بن الورد: من كبار الصعاليك، ومن شعرائهم توفي حوالي سنة (٥٩٦م)، عبسي، له ديوان شعر جمعه وشرحه ابن السكيت.

وينقسم الإيجاز إلى قسمين. إيجاز قِصَرٍ[(١)] ـ وإيجاز حذف فإيجاز القِصَر يكون بتَضمِين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] فإن معناه كثير، ولفظُه يسير، إذْ المراد أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتل قُتِلَ امتنع عن القتل، وفي ذلك حياته وحياة غيره، لأنَّ (القتل أنفَى للقتل[(٢)]) وبذلك تطول الأعمار، وتكثر الذرّية، ويُقبل كلُّ واحد على ما يعود عليه بالنّفع، ويتم النِّظام، ويكثر العُمران.

---

(١) وإيجاز القِصَر. هو ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ، وللقرآن الكريم فيه المنزلة التي لا تسامى، والغاية التي لا تدرك.

فمن ذلك قوله تعالى **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩]** فهذه الآية قد جمعت مكارم الأخلاق. وانطوى تحتها كل دقيق وجليل. إذ في العفو الصفح عمن أساء، وفي الأمر بالمعروف صلة الأرحام، ومنع اللسان عن الكذب وغضّ الطرف عن كل المحارم، وقوله عز اسمه: **﴿والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾** [البقرة: ١٦٤] استوعبت تلك الآية الكريمة أنواع المتاجر وصنوف المرافق التي لا يبلغها العدّ، وقوله: **﴿ألا له الخلق والأمر﴾** هاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء، وقوله عليه السلام: «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء، وعوّدوا كل جسم ما اعتاد» فقد تضمن ذلك من المعاني الطبيّة شيئاً كثيراً وقول عليّ كرَّم الله وجهه «من استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ» وقول بعض الأعراب (اللهم هب لي حقك وأرض عنيّ خلقك) فسمعه عليّ عليه السلام فقال: هذا هو البلاغة، ومنه قول السموأل[١١٤]:

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها ... فليس إلى حسن الثناء سبيل

فقد اشتمل على حميد الصفات من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر واحتمال مكاره ـ إذ كل هذه مما تضيم النفس لما يحصل في تحملها من المشقة والعناء.

والسبب فيما له من الحسن والروعة دلالة قليل الألفاظ على كثير المعاني إلى ما فيه من الدلالة على التمكن في الفصاحة والبراعة، ولذا قال محمد الأمين[١١٥] «عليكم بالإيجاز فإنّ له إفهاماً وللإطالة استبهاماً» وقال آخر «القليل الكافي خير من كثير غير شاف».

(٢) لقد أثر ونُقل عن العرب قولهم «القتلُ أنفى للقتل» وأين هذا المثل من هذه الآية الشريفة التي تمتاز بوجوه ـ منها أنها كلمتان، وما نُقِل عنهم أربع ـ ومنها أنه لا تكرار فيها. وفيما قالوه تكرار ـ ومنها أنه ليس كل قتل يكون نافياً للقتل، وإنما يكون كذلك إذا كان على جهة القصاص ـ ومنها حسن التأليف وشدة التلاؤم المدركان =

---

[١١٤] السموأل: شاعر جاهلي، اشتهر بالوفاء، توفي حوالي سنة (٥٦٠م) وهو المعروف بالسموأل بن عاد ياء.

[١١٥] هو الخليفة العباسي السادس ابن هارون الرشيد عاش بين (٧٨٧ ـ ٨١٣) اختصم مع أخيه المأمون على الخلافة وقتل بسبب هذا النزاع.

وهذا القسم مطمح نظر البلغاء، وبه تتفاوت أقدارهم، حتّى أنّ بعضهم سئل عن البلاغة فقال: هي «إيجاز القِصَر» وقال أكثم بن صَيْفي[١١٦] خطيب العرب «البلاغة الإِيجاز».

وإيجاز الحذف يكون بحذف شيء من العبارة لا يخلّ بالفهم، مع قرينة تُعيّن المحذوف، وذلك المحذوف إما أن يكون:

١ ـ حرفاً: كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠] ـ أصله ولم أكُنْ[(١)].

٢ ـ أو أسماً مضافاً، نحو: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨] أي في سبيل الله.

٣ ـ أو إسماً مضافاً إليه، نحو: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢] أي بعشر ليال.

٤ ـ أو إسماً موصوفاً، نحو: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [مريم: ٦٠] أي عملاً صالحاً.

٥ ـ أو إسماً صفة، نحو: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥] أي مضافاً إلى رجسهم.

٦ ـ أو شرطاً، نحو: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] أي فإن تتَّبعوني.

٧ ـ أو جواب شرط، نحو: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] أي لرأيت أمراً فظيعاً.

= بالحسّ في الآية الكريمة التي بلغت حدّ الإعجاز، لا فيما قالوه في مثلهم البسيط الذي لا يزيد عن متعارف الأوساط.

(١) وكحذف لا في قول عاصم المنفري:

رأيت الخمر جامدة وفيها ... خصال تفسد الرجل الحليما

فلا والله أشربها حياتي ... ولا أسقي بها أبداً نديما

يريد لا أشربها.

ويشترط في إيجاز الحذف أن يقوم دليل على المحذوف وإلّا كان الحذف رديئاً، والكلام غير مقبول.

---

[١١٦] أكثم بن صيفي: من قبيلة تميم، كان خطيباً وحكيماً في الجاهلية، وتوفي حوالي سنة (٦٣٠م).

٨ ـ أو مسنداً، نحو: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] أي خلقهنّ الله.

٩ ـ أو مسنداً إليه، كما في قول حاتم[١١٧]:

أماويُّ ما يغني الثّراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصّدر

أي إذا حشرجت النفس يوماً.

١٠ ـ أو متعلّقاً، نحو: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] أي عمّا يفعلون.

١١ ـ أو جملة، نحو: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ٢١٣] أي فاختلفُوا فبعث.

١٢ ـ أو جملاً: كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾(١) [يوسف: ٤٦] أي فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه فأتاه وقال له يا يوسف واعلم أنّ دواعي الإيجاز كثيرة ـ منها الاختصار، وتسهيل الحفظ وتقريب الفهم، وضيق المقام، وإخفاء الأمر على غير السامع، والضّجر والسّآمة، وتحصيل المعنى الكثير باللّفظ اليسير الخ.

ويستحسن «الإيجاز» في الاستعطاف، وشكوى الحال، والاعتذارات، والتعزية، والعتاب، والوعد والوعيد، والتّوْبيخ، ورسائل استخراج الخراج، وجِباية الأموال، ورسائل الملوك في أوقات الحرب إلى الوُلاة، والأوامر والنّواهي الملكية، والشكر على النِّعم.

---

(١) فأرسلون حكاية عن أحد الفتيين الذي أرسله العزيز إلى يوسف ليستعبره ما رآه. واعلم أنه لا بد من دليل يدل على المحذوف وهو: إما العقل وحده، نحو: وجاء ربك، وإما العقل مع غيره، نحو: حرمت عليكم الميتة، أي تناولها، وإما العادة، نحو: فذلكنّ الذي لمتنني فيه، أي في مراودته. وإما الشروع فيه، نحو: بسم الله الرحمن الرحيم، أي أؤلّف مثلاً. وإما مقارنة الكلام للفعل، كما تقول لمن تزوج: «بالرفاء والبنين» أي أعرست متلبساً بالاتفاق والبنين.

---

[١١٧] حاتم: هو حاتم الطائي المشهور بالكرم والشجاعة، كان شاعراً وفارساً، توفي حوالي (٦٠٠م).

المبحث الثاني

في الإطناب وأقسامه

الإِطناب زيادة اللّفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن مُتعارف الأوساط لفائدة تقويته وتوكيده، نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] ـ أي كبرتُ.

فإذا لم تكن في الزِّيادة فائدة يُسمَّى «تطويلاً» إن كانت الزِّيادة غير مُتعيِّنة، ويُسمَّى «حشواً» إن كانت الزِّيادة مُتعينة.

فالتّطويل ـ كقول عُدَيّ العبادي في جُذيمةَ الأبرَش:

وقَدَّتِ الأديمَ لراهِشَيْه ... وألفَى قولها كذِباً ومَيْناً[(١)]

فالمَيْنُ والكذب بمعنى واحد، ولم يَتعيَّن الزائد منهما، لأن العطف بالواو لا يفيد ترتيباً ولا تعقيباً ولا مَعِيَّة.

والحشو، كقول زُهير بن أبي سلمى[١١٨]:

تنبيه: حذف الجمل أكثر ما يرد في كلام الله عز وجل، إذ هو في الغاية في الفصاحة، والنهاية في مراتب البلاغة.

(١) وقدّت أي قطعت. والضمير فيه يعود على الزّباء[١١٩]. وهي امرأة ورثت المُلك عن أبيها، والأديم الجلد، ولراهشيْه أي إلى أن وصل القطع للراهشين وهما عرقان في باطن الذراع يتدفق الدم منهما عند القطع، والضمير في ألفى يعود على المقطوع راهشاه وهو جُذيمة الأبرش. والمراد الإخبار بأن جذيمة غدرت به الزباء وقطعت راهشيه وسال منه الدم حتى مات، وأنه وجد ما وعدته من تزوّجه بها كذبٌ، وكقول الشاعر:

ألا حبّذا هِندٌ وأرضٌ بها هِندُ ... وهند أتى من دونها النّأيُ والبُعدُ

فالنأي والبعد بمعنى واحد، ولا يتعين أحدهما للزيادة.

---

[١١٨] زهير بن أبي سلمى: من قبيلة مزنة، عاش بين (٥٣٠ ـ ٦٢٦م)، من أصحاب المعلقات اشتهر بمدح هرم بن سنان، وبالحكمة في شعره.

[١١٩] الزّباء: تسمى أيضاً زنوبيا، كانت ملكة تدمر العربية، بين ٢٦٦ ـ ٢٧٢م فتحت مصر وآسيا الصغرى، وعرفت تدمر في عهدها منتهى المجد.

وأعـلـمُ عـلـم الـيـوم والأمـس «قـبـلـه» ولـكـنـني عـن عـلـم مـا فـي غـدٍ عَـم[1]

وكلٌّ من الحشو والتطويل معيب في البيان. وكلاهما بمغزِل عن مراتب البلاغة.

واعلم أنَّ دواعيَ الإطناب كثيرة، منها: تثبيت المعنى؛ وتوضيح المراد، والتَّوكيد، ورفع الإيهام، وإثارة الحمية، وغير ذلك.

وأقسام الإطناب كثيرة[2].

١ ـ منها ذكر الخاص بعد العام، كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وفائدته التنبيه على فضل الخاص حتى كأنه لفضله ورِفعته جزء آخر مغاير لما قبله.

٢ ـ ومنها ذكر العام بعد الخاص، كقوله تعالى[3]: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨].

وفائدته شمول بقية الأفراد، والاهتمام بالخاص لذكره ثانياً في عنوان عام، بعد ذكره أولاً في عنوان خاص.

٣ ـ ومنها الإيضاح بعد الإبهام لتقرير المعنى في ذهن السَّامع بذكره مرّتين، مرّة على سبيل الإبهام والإجمال، ومرّة على سبيل التفصيل والإيضاح، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦].

فقوله: أَنّ دابر هؤلاء تفسير وتوضيح لذلك الأَمر، وفائدته تفخيم شأن المُبيّن وتمكينه في النفس زيادة تمكّن.

٤ ـ ومنها التّوشيع، وهو أن يُؤْتى في آخر الكلام بمُثنًّى مفسّر بمفردين ليُرى المعنى في صورتين، يخرج فيهما من الخفاء المُستوْحَش إلى الظُّهور المأنوس، نحو: العلمِ علمان، علم الأبدان، وعلم الأديان.

٥ ـ ومنها التّكرار، وهو ذكر الشيء مرّتين أو أكثر، لأغراض:

---

(١) الشاهد في قوله ـ قبله ـ لأنه معلوم من قوله أمس: وكقول الآخر:

ذكـرت أخـي فـعـاودنـي صُـداعُ الـرأس والـوَصَـبُ

فإن الصّداع لا يكون إلا في الرأس، فذكر الرأس لا فائدة فيه.

(٢) ومنها الحروف الزائدة، وتكثير الجمل، نحو: **﴿فبما رحمة من الله لِنتَ لهم﴾** [آل عمران: ١٥٩].

(٣) من دعاء سيدنا نوح لنفسه ولوالديه وللمؤمنين.

الأول: التأكيد كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1] [التكاثر: ٣، ٤] وكقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

الثاني: طول الكلام لئلاّ يجيء مبتوراً ليس له طَلاوة، كقوله:

وإنّ أمرأً دامت مواثيقُ عهده على مثل هذا إنه لكريمُ[2]

الثالث: قصد الاستيعاب نحو: قرأت الكتاب باباً باباً، وفهمته كلمة كلمة.

الرابع: زيادة الترغيب في العفو، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

الخامس: استمالة المخاطب لقبول الخطاب كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ [غافر: ١.٧,].

السادس: التّنويه بشأن المخاطب نحو: إنَّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم.

السابع: التّرديد، وهو تكرار اللفظ متعلّقاً بغير ما تعلّق به أوّلاً نحو: السَّخي قريبٌ من الله، قريبٌ من الناس، قريبٌ من الجنة.

والبخيل بعيدٌ من الله بعيدٌ من الناس بعيدٌ من الجنة.

الثامن: التّلذُّذ بذكره، نحو قول مَروان بن أبي حَفصة[١٢٠]:

سقى الله نجداً والسّلامَ على نجد ويا حبّذا نجدٌ على القُرب والبُعد

التاسع: الإرشاد إلى الطريقة المُثلى كقوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥].

٦ ـ ومنها الاعتراض: وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متَّصلين في المعنى بجملة معترضة أو أكثر لا محلَّ لها من الإعراب[3].

---

(١) أي سوف تعلمون ما أنتم عليه من الخطأ إذا شاهدتم هول المحشر.

(٢) الشاهد في تكرير إن في أول البيت، وتكريرها في آخره.

(٣) لم يشترط بعضهم وقوعه بين جزءي جملة ولا بين كلامين، بل جوز وقوعه آخر الكلام مطلقاً سواء وليه ارتباط بما قبله أولاً، كقوله تعالى: **﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾** [آل عمران: ١٧٣] فجملة ونعم الوكيل معترضة، وليست معطوفة على ما قبلها حتى يلزم عطف الإنشاء على الخبر.

---

[١٢٠] مروان بن أبي حفصة: شاعر أموي ـ عباسي (مخضرم) اشتهر بالغزل ومدح المهدي والرشيد ورثا معن بن زائدة عاش بين (٧٢٤ ـ ٧٩٨م).

وذلك لأغراض يرمي إليها البليغ ـ غير دفع الإِيهام:

أ ـ كالدُّعاء نحو: إنِّي «حفظك الله» مريض.

وكقول عوف بن محلم الشَّيباني:

إن الثَّمانين وبُلِّغتَها قد أحوجَتْ سمعي إلى تَرجمان[1]

ب ـ والتّنبيه على فضيلة العلم، كقول الآخر:

واعْلمْ فعلمُ المرءِ ينفعُه أَنْ سوف يأتي كل ما قُدِرا

جـ ـ والتّنزيه كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٢٧].

د ـ وزيادة التّأكيد، كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

هـ ـ والاستعطاف، كقول الشاعر:

وخفوقِ قلبٍ لو رأيتَ لهيبه يا جنّتي لرأيتَ فيه جهنّما

و ـ والتّهويل نحو: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦].

٧ ـ ومنها الإِيغال، وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتمُّ المعنى بدونها كالمبالغة في قول الخنساء:

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهُداة به كأنه عَلَمٌ في رأسه نار

فقولها «كأنه علم» واف بالمقصود، لكنها أعقبته بقولها «في رأسه نار» لزيادة المبالغة، ونحو: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨].

٨ ـ ومنها التّذييلُ: وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مُستقلَّة تشتمل على معناها تأكيداً لها[2] نحو: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:

---

(١) بُلّغتها بفتح التاء أي بلغك الله إياها ـ وترجمان كزعفران ويجوز ضم التاء مع الجيم. واعلم أن الدعاء من الشاعر موجه إلى المخاطب بطول عمره، وأن يعيش مثله ثمانين سنة، واعلم أنه قد يقع الاعتراض في الاعتراض كقوله تعالى: **﴿فلا أقسم بمواقع النجوم، وأنه لقسم لو تعلمون عظيم، إنه لقرآن كريم، في كتاب مكنون﴾** [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٨].

(٢) التأكيد ضربان التأكيد المنطوق كما في هذه الآية والتأكيد المفهوم كقوله:

ولستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تلُمّه على شعث أيّ الرجال المهذّب؟

دلّ بمفهوم على نفي الكمال من الرجال، فأكده بقوله (أيُّ الرجال المهذب).

٨١] ونحو: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

والتذييلُ قسمان:.

أ ـ جارٍ مَجْرَى الأمثال لاستقلال معناه واستغنائه عما قبله كقول طَرفةَ[١٢١]:

كلّ خليل قد كنت خاللته | لا ترك الله له واضحه
كلكم أروغُ من ثعلب | ما أشبهَ الليلةَ بالبَارحه

ب ـ وغير جار مجرى الأمثال، لعدم استغنائه عمّا قبله، ولعدم استقلاله بإفادة المعنى المراد كقول النابغة[١٢٢]:

لم يُبقِ جودك لي شيئاً أُؤمله | تركتني أصحبُ الدنيا بلا أمل

فالشطر الثاني مؤكد للأول، وليس مستقلاً عنه، فلم يجر مجرى المثل.

٩ ـ ومنها الاحتراس: ويقال له التكميل، وهو أن يُؤتى بعد كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الإِيهام.

يعني أن الاحتراس يُوجَدُ حينما يأتي المتكلم بمعنى يُمكن أن يدخل عليه فيه لومٌ، فيفطن لذلك ويأتي بما يخلصه سواء وقع في وسط الكلام نحو:

فَسقَى ديارَك غيرَ مُفسدِها | صوبُ الرّبيع ودَيمةٌ تَهمِي

فقوله غير مفسدها للاحتراس، أو وقع في آخره.

نحو: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨] أي مع حبّ الطعام واشتهائهم له وذلك أبلغ في الكلام.

وكقول أعرابية لرجل: أذَلَّ الله كلَّ عدوٍّ لك إلّا نفسك.

١٠ ـ ومنها التَّتميم: وهو زيادة كلمة أو أكثر توجد في المعنى حُسناً بحيث لو حذفت صار الكلامُ مبتذلاً، كقول ابن المعتز[١٢٣] يصف فرساً:

صببنا عليها ظالمين سياطنا | فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجُل

إذ لو حذف ظالمين لكان الكلام مبتذلاً، لا رِقّة فيه ولا طلاوة وتوهَّمها أنها بليدة تستحق الضرب.

ويستحسن الأطناب في الصلح بين العشائر، والمدح والثناء، والذم والهجاء،

---

[١٢١] طرفة بن العبد البكري، من شعراء البحرين في الجاهلية، عاش بين (٥٣٤ ـ ٥٦٨م)، كانت له فلسفة خاصة في الحياة أوجزها في معلقته.

[١٢٢] النابغة: سبق التعريف به.

[١٢٣] ابن المعتز: سبق التعريف به.

والوعظ والإرشاد، والخطابة في أمر من الأمور العامة، والتهنئة ومنشورات الحكومة إلى الأمة. وكتب الوُلاة إلى الملوك لإخبارهم بما يحدث لديهم من مهام الأمور.

واعلم أن الإطناب أرجح عند بعضهم من الإيجاز، وحُجّته في ذلك أنّ المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشّفاء لا يقع إلّا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه. وأبينه أشدّ إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلّا بالاستقصاء.

والمختار أن الحاجة إلى كلٍّ ماسَّةٌ: ولكلّ موضعٌ لا يسدّ أحدهما مكان الآخر فيه. وللذوق السليم القول الفصل في هذه الشؤون.

المبحث الثالث

في المُساواة

المُساواة ـ هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له[1] ـ بأن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض وهي الأصل المقيس عليه، والدّستور الذي يُعتمد عليه.

كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠] فإنّ اللّفظ فيه على قدر المعنى، لا ينقص عنه ولا يزيد عليه.

وكقول طَرَفَةَ بن العبد[١٢٤]:

ستُبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّد

أسئلة على الإيجاز والإطناب والمساواة يطلب أجوبتها

ما هي المساواة؟

ما هو الإيجاز؟

---

(١) المساواة هي ما ساوى لفظه معناه بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر. وهي نوعان: الأول: مساواة مع الاختصار وهي أن يتحرّى البليغ في تأدية المعنى أوْجَزَ ما يكون من الألفاظ القليلة الأحرف الكثيرة المعاني، كقوله تعالى: ﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾ [الرحمن: ٦٠] وكقوله تعالى: ﴿**ولا يحيق المكر السيء إلاّ بأهله**﴾ [فاطر: ٤٣].

والثاني: مساواة بدون اختصار «ويسمى المتعارف» وهو تأدية المقصود من غير طلب للاختصار. كقوله تعالى: ﴿**حور مقصورات في الخيام**﴾ [الرحمن: ٧٢] والوجهان في المركز الأسمى من البلاغة ـ غير أن الأول أدخل فيها وأدل عليها.

والمساواة فن من القول عزيز المنال. تشرئبُّ إليه أعناق البلغاء، لكن لا يرتقي إلى ذراه إلا الأفذاذ لصعوبة المرتقى وجلالة المقصد، والمساواة يعتبرها بعضهم وسطاً بين الإيجاز والإطناب وبعضهم يدمجها ولا يعدها قسماً ثالثاً للإيجاز والإطناب.

---

[١٢٤] طرفة: سبق التعريف به.

ما هو الإِطناب؟
كم قسماً الإيجاز؟
ما هو إيجاز القِصَر؟
ما هو إيجاز الحذف؟
بأي شيء يكون إيجاز الحذف؟.
كم قسماً الأطناب؟
ما هو ذكر الخاص بعد العام؟
ما هو ذكر العام بعد الخاص؟
ما هو الإيضاح بعد الإبهام؟
ما هو التكرار؟
ما هو الاعتراض؟
ما هو الإيغال؟
ما هو التوشيع؟
ما هو التذييل؟
ما هو التكميل؟
ما هو التتميم؟
ما هو الاحتراس؟
ما هو الفرق بين التطويل والحشو؟
ما هي دواعي الإيجاز؟
ما هي دواعي الإطناب؟ كم قسماً التَّذييل؟
أيكون الإطناب بغير هذه الأنواع؟

تطبيق عام على الإيجاز والإطناب والمساواة

ـ درستُ الصرف: فيه مساواة لأن اللفظ على قدر المعنى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] فيه إطناب بالتتميم فإن (على حبه) فضلة لزيادة التحسين في المعنى.

ـ ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله: فيه مساواة.

ـ المرء بأدبه: فيه إيجاز قصَر لتضمُّن العبارة القصيرة معاني كثيرة.
ـ ﴿قَالُوا۟ تَاللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ﴾ [يوسف: ٨٥]: فيه إيجاز حذف وهو لا.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] فيه إيجاز حذف جملة أي فضرب فانفلق.

ـ ألا كل شيء ما خلا الله باطل: فيه إطناب بالاحتراس.
ـ إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربه
فيه الإطناب بالتذييل، والجملة الثانية جارية مجرى المثل.
ـ جوزي المذنب بذنبه وهل يُجازَى إلا المذنب: فيه إطناب بالتذييل، وليس جارياً مجرى المثل.
ـ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه: فيه إطناب بالاحتراس.
ـ البخيل بعيدمن الله بعيد من الناس بعيد من الجنة: فيه إطناب بالترديد.
ـ ولكنّ البر من اتقى: فيه إيجاز حذف مضاف، أي ذا البر.
ـ واهتمّ للسفر القريب فإنه أنأى من السفر البعيد وأشنع
فيه إطناب بالإيغال. فإن أشنع مزيدة للترغيب في الاهتمام.
ـ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً: فيه إيجاز حذف، أي خلطوا عملاً صالحاً بسيء وعملاً سيئاً بصالح.
ـ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤] فيه إيجاز بحذف الياء، وسبب حذفها أن الليل لمّا كان غير سار وإنما يسري من فيه. نقص منه حرف، إشارة إلى ذلك جرياً على عادة العرب في مثل ذلك.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الأنفال: ٨] فيه إيجاز بحذف جملة، أي فعل ذلك.

تمرين

بيِّن الإيجاز والإطناب والمساواة وأقسام كل منها فيما يأتي:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] [البقرة: ١٦٤] ﴿خُذِ

---

(١) في هذه الآية الإطناب بتكثير الجمل، وهذا خلاف الأنواع السابقة، وذلك لأنه لما كان الخطاب =

﴿ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[1] [الأعراف: ١٩٩] ﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾[2] [الكهف: ٧٩]

أنا ابن جلا[3] وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾[4] [الشورى: ٩] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٌ مِّن قَبۡلِكَ﴾[5] [فاطر: ٤]

ـ فقلت يمينُ الله أبرح قاعداً[6] ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

ـ شيخ يرى الصَّلوات الخمس نافلة ويستحلُّ دم الحجّاج في الحرم[7]

تطمئِنُّ قلوبُهُم بذِكْر اللّهِ ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[8] [الرعد: ٢٨]

﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورًا﴾[9] [الإسراء: ١٩].

لله لذّة عيش بالحبيب مضت ولم تدم لي وغير الله لم يدم[10]

﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾[11] [النمل: ١٢] ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[12] [الواقعة: ٧٥، ٧٦].

حليمٌ إذا ما الحِلْمُ زَيْنٌ لأهلِهِ مَعَ الحِلم في عَيْنِ العَدُوِّ مهيبُ[13]

= مع العموم وفيهم الذكي والغبي صرح بخلق أمهات الممكنات الظاهرة ليكون دليلاً على القدرة الباهرة، وذلك بدل أن يقال (إن في وقوع كل ممكن تساوى طرفاه لآيات للعقلاء).

(١) فيه إيجاز القِصَر لأنه قد جمع مكارم الأخلاق.

(٢) أي سفينة سالمة.

(٣) أي أنا ابن رجل جلا.

(٤) الشرط محذوف أي إنْ أرادوا وليّاً فالله هو الولي.

(٥) أي فاقتد واصبر.

(٦) أي لا أبرح.

(٧) في الحرم ـ إيغال للزيادة في المبالغة.

(٨) فيه التذييل.

(٩) احترس بقوله وهو مؤمن عن توهّم الإطلاق.

(١٠) فيه تذييل جار مجرى الأمثال.

(١١) في قوله (من غير سوء) احتراس عن توهم بياض البرص ونحوه.

(١٢) فيه الاعتراض.

(١٣) في البيت احتراس.

أتى الزمانَ بنوه في شبيبته فسرَّهُمْ وأتيناهُ على هرم[1]

وألفيتُه بحراً كثيراً فُضولهُ جَوادٌ متى يذكر له الخير يَزْدَدِ[2]

فإن كنتَ لا تستطيع دَفعَ مَنيَّتي فَذَرْني أُبادِرْهَا بِمَا ملكتْ يدي

ما أحسنَ الأيامَ إلّا أنها يا صَاحِبَيّ إذَا مضت لم ترجع

ولستَ بِمستَبقٍ أخاً لا تلمُّه على شَعَثٍ أيُّ الرِّجَالِ المُهذّبُ

تأمّل من خِلَال السَّجْفِ وانظر بعينك ما شربتُ ومَنْ سَقَاني

تجد شمس الضُّحى تَدنُو بشمسٍ إلَيَّ من الرَّحيق الخُسرَوَانِي

---

(١) في البيت إيجاز، أي وأتيناه على هرم (فساءنا).

(٢) في البيت إطناب، فإن قوله متى يذكر الخير يزدد تكميل.

خاتمة

الأصول والمُقتضيات المذكورة في هذا الفنّ ليست مَسُوقةً على سبيل الحصر، وإنّما هي نموذج يُنَبِّه الطالب على اعتبار ما يحسن في الذَّوق اعتباره، ويُعينه على استخراج ما في الكلام من وجوه البلاغة[1]

والقاعدة أنه متى وُجد الكلام الصَّادر عمَّن يُعْتدّ بكلامه مُستعملاً في غير معناه الأصلي المعروف له وضعاً طُلِبَ المُراد بالتأمّل الصّادق مستعيناً بالقرائن وسياق المقال حتى ينجلي له وجه العدول ـ وقدتقدَّم كثير من ذلك العدول المسمّى بإخراج الكلام على خلاف مُقتضى الظَّاهر في الأبواب السابقة وبقي من هذا القبيل أنواع أخرى:

الأول: الالتفات وهو نقل الكلام من حالة التكلم أو الخطاب أو الغَيبة إلى حالة أخرى. لمُقتضيات ومُناسباتٍ تظهر بالتأمُّل في مواقع الالتفات، وتلوين للخطاب حتى لا يملّ السَّامع من التزام حالة واحدة فإنَّ لكل جديد لذَّة ولبعض مواقعه لطائف، ملاكُ إدراكها الذوقُ السليم واعلم أنَّ صور العدول إلى الالتفات ستة:

١ ـ عدولٌ من التّكلم إلى الخطاب ـ كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يَس: ٢٢].

٢ ـ عدولٌ من التّكلم إلى الغَيبة، كقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ﴾ [الزمر: ٥٣].

٣ ـ عدولٌ من الخطاب إلى التّكلُّم، كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

---

(١) علمتَ أنّ البلاغة متوقفة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورأيت في ما تقدم من الأحكام أن مقتضى الحال يجري على مقتضى الظاهر، وهذا بالطبع هو الأصل، ولكن قد يُعدل عمّا يقتضيه الظاهر إلى خلافه، ممّا تقتضيه الحال في بعض مقامات الكلام لاعتبارات يراها المتكلم.

٤ ـ عدول من الخطاب إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

٥ ـ عدولٌ من الغيبة إلى التكلُّم، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾ [الفرقان: ٤٨].

٦ ـ عدولٌ من الغيبة إلى الخطاب ـ كقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣].

الثاني: تجاهُل العارف، وهو سوق المعلوم مساق المجهول، بأن يَجْعَل العارفُ بالشيء نَفْسَهُ جَاهلة به، وذلك لأغراض:

١ ـ كالتعجب نحو قوله تعالى: ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الطول: ١٥].

٢ ـ والمبالغة في المدح، نحو: وَجْهكَ بدْرٌ أم شمسٌ.

٣ ـ والمُبالغة في الذَّم، كقول الشاعر:

وَمـــا أدرِي وَســـوفَ إخـــالُ أدري ... أقـــومٌ آلُ حـــصـــنٍ أم نـــســـاءُ

٤ ـ والتّوبيخ وشِدّة الجزع كقول الشاعر:

أيـا شَـجَـرَ الـخـابـور مَـالَـكَ مُـورِقـاً ... كـأنـكَ لـم تَـجـزَعْ عـلى ابن طَـرِيـفِ[1]

٥ ـ وشِدّة الوَلَهِ، كقول الشاعر:

بـالـلّـهِ يـا ظـبـيـات الـقـاعِ قُـلـن لـنَـا ... لـيـلايَ مـنـكـنّ أم لَـيـلـى مـنَ الـبَـشـر

٦ ـ والفخر كقوله:

أيُـــنـــا تـــعـــرف الـــمـــواقـــف مـــنـــه ... وَثَـــبـــاتٍ عـــلـــى الـــعِـــدَا وَثَـــبـــاتـــا

الثالث: القَلب[2] وهو جعل كلٍّ من الجزءين في الكلام مكان صاحبه،

---

(١) تساءلت أخت طريف عن سبب انتفاء الجزع عن الشجر لشدة التحير والتضجّر.

(٢) ويستدل عليه بالتأمل في المعنى فنحو عرضتُ الناقة على الحوض. وأدخلت الخاتم في إصبعي ـ أصله: عرضت الحوض على الناقة، لأن العرض يكون على ماله إدراك، وأصله أدخلت إصبعي في الخاتم «لأن الظرف هو الخاتم» والنكتة أن الظاهر الإتيان بالمعروض إلى المعروض عليه، وتحريك المظروف نحو الظرف ولما كان ما هنا بالعكس قلبوا الكلام رعاية لهاذ الاعتبار ـ وإنما يقبل حيث يتضمن اعتباراً لطيفاً.

لغرض كالمبالغة، نحو: قول رُؤبَة بن الْعَجَاج[١٢٥]:

ومَهمه مغبرَّةٍ أرجاؤه ... كأنَّ لونَ أرضهِ سَماؤهُ(١)

أي كأنّ لون سمائه لغبرتها لون أرضه، مُبالغة في وصف لون السماء بالغُبْرَة، حتى صار بحيث يشبّه به لون الأرض.

ونحو: أدخلت الخاتم في إصبعي، وعرضت الناقة على الحوض.

الرابع: التّعبير عن المضارع بلفظ الماضي، وعكسه، فمن أغراض التّعبير عن المضارع بلفظ الماضي:

أ ـ التّنبيه على تحقيق وقوعه، نحو: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] ـ أي يأتي.

ب ـ وقرب الوقوع، نحو قد قامتِ الصلَاة أي قَرُب القِيام لها.

جـ ـ والتَّفاؤل، نحو: إنْ شفاك الله تذهبْ معي.

د ـ والتعريض ـ نحو: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] فيه تعريض للمشركين بأنهُم قد حُبِطت أعمالهم.

ومن أغراض التّعبير عن الماضي بلفظ المضارع:

أ ـ حكاية الحالة الماضية باستحضار الصّور الغريبة في الخيال نحو: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: ٤٨] بدل فأثارت.

ب ـ وإفادة الاستمرار فيما مضى ـ نحو ـ ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧] أي لو استمرّ على إطاعتكم لهلكتم.

الخامس: التّعبير عن المستقبل بلفظ اسم «الفاعل» نحو ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات: ٦].

أو «المفعول»، نحو ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾ [هود: ١٠٣] وذلك لأنّ الوصفين المذكورين حقيقةٌ في الحال مجازٌ فيما سواه.

السادس: التّغليب وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر في إطلاق لفظه عليه، وذلك:

١ ـ كتغليب المذكر على المؤنّث في قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾

---

(١) والمهمه: المفازة البعيدة. وأرجاؤه: نواحيه.

---

[١٢٥] رؤبة بن العجاج: سبق التعريف به.

وبالعكس، نحو الأبوين: للأب والأم.

٢ ـ وكتغليب الأخفّ على غيره، نحو الحَسنين في الحَسن والحُسين.

٣ ـ وكتغليب الأكثر على الأقل، كقوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨].

أُدْخِلَ شُعيبٌ في العود إلى ملّتهِم، مع أنه لم يكن فيها قطّ، ثم خرَج منها وعاد، تغليباً للأكثر.

٤ ـ وكتغليب العاقل على غيره كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم علم المعاني ويليه علم البيان والله المستعان.

علم البيان

أ ـ البيان[1] معناه في اللّغة: الكشف والإيضاح، وفي اصطلاح البلغاء: أصولٌ وقواعدُ يُعرف[2] بها إيرادُ المعنى الواحد بِطرُقٍ يَختلِف بعضُها عن بعض في وُضوح الدّلالة على نفس ذلك المعنى، ولا بُدّ مِن اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائماً.

فالمعنى الواحد كَكَرَم سعد، يُدَلُّ عليه تارة بطريق التّشبيه بأن يقال: سعد كحاتم، ومرّة بطريق المجاز، بأن يُقال: «رأيت بحراً في دار سعد، وأخرى بطريق الكناية، بأن يُقال: سعد كثيرُ الرّماد، ولا يخفى أنّ بعضَ هذه التّراكيب أوضحُ من بعض كما ستعرفه[3].

---

(١) هو اسم لكل شيء كشف لك بيان المعنى، وهتك لك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائناً ما كان ذلك البيان. ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام. فبأيّ شيء بلغت الأفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع. واعلم أن المعتبر في علم البيان دقة المعاني المعتبرة فيها من الاستعارات والكنايات مع وضوح الألفاظ الدالة عليها. فالبيان هو النطق الفصيح المعرب عما في الضمير.

(٢) أي يعرف من حصّل تلك الأصول كيف يعبر عن المعنى الواحد بعبارات بعضها أوضح من بعض. فعلم البيان علم يُتمكن به من إبراز المعنى الواحد بصور متفاوتة، وتراكيب مختلفة في درجة الوضوح، فالمحيط بفن البيان. الضليع من كلام العرب منثوره ومنظومه. إذا أراد التّعبير عن أيّ معنى يجول بضميره، استطاع أن يختار من فنون القول وطرق الكلام، ما هو أقرب لمقصده، وأليق بغرضه، بطريقة تُبيّن ما في نفس المتكلم من المقاصد، وتوصل الأثر الذي يريده به إلى نفس السّامع في المقام المناسب له، فينال الكاتب والشاعر والخطيب من نفس مخاطبيه إذا جوّد قوله، وسحرهم ببديع بيانه.

(٣) ولا يغيب عن البال أن الألفاظ المترادفة تتفاوت دلالتها من جهة اللفظ والعبارة، لا من ناحية الوضوح والخفاء، فلا تدخل حينئذٍ في مباحث فن البيان، وهي خمسة أنواع:

١ ـ الحقيقة العقلية: وهي إسناد الشّيء إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر نحو: أنبتَ اللّهُ الشجر.

٢ ـ الحقيقة اللُّغوية: وهي الكلمة المُستعملة في الشّيء الذي وضعت له عند أهل اللغة ـ نحو: أسد للحيوان المفترس.

٣ ـ الحقيقة الشّرعية: وهي الكلمة المستعملة في الشيء الذي وُضعت له عند أهل الشرع =

ب ـ وموضوع هذا العلم الألفاظ العربية من حيث المجازُ والكِنايةُ وأمّا التكلّم عن الحقيقة والتّشبيه فليس مقصوداً بالذات في علم البيان.

جـ ـ وواضعه أبو عُبيدة[١٢٦] الذي دَوَّنَ مسائل هذا العلم في كتابه المسمّى «مجاز القرآن» وما زال ينمو شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى الإمام «عبد القاهر»[١٢٧] فأحكم أساسه، وشيَّدَ بناءه، ورتَّب قواعده، وتبعه الجاحظ[١٢٨]، وابن المُعتز[١٢٩] وقُدامة[١٣٠]، وأبو هلال العسكري[١٣١].

د ـ وثمرته الوقوف على أسرار كلام العرب، منثورِه ومنظومِه، ومعرفة ما فيه من تَفاوُتٍ في فنون الفصاحة، وتبايُن في درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم الذي حار الجنُّ والإنسُ في مُحاكاته ـ وعجزوا عن الإتيان بمثله.

مقدمة

اللَفظ إن عُيِّن بإزاء معنى ليدلَّ عليه سُمِّي موضوعاً، والمعنى موضوعاً له، والتّعيين وضعاً. ثم إنه بعد ذلك إمّا ألّا يُتصرَّف فيه عند الاستعمال أو يُتصرَّف فيه عنده.

فالأول: وهو الذي لا يُتَصّرف فيه عند الاستعمال يُسمَّى (حقيقة)(١).

= كالصلاة فإنها موضوعة للأقوال والأفعال المخصوصة.

٤ ـ الحقيقة الاصطلاحية الخاصة: وهي الكلمة المستعملة في ما وُضِعت له في اصطلاح خاص كالفاعل فإنه موضوع في اصطلاح النحاة للاسم المرفوع بالفعل المذكور قبله أو شبهه.

٥ ـ الحقيقة الاصطلاحية العامة: وهي الكلمة المستعملة في ما وُضِعت له في اصطلاح العام نحو ـ دابّة. فإنها موضوعة في العُرف العام لذوات الأربع كالفرس والحمار.

(١) أقسام الحقيقة العقلية أربعة، الأول: ما يطابق الواقع والاعتقاد معاً كقول المؤمن: أنبت الله الزرع، الثاني: ما يطابق الاعتقاد فقط كقول الجاهل: أنبت المطر الزرع، الثالث: ما يطابق الواقع دون الاعتقاد، كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها: خلق الله الأفعال كلها. =

---

[١٢٦] أبو عبيدة: سبق التعريف به.

[١٢٧] عبد القاهر الجرجاني: سبق التعريف به.

[١٢٨] الجاحظ: سبق التعريف به.

[١٢٩] ابن المعتز: سبق التعريف به.

[١٣٠] قدامة: قدامة بن جعفر/كان عالماً بالنقد والمنطق، (توفي سنة ٩٤٨م) من كتبه نقد الشعر ونقد النثر.

[١٣١] أبو الهلال العسكري: (توفي سنة ١٠٠٥م)، له كتاب الصناعتين والفروق في اللغة.

والثاني: وهو الذي يُتصرّف فيه عند الاستعمال:

أ ـ فإن كان التّصرف بإسناده إلى غير ما حقّه أن يُسند إليه سُمّي مجازاً عقلياً، أو، إسناداً مجازياً، نحو بنى الأمير المدينة.

ب ـ وإن كان ينقله من معنى لمعنى لعلاقة وقرينة.

فإن منعت قرينتُه إرادَةَ المعنى الموضوع له «فمجاز بالإستعارة» إن كانت العلاقة المشابهةَ، «ومجازٌ مرسلٌ» إن كانت العلاقة غيرَها.

وإن لم تمنع القرينة، فإن كان بالكاف وكأَنّ ونحوهما «فتشبيه» وإلّا «فكنَاية».

ولهذا انحصر علم البيان في التّشبيه ـ والمجاز ـ والكناية.

= الرابع: ما لا يطابق شيئاً منهما كقولك جاء فريد، وأنت تعلم أنه لم يجيء دون المخاطب.

الباب الأول

في التّشبيه[1]

التّشبيه : أوّلُ طريقة تدُلُّ عليه الطّبيعة لبيان المعنى ، وهو في اللغة : التّمثيل ، وعند علماء البيان : مُشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنًى[2] بأدوات[3] معلومة[4] ـ كقولك ـ العلم كالنّور في الهداية . . . فالعلم مُشَبّه ، والنور مشبه به ، والهداية وجهُ الشّبه ، والكاف أداة التّشبيه ، فحينئذ أركان التشبيه أربعة ، مشبه . ومشبه به «ويُسمّيان طرفَي التّشبيه» ووجه شبه ، وأداة تشبيه «ملفوظة أو ملحوظة» ـ وفي هذا الباب مباحث .

---

(١) اعلم أن للتشبيه موقعاً حسناً في البلاغة ـ وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً، ويسكبها توكيداً وفضلاً ويكسوها شرفاً ونبلاً. فهو فن واسع النطاق. فسيح الخطوة، ممتد الحواشي، متشعب الأطراف. متوعر المسلك. غامض المدرك. دقيق المجرى، غزير الجدوى.

(٢) فالتشبيه هو الدلالة على أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بواسطة أداة من أدوات التشبيه، وبتعريف التشبيه بذلك خرجت المشاركة في عين، نحو اشترك زيد وبكر في الدار فإنه لا يسمى تشبيهاً.

(٣) خرجت الاستعارة والتشبيه الضمني في بعض صور التجريد، وهو ما لم يكن تجريد الشيء عن نفسه، لأنه حينئذٍ لا تشبيه نحو لهم فيها دار الخلد، فإنه لانتزاع دار الخلد من جهنم وهي عين دار الخلد لا شبيهة بها، بخلاف نحو لقيت بزيد أسداً، فإنه لتجريد أسد من زيد وأسد مشبه به لزيد لا عينه ففيه تشبيه مضمر في النفس، فكل من الاستعارة والتشبيه الضمني المذكور لا يسمى تشبيهاً اصطلاحاً وليس التشبيه مجرد الاشتراك في معنى بل لا بد فيه من ادّعاء مماثلة أحد أمرين لآخر في معنى ومساواته إياه ـ ولذلك نفاه الشاعر:

ما أنت مادحَها يا من تشّبهها ... بالشمس والبدر لا بل أنت هاجيها
من أين للشمس خالٌ فوق وجنتها ... ومَبْسَمٌ كنظام الدُّرِّ في فيها

(٤) وهي الكاف وكأنّ ومِثل ونحوها، وكذا ماثَلَ وشابَهَ وما اشتق منهما أو يرادفهما في المعنى مما سيأتي.



المبحث الأول

في تقسيم طرفي التّشبيه إلى حِسّي وعقلي

طرفا التّشبيه: المشبه والمشبه به

١ ـ إمّا حِسِّيان[(١)] أي مُدركان بإِحدى الحواسّ الخمس الظّاهرة، نحو: أَنْتَ كالشمس في الضّياءِ، وكما في تشبيه الخدّ بالورد.

---

(١) اعلم أن من الحسي ما لا تدركه الحواس الخمسة وهي: البصر والسمع والشم والذوّق واللمس، لكن تدرك مادته فقط ويسمى هذا التشبيه بالخيالي، كقوله:

كأن الحبَابَ المستديرَ برأسها ... كواكبُ دُرّ في سماء عقيق

فإن هذه الكواكب والسماء لا يدركها الحس لأنها غير موجودة ـ ولكن يدرك مادتها التي هي الدر والعقيق على انفراد ـ والمراد بالحباب ما يعلو الماء من الفقاقيع والضمير للخمر، ومنه أيضاً قول الآخر:

وكأنّ مِحْمرَّ الشقيـ ... ـق إذا تصوّب أو تصعّد

أعلام ياقوت نُشر ... ن على رماح من زبرجد

فإن الأعلام والياقوت والزبرجد والرماح موجودة، لكن المشبه الذي مادته هذه ليس موجوداً ولا محسوساً. والمراد بالعقلي ما لا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواس الظاهرة، بل إدراكه عقلاً، فيدخل فيه الوهمي وهو ما لا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواس، لكن لو وجد في الخارج لكان مدركاً بها، ويسمى هذا التشبيه بالوهمي، كقوله:

أيقتلني والمَشْرِفيُّ مُضاجِعي ... ومَسْنُونةٌ زُرق كأنياب أغوال

فإن أنياب الأغوال لم توجد هي ولا مادتها، وإنما اخترعها الوهم، لكن لو وجدت لأدركت بالحواس والمشرفي: السيف والمسنونة. السهام. والأغوال يزعمون أنها وحوش هائلة المنظر ولا أصل لها، والوجدانيات: كالجوع والعطش ونحوهما ملحقة بالعقلي ثم التضاد بين الطرفين قد ينزل منزلة التناسب، ويجعل وجه الشبه على وجه الظرافة أو الاستهزاء كما في تشبيه شخص ألْكَنْ[١٣٢] بقُس بن ساعدة، أو رجل بخيل بحاتم، والفرق بين الظرافة والاستهزاء بالقرائن. فإن كان الغرض مجرد الظرافة فظرافة، وإلا فاستهزاء.

---

[١٣٢] ألْكَنْ: من لَكِنَ إذا ثقل لسانه، واللُكنة: عجمة في اللسان.

٢ ـ وإمّا عقليان، أي مدركان بالعقل نحو: العلم كالحياة.

ونحو: الضّلَال عن الحق كالعَمى. ونحو: الجهل كالموت.

٣ ـ وإمّا المشبه حِسِّي والمشبه به عقلي، نحو: طبيب السّوء كالموت.

٤ ـ وإمّا المشبه عقلي والمشبه به حسِّي، نحو: العلم كالنور.

المبحث الثاني

في تقسيم طرفي التّشبيه باعتبار الأفراد والتركيب

طرفا التّشبيه: المشبه والمشبه به

١ ـ إمّا مفردان مُطلقان نحو ـ ضوؤه كالشمس أو مقيدان[١] نحو: السّاعي بغير طائل كالرّاقم على الماء، أو مختلفان نحو: ثَغره كاللُّؤلؤ المنظوم، ونحو: العين الزرقاء كالسّنان.

وإمّا مركبان تركيباً لم يُمكنْ إفراد أجزائهما، كقوله[٢]

كَأنَّ سُهَيلاً وَالنُّجُومُ وَرَاءَهُ صُفُوفُ صَلَاةٍ قامَ فِيها إمَامُهَا

إذ لو قلت كأن سهيلاً إمام، وكأن النجوم صفوف صلاة. لذهبت فائدة التّشبيه.

٢ ـ أَو مركبان تركيباً إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة المشبَّه به، كما ترى في قول الشاعر الآتي، حيث شبَّه النجوم اللّامعة في كبد السّماء بدُرٍّ منتثر على بساط أَزرق:

وَكأنّ أجْرَامَ النُّجوم لَوامِعاً دُرَرٌ نُثِرْنَ عَلى بِسَاطٍ أزْرَقِ

إذ لو قلت كأن النُّجُوم دُرَرٌ، وكأنّ السماء بساط أزرق، كان التشبيه مقبولاً، لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به.

---

(١) وتقييده بالإضافة أو الوصف أو المفعول أو الحال أو الظرف أو بغير ذلك ويشترط في القيد أن يكون له تأثير في وجه الشبه، ولهذا جعل قوله تعالى: ﴿**هنّ لِباس لكم وأنتم لباس لهن**﴾ من باب تشبيه المفرد بالمفرد بلا قيد. ونحو التعلّم في الصغر كالنقش في الحجر.

(٢) ومنه قول الآخر:

كأن مثار النّقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوَى كواكبه

فإنه شبه هيئة الغبار، وفيه السيوف مضطربة، بهيئة الليل وفيه الكواكب تتساقط في جهات مختلفة ـ وكقول الشاعر:

كأنّ الدموع على خدّها بقيّة طَلٍّ على جلّنار

فالمشبه مركب من الدموع والخد، والمشبه به مركب من الطّلّ والجلنار.

٣ ـ وإما مفرد بمركب، كقول الخنساء[١]

أغـرُّ أبـلـجُ تـأتـمّ الـهُـدَاةُ بِـهِ   كـأنـه عـلـمٌ فِـي رأسـهِ نـارُ

٤ ـ وإما مركب بمفرد، نحو: الماءُ المالح كالسم[٢].

---

(١) كقوله:

وحـدائـق لـبـس الـشّـقـيـقَ نـبـاتُـهـا   كـالأرجـوان مـنـقّـطـا بـالـعـنـبـر

(٢) وكقوله:

لا تـعـجـبـوا مـن خـالـه فـي خـدّه   كـل الـشـقـيـق بـنـقـطـة سـوداء

فالمشبه مركب من الخال والخد، والمشبه به مفرد وهو الشقيق.

المبحث الثالث

في تقسيم طرفي التّشبيه باعتبار تعدّدهما

ينقسم طرفا التَّشبيه: «المشبه والمشبه به» باعتبار تعدّدهما إلى أربعة أقسام: ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع.

١ ـ فالتشبيه الملفوف، هو جمع كل طرف منهما مع مثله، كجمع المشبه مع المشبه، والمشبه به مع المشبه به ـ بحيث يُؤتى بالمشبهات أوّلاً، ثم بالمشبهات بها ثانياً.

كقوله:

لـيـلٌ وبـدرٌ وغـصـنُ ... شـعـرٌ ووجـهٌ وقـدُّ

وكقوله:

تـبـسُّـمٌ وقـطـوبٌ فـي نـدًى وَوَغًـى ... كالغيث والبرق تحت العارض البرَد

وكقوله:

وضـوءُ الـشُّـهْـبِ فـوْق الـلّـيـل بـادٍ ... كـأطـرَاف الأسِـنَّـة فـي الـدُّروع[1]

٢ ـ والتشبيه المفروق، هو جمع كل مشبه مع ما شُبّه به ـ كقوله[2]:

أَلـنـشـر مـسْـكٌ وَالـوجـوهُ دَنَـا ... نـيـرٌ وأطـرَافُ الأكُـفِّ عَـنَـم[١٣٣]

٣ ـ وتشبيه التسوية هو أن يتعدّد المشبه دون المشبه به ـ كقوله:

صَـدغُ الـحـبـيـب وَحـالـي ... كـلاهـمـا كـالـلّـيـالـي

وثَـغـره فـي صـفـاء ... وأدمـعـي كـالّـلآلـي

(١) أي فقد جمع ضوء الشهب والليل المشبهين، مع أطراف الأسنة والدروع المشبه بهما.

(٢) ومنه قوله:

إنـمـا الـنـفـس كـالـزجـاجـة والعلـ ... ـم سـراج وحـكـمـة الله زيـت

فـإذا أشـرقـت فـإنـك حـيٌّ ... وإذا أظـلـمـت فـإنـك مـيـت

[١٣٣] النشر: الريح الطيبة. العنم: الواحدة عنمة: شجر له ثمرة حمراء يشبَّه في البنان المخضوب.

سُمِّي بذلك للتّسوية فيه بين المُشبّهات.

٤ ـ وتشبيه الجمع: هو أن يتعدّد المشبه به، دون المشبه، كقوله:

كأنما يبسمُ عن لؤلؤ منضَّد أو بَرَدٍ أو أُقاح[(١)]

سُمي بتشبيه الجمع، للجمع فيه بين مشبّهات بها ثلاث وكقوله:

مرَّت بنا رأدَ الضحى تحكي الغزالة والغزالا[١٣٤]

تمرين

أُذكر أحوال طرفي التشبيه فيما يأتي:

علم لا ينفع كدواء لا ينجع. الصديق المنافق والابن الجاهل كلاهما كجمر الغضا. الحق سيف على أهل الباطل، الحِمْيَة من الأَنام كالحِمْيَة من الطَّعام.

يا شبيه البدر حُسناً وضياءً ومنالا
وشبيهَ الغصن ليناً وقواماً واعتدالا
أنت مثل الورد لوناً ونسيماً ومُلاَلاَ[١٣٥]

ملخص القول في تقسيم طرفي التشبيه

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه، أولاً: إلى حسّيين وعقلّيين ومختلفين فالحسيان يشتركان:

١ ـ في صفة مبصرة كتشبيه المرأة بالنهار في الإشراق، والشعر بالليل في الظلمة والسواد في قول الشاعر:

فرعاءُ تسحبُ من قيامِ شَعرها وتغيب فيه وهو ليل أسحمُ
فكأنها فيه نهارٌ مشرقٌ وكأنه ليلٌ عليها مظلم[(٢)]

---

(١) أي كأن المحبوب يبتسم عن أسنان كاللؤلؤ المنظوم، أو كالبَرَدِ أو كالأقاح فشبه الشاعر ثغر المحبوب بثلاثة أشياء اللؤلؤ (وهو الجوهر المعلوم) والبرد (وهو حب الغمام) والأقاح جمع أقحوان بضم الهمزة، وهو زهر نبت طيب الرائحة، حوله ورق أبيض، ووسطه أصفر.

(٢) امرأة فرعاء. كثيرة الشعر. أسحم. أسود من سَحِمَ كتعب.

---

[١٣٤] رأد: الشابة الحسنة الجميلة/ورأد الضحى: وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء.

[١٣٥] مُلالا: الملال، ظهر القوس.

زارنـــــا حـــتـــــى إذا مـــا ... ســـرّنـــا بـــالـــقـــرب زالا

فـكـم مـعـنـى بـديـع تـحـت لـفـظٍ ... هــنـــاك تـــزاوُجٌ كـــلَّ ازدوَاج

كـــراح فـــي زُجـــاج أو كـــروح ... سَـرَت فـي جـسـم مـعـتـدل الـمـزاج

الـــخـــدُّ وردٌ والـــعـــذَار رِيـــاض ... والـطَّـرفُ لـيـلٌ والـبـيـاض نـهـارُ[١٣٦]

الـعـمـرُ والإنـسـان والـدنـيـا هـم ... كـالـظـلّ فـي الإقـبـال والإدبـار

الـــخـــدُّ وَرْدٌ والـــصُّـدغ عـــالـــيـــة ... والـرِّيـق خـمـرٌ والـثَّـغـرُ مِـنْ بَـرَدِ

لـــيـــلٌ وبـــدرٌ وغـــصـــنٌ ... شَـــعـــرٌ ووجْـــهٌ وقـــدُّ

خـــمـــرٌ ودرٌ وَوَرْدٌ ... ريـــقٌ وثَـــغـــرٌ وخـــدُّ

---

٢ ـ أو في صفة مسموعة، كتشبيه إنقاض الرحل بصوت الفراريج في قول الشاعر:

كـأن أصـواتَ مِـن إيـغـالِـهـنَّ بـنـا ... أواخِرِ الـمَـيْـس إنـقـاض الـفـراريـج(١)

وكتشبيه الأصوات الحسنة في قراءة القرآن بالمزامير.

٣ ـ أو في صفة مذوقة، كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل، وكتشبيه الريق بالخمر في قول الشاعر:

كـأنَّ الـمُـدَامَ وصَـوْبَ الـغـمـام ... وريـحَ الـخُـزامَـى وذَوْبَ الـعَـسَـلْ

يُـعَـلُّ بـه بَـرْدُ أنـيـابـهـا ... إذا الـنَّـجـم وسْـط الـسـمـاء اعـتَـدَلْ(٢)

٤ ـ أو في صفة ملموسة. كتشبيه الجسم بالحرير في قول ذي الرُّمة:

لـهـا بَـشـر مـثـلُ الـحـريـر ومَـنـطـقٌ ... رَخِـيـمُ الـحـواشـي لا هُـرَاءٌ ولا نَـزر(٣)

---

(١) ألميس: الرحل. الإنقاض. قيل صوت الفراريج الضئيل. وقيل صوت الحيوان والنقض صوت الموتان كالرحل. والفراريج: جمع فروج وهو فرخ الدجاجة. وتقدير البيت. كأن أصوات أواخر الميس من إيغالهن بنا إنقاض الفراريج.

(٢) المُدام: الخمر. الصوب: من صاب المطر يصوب، إذا انْصَبَّ ونزل. الخُزامى: نبت طيب الرائحة. والعلل الشرب الثاني يقال علل بعد نهل.

(٣) رخيم الحواشي: مختصر الأطراف الهراء (بضم الهاء) المنطق الكثير وقيل المنطق الفاسد الذي لا نظام له.

---

[١٣٦] العذار: الشعر الذي يحاذي الأذن.

العمرُ مثل الضّيف أوْ كالطّيف ليسَ له إقامه

العيش نوْمٌ وَالمنيّةُ يقظة والمرء بينهما خيالٌ سارِ

---

٥ ـ أو في صفة مشمومة، كتشبيه الريحان بالمسك، والنّكهة بالعنبر.

والعقليان: هما اللذان لم يُدْرَكا «هما ولا مادتهما» بإحدى الحواس، كتشبيه السفر بالعذاب، والضلال عن الحق بالعمى، والاهتداء إلى الخير بالإبصار.

والمختلفان: إما أن يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسياً، كتشبيه الغضب بالنار من التلظي والاشتعال، وكتشبيه الرأي بالليل في قول الشاعر:

الرأي كالليل مُسْوَدٌ جوانِبُهُ والليل لا ينجلي إلا بإصباح

وإما أن يكون المشبه حسياً والمشبه به عقلياً، كتشبيه الكلام بالخلق الحسن وكتشبيه العطر بخلق كريم في قول الصاحب بن عَبّاد:[١٣٧]

أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه[(١)]

وثانياً: إلى مفردين مطلقين. أو مقيدين. أو مختلفين، وإلى مركبين أو مختلفين.

فالمفردان المطلقان: كتشبيه السماء بالدِّهان في الحمرة، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[(٢)] [الرحمن: ٣٧].

وكتشبيه الكشح بالْجَدِيل والساق بالأنبوب في قول امرىء القيس:

وكشْح لطيف كالجَدِيل مخصَّر وساق كأنبوب السَّقِيّ المذلَّلِ[(٣)]

---

(١) الثناء يشبه بالعطر لكنه اعتبر المعقول كأنه محسوس وجعله كالأصل لذلك المحسوس مبالغة، وتخيّله شيئاً له رائحة وشبّه العطر به.

(٢) الدِّهان: الجلد الأحمر.

(٣) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع (أقصر الأضلاع وآخرها) وهو من لدن السرّة إلى المتن. الجديل: الزمام المجدول من أدم. وقيل حبل من أدم أو شعر في عنق البعير. مخصر: دقيق. السَّقيّ: البُرْدِي واحده سَقِيَّة. المذلّل الذي ذُلّل بالماء حتى طاوع كل من مدّ إليه يده. قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب في شرحه لديوان امرىء القيس: شبه كشح المرأة بالزمام في اللين والتثني واللطافة، وشبه ساقها ببُرْديّ قد نبت تحت نخل. والنخل تظله من الشمس والوجه بالبياض.

---

[١٣٧] الصاحب بن عباد: سبق التعريف به.

العلمُ في الصدر مثلُ الشمس في الفَلَكِ والعقلُ للمرءِ مِثلُ التاج للمَلِكِ
عزَماتهُ مثل النُجوم ثواقباً لو لم يكن للثاقبات أفُولُ

والمقيدان، بوصف. أو إضافة، أو حال، أو ظرف ـ أو نحو ذلك. كقولهم فيمن لا يحصل من سعيه على فائدة: هو «كالراقم على الماء» فالمشبه هو الساعي على هذه الصفة. والمشبه به هو الراقم بهذا القيد. ووجه الشبه. التسوية بين الفعل والترك في الفائدة، وكقوله:

والشمس من بين الأرائك قد حكَتْ سيفاً صَقِيلًا في يدِ رعشاءِ[1]

والمختلفان، والمشبه به هو المقيد، كما في قول ذي الرّمة:

قِفِ العِيس في أطلال مَيَّةَ فاسألِ رُسوماً كأخلاق الرِّدَاء المُهَلْهَلِ[2]

أو المشبه هو المقيد، كما في قول الشاعر:

كأنّ فِجاجَ الأرض وهي عريضةٌ على الخائف المطلوب كُفَّةُ حابِلِ[3]

والمركبان، كقول الشاعر:

البدرُ منتقب بغيم أبيض هو فيه بين تفجُّر وتبلّج
كتنفّس الحسناء في المرآة إذ كَمُلَتْ محاسنُها ولم تتزوّج

والمختلفان، والمشبه مفرد، كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] وكقول الشاعر:

أغرُّ أبلجُ تأتمُّ الهُداةُ به كأنّهُ علم في رأسه نار

أو المشبه به مفرد. كقول أبي الطيب المتنبي:

تُشرق أعراضهم وأوجههم كأنها في نفوسهم شِيَمُ

شبّه إشراق الأعراض والوجوه بإشراق الشيم (الأخلاق الطيبة) فإشراق

---

(١) الأراك: شجر من الحمض يستاك بقضبانه، واحده أراكة وجمعها أرائك.

(٢) العيس: كرام الإبل وقيل الإبل البيض يخالط بياضها شقرة، أو ظلمة خفية. والأطلال: جمع طلل. وهو الشاخص من آثار الديار. الرسم: ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الديار. أخلاق: جمع خلَق (بفتح اللام) وهو الثوب البالي. المسلسل: الرقيق من تسلسل الثوب لبس حتى رقّ.

(٣) الفجاج جمع فج الطريق الواسع الواضح بين جبلين. الكُفَّة: ما يصاد به (الشبكة) الحابل: الصياد.

وكأنَّ أجرام النُّجوم لوامعاً   دُرَرٌ نُثِرن على بِساط أزرقِ
كأنما النارُ في تلهبُّها   والفحم من فوقها يُغطِّيها

الوجوه ببياضها، وإشراق الأعراض بشرفها وطيبها، وكقول أبي تمام يصف الربيع:

يا صاحبيَّ تقصيًّا نظريكما   تَريا وجوه الأرض كيف تَصوَّر[1]
تريا نهاراً مشمِساً قد شابَهُ   زَهرُ الرُّبا فكأنما هو مُقْمِر

يريد أن النبات لكثرته وتكاثفه مع شدة خضرته قارب لونه السواد. ونقص من ضوء الشمس حتى كأنه ليل مقمر، فشبه النهار المشمس الذي قد خالطه زهر الرُّبا بالليل المقمر، والأول مركب، والثاني مفرد مقيد.

وثالثاً: إلى:

١ ـ ملفوف. وهو ما أوتي فيه بالمشبهات أولاً على طريق العطف أو غيره، ثم بالمشبهات بها كذلك، كقول الشاعر:

ليلٌ وبدرٌ وغصنٌ   شعرٌ ووجهٌ وقدُّ
خمرٌ ودرٌّ وورْدُ   ريقٌ وثغرٌ وخَدُّ

شبّه الليل بالشعر، والبدر بالوجه، والغصن بالقد، في البيت الأول. والخمر بالريق والدر بالثغر. والورد بالخد، في البيت الثاني. وقد ذكر المشبهات أولاً، والمشبهات بها ثانياً كما ترى.

٢ ـ مفروق. وهو ما أوتي فيه بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر. كقول أبي نوَاس:

تبكي فتذري الدُّرّ من نَرجس   وتمسحُ الوردَ بعُنَّاب[2]

شبه الدمع بالدر لصفائه. والعين بالنرجس لما فيه من اجتماع السواد بالبياض والوجه بالورد.

ورابعاً: إلى

١ ـ تشبيه التسوية. وهو ما تعدد فيه المشبه ـ كقول الشاعر:

---

(١) تقصيّا: من تقصّيت الشيء بلغت أقصاه، أي اجتهدا في النظر.
تُصوَّر تتصور. شابه: خالطه. الربا: جمع ربوة وهي المكان المرتفع وخص زهر الربا لأنه أنضر وأشد خضرة.

(٢) العُنّاب: شجر له حَبٌّ كحب الزيتون وأحسنه الأحمر الحلو.

زِنجيّة شبّكت أناملها	من فوق نارُنجةٍ لِتُخفِيها
يا صاحِبيَّ تَقصَّياً نَظَرَيْكُما	تَريا وُجوهَ الأرض كيف تَصوَّرُ
تريا نهاراً مُشمساً قد شابَهُ[1]	زهرُ الرُّبى فكأنما هو مُقمِرُ
وكأنَّ مِخمرَّ الشَّقيـ	ـق إذا تَصوَّبَ أو تَصعَّد
أعلامُ ياقوت نُشِر	ن على رِماح مِنْ زَبَرجد[2]
كأن مثارَ النقع فوقَ رُؤوسنا	وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكبُه[3]

صُدغ الحبيب وحالي	كلاهما كالليالي
وثغره في صفاء	وأدمعي كاللآلي[4]

شبه في الأول صدغ الحبيب وحاله هو بالليالي في السواد. وفي الثاني شبه ثغر الحبيب ودموعه باللآلي في القدر والإشراق.

٢ ـ تشبيه الجمع وهو ما تعدد فيه المشبه به كقول البُحتري:

بات نديماً لي حتى الصباح	أغْيَدُ مجْدُولُ مَكانِ الوِشاخ
كأنما يَبسِمُ عن لؤلؤ	منضّدٍ أو بَرَد أو أقاح[5]

شبه ثغره بثلاثة أشياء باللؤلؤ والبرَد والأُقاح.

---

(١) أي قد خالط هذا النهار زهر الربا فكأنما هو ليل مقمر.

(٢) فكل من الأعلام والياقوت والزبرجد والرمح محسوس على انفراده. لكن المركب الذي مادته هذه الأمور ليس بمحسوس لأنه غير موجود ـ والحس خاص بالموجودات ـ فالمشبه مفرد وهو الشقيق. والمشبه به مركب وهو الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حُمْر مبسوطة على رؤوس أجرام خُضْر مستطيلة.

(٣) شبهت هيئة السيوف الحاصلة من علوها ونزولها بسرعة في وسط الغبار بهيئة كواكب تتساقط في ليل مظلم.

(٤) الصُّدغ: (بضم الصاد) ما بين العين والأذن. والشعر المتدلي على هذا الموضع هو المراد هنا والثغر: تطلق على الفم، وعلى الأسنان في منابتها والمراد الثاني.

(٥) الأغيد: الناعم البدن، المجدول: المطوي غير المسترخي ـ والمراد لازمه، وهو ضامر البطن والخصر الوشاح شِبهُ قلادة ينسج من جلد عريض يرصع بالجواهر تشدّه المرأة في وسطها أو على المنكب الأيسر معقوداً تحت الإبط الأيمن للزينة. المنضد: المنظم. البرد: حب الغمام. الأقاح: نبات له زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء. وأوراق زهره مفلجة صغيرة، واحدته قُحوانة (بضم القاف).

خـــودٌ كـــأنَّ بَـــنـــانَـــهـــا فـــي خُـضـــرة الـنَّــقـش الــمــزرَّدْ[١]
سَـــمَـــكٌ مـــن الـــبِـلَّـــور فـــي شـــبـــك تـــكـــوَّن مـــن زَبَـــرْجَـــدْ
كَـأَنَّ قـلـوبَ الـطـيـر رَطـبـاً ويـابـسـاً[٢] لدى وَكْرِها العُنَّابُ والحشفُ البالي[١٣٨]
مَن يـصـنـعِ الـخـيرَ مع من لـيس يَعـرفُـه كـواقـد الـشَّـمـع في بـيـت لـعِـمـيـان[٣]

---

(١) أي أن أصابعها المُعبّر عنها بالبنان قد نقش عليها بالوشم ما هو كالشبك الزبرجدي أي المحيط ببياض أصابعها التي هي كالبلور ـ فالمفردات كل واحد منها يدرك بالحس، والمركب غير موجود.

(٢) يريد الشاعر وصف العقاب بكثرة اصطياده الطيور، فشبه الطري من قلوب الطير بالعُنّاب، واليابس منها بالحشف البالي.

(٣) ففيه التشبيه الملفوف حيث جمع في الشطر الأول صنيع الخير ومعرفته وهما متلازمان، ثم أتى في الشطر الثاني بالمشبه بهما أعني وقود الشمع والنظر إلى نوره.

---

[١٣٨] الوكر: عش الطير. الحشف: أردأ التمر أو الفاسد اليابس منه.

المبحث الرابع

في تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشّبه

وَجهُ الشّبه هو الوصف الخاصّ[1] الذي يُقصَد اشتراكُ الطّرفين فيه كالكرم، في نحو: خليل كحاتم.

---

(١) إما حقيقة كالبأس في قولك زيد كالأسد وإمّا تخيلاً كما في قوله:

يا من له شَعرٌ كحظّي أسود　　　جسمي نحيل من فراقك أصفر

فإن وجه الشبه فيه بين الشعر والحظ هو السواد، وهما يشتركان فيه، لكنه يوجد في المشبه تحقيقاً، ولا يوجد في المشبه به إلا على سبيل التخييل، لأنه ليس من ذوات الألوان. ثم اعلم أن وجه الشبه، إما داخل في حقيقة الطرفين وذلك كما في تشبيه ثوب بآخر في جنسهما أو نوعهما أو فصلهما كقولك هذا القميص مثل ذلك في كونهما كتاناً أو قطناً، وإما خارج عن حقيقتهما وهو ما كان صفة لهما (حقيقة) وهي قد تكون حسية كالحمرة في تشبيه الخد بالورد، وقد تكون عقلية كالشجاعة في تشبيه الرجل بالأسد، أو (إضافية) وهي ما ليست هيئة متقررة في الذات بل معنى متعلقاً بها كالجلاء في تشبيه البيّنة بالصبح، ثم إن وجه التشبيه قد يكون واحداً وقد يكون بمنزلة الواحد (لكونه مركباً من متعدد) وقد يكون متعدداً، وكل من ذلك قد يكون حسياً وقد يكون عقلياً، أما الواحد، فالحسي منه كالحمرة في تشبيه الخد بالورد، والعقلي كالنفع في تشبيه العلم بالحياة، وأما المركب فالحسي منه قد يكون مفرد الطرفين، كما في قوله:

وقد لاح في الصبح الثُّريا كما ترى　　　كعنقود مُلّاحِيةٍ حين نوّرا

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من التِئام الحُبَب البيض الصغيرة المستديرة المرصوص بعضها فوق بعض على الشكل المعلوم، وكلا الطرفين مفرد، وهما الثريا والعنقود. وقد يكون مركب الطرفين كما في قوله:

والبدر في كبد السماء كدرهم　　　ملقى على ديباجة زرقاء

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع صورة بيضاء مشرقة مستديرة في رقعة زرقاء مبسوطة، وكلا الطّرفين مركب أولهما من البدر والسماء ـ والثاني من الدرهم والديباجة. وقد يكون مختلف الطرفين كقوله:

وحدائق لبس الشقيق نباتها　　　كالأرجوان منقّطاً بالعنبر

فإن وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من انبساط رقعة حمراء قد نقطت بالسواد منثوراً عليها. =

وينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى:
١ ـ تمثيل ـ وهو ما كان وجه الشّبه فيه صورةً منتزعَةً من متعدّد، كقوله:

وما المرء إلا كالشّهاب وضوئه يُوافي تمام الشّهر ثم يَغيب

فوجه الشبه سُرعة الفناء، انتزعه الشّاعر من أحوال القمر المتعدّدة إذ يبدو هلالاً، فيصير بدراً، ثم ينقص حتى يُدركه المَحاق.
ويسمّى التشبيه تمثيلاً.
٢ ـ وغير تمثيل: وهو ما لم يكن وجه الشبه فيه صورةً منتزعةً مِن متعدِّد نحو وجهه كالبدر، وكقول الشاعر:

لا تطلبنَّ بآلة لك رتبة قَلمُ البليغ بغير حظٍّ مِغْزَلُ

= والمشبه مفرد وهو الشقيق، والمشبه به مركب من الأرجوان والعنبر. وكقوله:

لا تعجبوا من خاله في خده كل الشقيق بنقطة سوداء

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع نقطة سوداء مستديرة في وسط رقعة حمراء مبسوطة. والمشبه مركب من الخال والخد، والمشبه به مفرد هو الشقيق والعقلي من المركب كما في قوله:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الالتجاء من الضار إلى ما هو أضر منه طمعاً في الانتفاع به، ووجه الشبه مركب من هذه المتعددات في الجميع والرمضاء الأرض التي أسخنتها حرارة الشمس الشديدة، والمراد بعمرو هنا هو جسَّاس بن مُرّة البكري، يقال إنه لما رمى كُليب بن ربيعة التغلبي وقف على رأسه فقال له: يا عمرو أغثني بشُرْبة ماء، فأتمَّ قتله.
وأما المتعدد ـ فالحسي منه كما في قوله:

مهفهف وجنتاه كالخمر لوناً وطعماً

والعقلي كالنفع والضرر في قوله:

طلق شديد البأس راحته كالبحر فيه النفع والضّرر

فإن وجه الشبه فيهما متعدد وهو اللون والطعم في الأول ـ والنفع والضرر في الثاني، وقد يجيء المتعدد مختلفاً كما في قوله:

هذا أبو الهيجاء في الهيجاء كالسيف في الرونق والمضاء

فإن وجه الشبه فيه هو الرونق وهو حسي ـ والمضاء وهو عقلي. وأبو الهيجاء لقب عبد الله بن حمدان العدوي والهيجاء: من أسماء الحرب.
واعلم أن الحسي لا يكون طرفاه إلا حسيين، وأما العقلي فلا يلزمه كونهما عقليين، لأن الحسي يدرك بالعقل، خلافاً للعقلي فإنه لا يدرك بالحس.

فوجه الشبه قِلّة الفائدة وليس منتزعاً من متعدّد.

٣ ـ وُمَفصَّلٌ: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه نحو: طَبْعُ فريد كالنّسيم رِقَّة، ويده كالبحر جوداً، وكلامه كالدُّر حُسْناً، وكقول ابن الرّومي:

شبيهُ البدرِ حُسْناً وضياء ومنالا   وشبيه الغصن ليناً وقواماً واعتدالا

٤ ـ ومُجْمَل، وهو ما ليس كذلك، نحو: النحو في الكلام كالملح في الطعام، وكقوله:

إنَّما الدنيا كبيتِ   نَسْجُهُ مِن عنكبوتْ

٥ ـ وقريبٌ مبتذلٌ: وهو ما ينتقل فيه الذِّهن من المشبه إلى المشبه به من غير احتياج إلى شدّة نظر وتأمُّل لظهور وجهه باديءَ بدْءٍ.

وذلك كتشبيه الخد بالورد في الحمرة، أو كتشبيه الوجه بالبدر في الإشراق والاستدارة.

وقد يُتصرّف في القريب بما يخرجه عن ابتذاله إلى الغرابة، كقول الشاعر:

لم تلق هذا الوجه شَمْسُ نهارنا   إلَّا بوجه ليس فيه حياء

فإن تشبيه الوجه الحسن بالشمس مبتذل، ولكن حديث الحياء أخرجه إلى الغرابة.

وَقَدْ يَخرج من الابتذال إلى الغرابة بالجمع بين عدّة تشبيهات كقول الشاعر:

كأنما يبسمُ عن لؤلؤ   مُنضّد أو بَرَد أو أُقاح

أو باستعمال شرط، كقوله:

عَزَماتُهُ مِثْلُ النّجوم ثواقباً   لو لم يكن للثّاقباتِ أفولُ

٦ ـ وبعيد غريبٌ: وهو ما احتاج في الانتقال من المشبه إلى المشبه به إلى فكر ودقّة نَظَر، لخفاء وجهه في باديء الرأي، كقوله:

والشمّس كالمِرآة في كفّ الأشَلّ

فإن الوجه فيه هو الهيئة الحاصلة من الإستدارة مع الإشراق، والحركة السّريعة المتَّصلة مع تموُّج الإشراق، حتى ترى الشعاع كأنه يهمّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة؛ ثم يبدو له فيرجع إلى الإنقباض.

وحكم وجه الشبه، أن يكون في المشبه به أقوى منه في المشبه وإلّا فلا فائدة في التشبيه.

المبحث الخامس

في أدوات التشبيه

أدوات التشبيه: هي ألفاظ تدلّ على معنى المُشابهة، كالكاف، وكأنَّ ومثل، وشِبه، وغيرها، ممّا يؤدّي معنى التشبيه كالمُضاهاة والمحاكاة والمُشابهة، والمُماثلة، ونحو، وكذا ما يُشتقُّ من لفظي «مَاثَلَ وشابَهَ» أو ما يُرادفهما في المعنى.

وهي قد تحذف نحو: اندفع الجيش اندفاع السيَّل، أي كاندفاعه والأصل في ـ الكاف، ومِثل، وشِبه ـ أن يليها المشبه به[1] والأصل في كأنّ، وشابَهَ، وماثَلَ ـ وما يرَادفُها أن يليها المشبَّه كقوله:

كـأنَّ الـثُّـرَيَّـا راحَـةٌ تـشـبِـرُ الـدُّجـى   لـتـنـظـرَ طـال الـلـيـل أم قـد تـعَـرَّضـا

وكأنَّ، تفيد التشبيه إذا كان خبرها جامداً نحو: كأنَّ عليّاً أسد وتفيد الشّك إذا كان خبرها مشتقاً نحو: كأنك فاهم، وكقوله:

كـأنَّـكَ مِـن كـلِّ الـنـفـوس مـركَّـبٌ   فـأنـت إلـى كـل الـنـفـوس حَـبـيـبُ

وقد يُغني عن أداة التشبيه «فعلٌ» يدلُ عليه، ولا يعتبرُ أداة، فإن كان الفعل لليقين، أفاد قُربَ المشابَهة، نحو: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤] ونحو رأيت الدنيا سرَاباً غرَّاراً.

وإن كان الفعل للشك أفاد بُعدَها، نحو: و﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩] ونحو: حسبت الفيل جبلاً، وكقوله:

قَـوْمٌ إذَا لـبـسـوا الـدُّرُوع حـسِـبـتَـهـا   سُـحُـبـاً مـزَرَّدةً عـلـى أقـمـار

---

(١) وقد يليها غير المشبه به إذا كان التشبيه مركباً كقوله تعالى: **﴿واضربْ لَهُمْ مَثَل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناهُ من السماء فاختلطَ به نباتُ الأرضِ فأصبح هشيماً تذرُوه الرياح﴾** [الكهف: ٤٥] فإن المراد تشبيه حال الدنيا في حسن نضارتها وبهجة روائها في المبدأ وذهاب حسنها وتلاشي رونقها شيئاً فشيئاً في الغاية بحال النبات الذي يحسن من الماء فتزهو خضرته ثم ييبس شيئاً فشيئاً ثم يتحطّم فتطيّره الرياح، فيصير كأن لم يكن شيئاً مذكوراً.

(وينقسم التشبيه) باعتبار أداته إلى:

أ ـ التشبيه المؤكد: وهو ما حذفت أداته كقوله الشاعر:

أنت نجم في رفعة وضياءٍ ... تجتليكَ العيونُ شرقاً وغربا

ب ـ التشبيه المرسل[1] ـ وهو ما ذكرت فيه الأداة كقول الشاعر:

إنما الدنيا كبيت ... نسجه من عنكبوت

ومنَ المؤكد ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه كقول الشاعر:

وَالريح تَعْبَثُ بالغصون وقد جرَى ... ذَهبُ الأصيلِ[2] على لُجينِ الماء

أي أصيلٌ كالذَّهب على ماء كاللُّجين.

جـ ـ التشبيه البليغ: وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشّبه[3] كما في قوله:

فاقْضُوا مآربَكُم عِجالاً إنما ... أعمارُكُمْ سَفرٌ منَ الأسفار

---

(١) وسمي مرسلاً لإرساله عن التأكيد.

(٢) الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب، واللُّجين: الفضة.

(٣) ومن التشبيه البليغ: المصدر المضاف المبين للنوع نحو، راغ روغان الثعلب ومنه أيضاً: إضافة المشبه به للمشبه نحو لبس فلان ثوب العافية ـ كما ذكرناه.

المبحث السادس

في فوائد التشبيه

فوائد التشبيه تعود في أكثر المواضع إلى المشبه، وهي إمّا:

١ ـ بيان حاله: وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف، كقوله الشاعر:

إذا قامت لحاجتها تَثَنَّتْ كأنّ عظامها من خيزران

شبه عظامها بالخيزران بياناً لما فيها من اللّين.

٢ ـ أو بيان إمكان حاله، وذلك حين يُسند إليه أمرٌ مُستغرب لا تزول غرابته إلّا بذكر شبيه له، كقوله:

ويلاهُ إنْ نظرتْ وإن هي أعرضتْ وقعُ السّهام ونَزْعُهُنَّ أليمُ

شبه نظرها بوقع السهام، وإعراضَها بنزعها: بياناً لإِمكان إيلامها بهما جميعاً.

٣ ـ أو بيان مقدار حاله قوة وضعفا، وذلك إذا كان المشبّه معروف الصِّفة قبل التّشبيه معرفة إجمالية، وكان التشبيه يُبيِّن مقدار هذه الصفة، كقوله:

كأنَّ مِشيتها من بيت جارتها مرُّ السَّحابة لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

وكتشبيه الماء بالثلج في شدة البرودة، وكقوله:

فيها اثنتان وأربعون حلُوبَةً سُوداً كخافية الغُراب الأَسحَم

شبّه النِّياق السُّود بخافية الغراب بياناً لمقدار سوادها.

٤ ـ أو تقرير حاله في نفس السامع بإبرازها فيما هي فيه أظهر، كما إذا كان ما أُسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح بالمثال، كقوله:

إن القلوبَ إذَا تنافر وُدُّها مِثْلُ الزجاجة كَسْرُها لا يُجبَرُ

شبّه تنافر القلوب بكسر الزجاجة تثبيتاً لتعذُّره عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأُنس والمودّة.

٥ ـ أو بيان إمكان وجوده، وإنه ممكن الحصول، كقوله:

فإنْ تَفُقِ الأنام وأنت منهم ... فإنّ المسك بَعْضُ دمِ الغزال[(١)]

٦ ـ أو مدحه وتحسينه، كقول الشاعر:

كأنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

٧ ـ أو تَشويهه وتقبيحه، كقول الآخر:

وإذا أشارَ مُحدِّثاً فكأنه ... قردٌ يقهقهُ أو عجوزٌ تَلْطِمُ

أو استطرافه أي عدّه طَريفاً حديثاً إمّا لإبرازه في صورة الممتنع عادة كما في تشبيه فحم فيه جمر متّقد؛ ببحر من المسك مَوْجُه بالذهب.

وإمّا لندور حضور المشبه به في النفس عند حضور المُشبه، كقوله:

أُنظُرْ إليه كزورقٍ مِنْ فضة ... قد أثقلته حُمُولةٌ من عَنْبر[(٢)]

تشبيه على غير طرقه الأصلية

١ ـ قد يورد التّشبيه ضِمناً من غير أن يُصرَّح به ويُجعل في صورة برهان على الحكم الذي أسند إلى المشبّه، كقول المتنبي:

مَن يَهُنْ يَسهل الهوان عليه ... ما لجُرحٍ بميِّتٍ إيلامُ

أي إن الذي اعتاد الهوان يسهل عليه تحمله ولا يتألّم له، وليس هذا الإدعاء باطلاً، لأن الميت إذا جُرح لا يتألم.

وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة.

٢ ـ قد يُعكس التشبيه، فيُجعل المشبه مشبهاً به وبالعكس[(٣)] فتعود فائدته إلى

---

(١) أي أنه لا استغراب في فوقانك للأنام مع أنك واحد منهم، لأن لك نظيراً وهو المسك فإنه بعض دم الغزال وقد فاق على سائر الدماء، ففيه تشبيه حال الممدوح بحال المسك تشبيهاً ضمنياً، والتشبيه الضمني هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب لإفادة أن الحكم الذي أُسْنِد إلى المشبه ممكن، نحو المؤمن مرآة المؤمن.

(٢) الحُمُولة: ما يحمل فيه ويوضع، والمقصد من التشبيه وجود شيء أسود داخل أبيض.

(٣) التشبيه المقلوب ويسمى المنعكس هو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة، وهذا النوع جار على خلاف العادة في التشبيه، ووارد على سبيل الندور.

المشبه به لادّعاء أن المشبه أتمّ وأظهر من المشبه به في وجه الشبه ويسمى ذلك بالتشبيه المقلوب [1] أو المعكوس ـ نحو: كأن ضوء النَّهار جبينه ـ ونحو: كأنّ نشر الرّوضِ حُسنُ سيرته ـ ونحو: كأنّ الماء في الصفاء طباعه، وكقول محمد بن وُهَيب الحِمَيرِي:

وبَدا الصبَّاحُ كأنَّ غُرَّته ... وَجهُ الخليفة حين يُمتَدحُ

شبه غرّة الصبَّاح بوجه الخليفة إيهاماً أنه أتمّ منها في وجه الشبه، وهذا التشبيه مظهر من مظاهر الإفتنان والإبداع وكقوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥] في مقام أن الرّبا مثل البيع عكسوا ذلك لإيهام أن الرّبا عندهم أحلُّ من البيع، لأن الغرض الرّبح وهو أثبَتُ وجوداً في الرّبا منه في البيع، فيكون أحق بالْحِلِّ عندهم.

= وإنما يحسن في عكس المعنى التعارف كقول البحتري:

في طلعة البدر شيء من محاسنها ... وللقضيب نصيب من تَثَنّيها

والمتعارف تشبيه الوجوه الحسنة بالبدور. والقامات بالقضب في الاستقامة والتثني لكنه عكس ذلك مبالغة، هذا إذا أريد إلحاق كامل بناقص في وجه الشبه. فإن تساويا حسن العدول عن التشبيه إلى المشابهة تباعدا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر.

(١) يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبي في كتاب حسن التوسل وسماه «تشبيه التفضيل» وهو أن يشبه شيء بشيء لفظاً أو تقديراً، ثم يعدل عن التشبيه لادعاء أن المشبه أفضل من المشبه به، كقوله:

حسبت جمالها بدراً منيراً ... وأين البدر من ذاك الجمال

المبحث السابع

في تقسيم التشبيه
باعتبار الغرض إلى مقبول وإلى مردود

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض إلى حسن مقبول، وإلى قبيح مردود:

١ ـ فالحسن المقبول: هو ما وفيَّ بالأغراض السابقة، بأن يكون المشبه به أعرفَ من المشبه في وجه الشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه أو بيان المقدار، أو أن يكون أتم شيء في وجه الشبه إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل، أو أن يكون في بيان الإمكان مسلّم الحكم ومعروفاً عند المخاطب إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود، وهذا هو الأكثر في التشبيهات إذ هي جارية على الرَّشاقة سارية على الدِّقة والمبالغة.

٢ ـ والقبيح المردود ـ هو ما لم يفِ بالغرض المطلوب منه لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به، أو مع وجوده لكنه بعيد.

تنبيهات

الأول: بعض أساليب التشبيه أقوى من بعض في المبالغة ووضوح الدلالة ولها مراتب ثلاثة.

أ ـ أعلاها وأبلغها ما حذف فيها الوجه والأداة نحو علي أسد، وذلك إنك ادعيت الاتحاد بينهما بحذف الأداة، والتشابه في كل شيء بحذف الوجه ولذا سُمِّي هذا تشبيهاً بليغاً[1].

ب ـ المتوسطة ما تحذف فيها الأداة وحدها، كما تقول: علي أسد شجاعة، أو يحذف وجه الشبه ـ فتقول علي كالأسد، وبيان ذلك إنك بذكرك الوجه حصرت

---

(١) البليغ من أنواع التشبيه هو البعيد الغريب، فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر كان ذلك أفعل في النفس وأدعى إلى تأثرها واهتزازها، وتتفاوت قوة المبالغة الحاصلة من التشبيه باختلاف الصور التي يوضع فيها. فأضعف تلك الصور في المبالغة ما ذكرت فيه أركان التشبيه جميعها، وأقواها فيها ما حذف فيه وجه الشبه وأداته مع ذكر المشبه نحو: علي أسد، ويتوسط بين هذين الطرفين ما حذفت فيه الأداة وحدها، أو وجه الشبه وحده.

التشابه فلم تدع للخيال مجالاً في الظن بأن التشابه في كثير من الصفات، كما أنك بذكر الأداة نصصت على وجود التفاوت بين المشبه والمشبه به ولم تترك باباً للمبالغة.

جـ ـ أقلها ما ذكر فيها الوجه والأداة وحينئذٍ فقدت المزيتين السابقتين.

الثاني: قد يكون الغرض من التشبيه حسناً جميلاً، وذلك هو النمط الذي تسمو إليه نفوس البلغاء وقد أتوا فيه بكل حسن بديع كقول ابن نباتة[١٣٩] في وصف فرس أغرّ محجّل:

وكأنما لطم الصباح جبينه ... فاقتصّ منه فخاض في أحشائه

وقد لا يوفّق المتكلم إلى وجه الشبه، أو يصل إليه مع بعد، وما أخلق مثل هذا بالإستكراه وأحقه بالذم لما فيه من القبح والشناعة، بحيث ينفر منه الطبع السليم.

الثالث: عُلمَ مما سبق أن:

١ ـ التشبيه المرسل: ما ذكرت فيه الأداة.

٢ ـ التشبيه المؤكد: ما حذفت منه الأداة.

٣ ـ التشبيه المجمل: ما حذف منه وجه الشبه.

٤ ـ التشبيه المفصل: ما ذكر فيه وجه الشبه.

٥ ـ التشبيه البليغ: ما حذفت منه الأداة. ووجه الشبه.

٦ ـ التشبيه الضمني: تشبيه لا يُوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التّشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب.

وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن(١).

---

(١) كقوله:

لا تُنكري عَطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي

أي لا تنكري خلو الرجل الكريم من الغنى، فإن ذلك ليس عجباً لأن قمم الجبال وهي أعلى الأماكن لا يستقر فيها ماء السيل، فهاهنا يلمح الذكي تشبيهاً، ولكنه لم يضع ذلك صريحاً بل أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى في صورة برهان فيكون هذا التشبيه على غير طرقه الأصلية بحيث يورد التشبيه ضمناً من غير أن يصرح به ويجعل في صورة برهان على الحكم الذي أسند إلى المشبه، كما سبق شرحه وقد يراد إيهام أن المشبه والمشبه به متساويان في وجه الشبه فيترك التشبيه ادعاء بالتّساوي دون الترجيح.

---

[١٣٩] ابن نباتة المصري واسمه محمد عاش بين (١٢٨٧ ـ ١٣٦٦م) شاعر. له ديوان ورسالة في شرح شعر ابن زيدون اسمها: سرح العيون.

أسئلة يطلب أجوبتها

ما هو علم البيان لغة واصطلاحاً؟

ما هو التشبيه؟

ما أركان التشبيه؟

طرفا التشبيه حِسِّيان أم عقليان؟

ما المراد بالحُسي؟

ما هو التشبيه الخيالي؟

ما المراد بالعقلي؟

ما هو التشبيه الوهمي؟

ما هو وجه الشبه؟

ما هي أدوات التشبيه؟

الأصل في أدوات التشبيه أن يليها المشبه أو المشبه به؟

متى تفيد كأنَّ التشبيه؟

ما هو التشبيه البليغ؟

ما هو التشبيه الضمّني؟

ما هو التشبيه المرسل؟

كم قسماً التشبيه باعتبار طرفيه؟

كم قسماً التشبيه باعتبار تعدد طرفيه؟

ما هو التشبيه الملفوف؟

ما هو التشبيه باعتبار وجه الشبه؟

ما هو تشبيه التمثيل؟

ما هو غير التمثيل؟

ما هو التشبيه المفصل؟

ما هو التشبيه المجمل؟

كم قسماً التشبيه باعتبار الغرض منه؟

تطبيق عام على أنواع التشبيه

١ ـ اشتريت ثوباً أحمر كالورد، في هذه الجملة تشبيه مرسل مفصل، المشبه: ثوباً. والمشبه به: الورد، وهما حسيان مفردان، والأداة: الكاف. ووجه الشبه: الحمرة في كل، والغرض منه بيان حال المشبه.

٢ ـ ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا أتى الربيع أتاك النَّوْرُ والنُّورُ
فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة والنبت فيروزج والماء بلورُ

«الأرض ياقوتة: تشبيه بليغ مجمل المشبه: الأرض، والمشبه به، ياقوتة، وهما حسيان مفردان ووجه الشبه محذوف وهو الخضرة في كل، والأداة محذوفة، والغرض منه تحسينه، والجو لؤلؤة، والنبت فيروزج، والماء بلور كذلك وفي البيت كله تشبيه مفروق، لأنه أتى بمشبه ومشبه به وآخر وآخر.

٣ ـ العمر والإنسان والدنيا هُمُ كالظل في الإقبال والإدبار

فيه تشبيه تسوية مرسل مفصل، المشبه: العمر والإنسان والدنيا، والمشبه به الظل. والمشبه بعضه حسي وبعضه عقلي، والمشبه به حسي، والكاف الأداة، ووجه الشبه الإقبال والإدبار، والغرض تقرير حاله في نفس السامع.

٤ ـ كم نعمة مرت بنا وكأنها فرس يهرول أو نسيم سار

فيه تشبيه جمع مرسل مجمل. المشبه: نعمة. والمشبه به: فرس يهرول. أو نسيم سارٍ، وهما حسيان. وكأنَّ: الأداة. ووجه الشبه: السرعة في كل. والغرض منه بيان مقدار حاله.

٥ ـ لَيْلٌ وبَدْرٌ وغُصْنُ شَعْرٌ ووَجْهٌ وقدُّ

فيه تشبيه بليغ مجمل ملفوف. المشبه شعر وهو حسي. والمشبه به ليل وهو عقلي والأداة محذوفة، ووجه الشبه السواد في كل، والغرض منه بيان مقدار حاله.

وفي الثاني. المشبه وجه. والمشبه به بدر. وهما حسيان. ووجه الشبه الحسن في كل والأداة محذوفة، والغرض تحسينه. وفي الثالث المشبه قدٌّ. والمشبه به غصن. وهما حسيان. ووجه الشبه الإعتدال في كل، والأداة محذوفة، والغرض بيان مقداره هذا، وإن شئت فقل هذا تشبيه مقلوب يجعل المشبه به مشبهاً، والمشبه مشبهاً به لغرض المبالغة بأن تجعل الليل مشبهاً والشَّعر مشبهاً به.

٦ ـ وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملّاحيَّة حين نَوَّرا

فيه تشبيه تمثيل مرسل مجمل، المشبه هيئة الثريا الحاصلة من اجتماع أجرام مشرقة مستديرة منيرة، والمشبه به هيئة عنقود العنب المنَوَّر، والجامع الهيئة

الحاصلة من اجتماع أجرام منيرة مستديرة في كل، والأداة الكاف، والغرض منه بيان حاله.

تمرين

بيِّن أنواع التشبيه فيما يأتي:

أَلورد في أَعلَا الغصون كأَنه	مَلِكٌ تَحُفُّ به سَرَاةُ جنوده
إذَا ارتجل الخطابَ بدَا خليجٌ	بِفِيه يمدُّه بَحْرُ الكلام
كلام بل مُدَامٌ بل نظام	من الياقوت بل حَبُّ الغمام
يا صاحبيَّ تيقظا من رقدة	تُزري على عقل اللبيب الأكيس
هذي المجرَّة والنُّجوم كأنها	نهر تدفق في حديقة نرجس
وكأنَّ الصُّبح لما	لاح من تحت الثُّريَّا
ملك أقبل في التَّاج	يُفْدَى ويُحَيَّا
إنما النفس كالزُّجاجة والعلـ	ـم سراج وحكمة الله زيت
فإذا أشرقَتْ فإنَّك حيٌّ	وإذا أظلمت فإنك مَيْتُ
وغَيْرُ تقيٍّ يأمر النَّاس بالتُّقى	طبيبٌ يداوي النَّاس وهو مريض
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشَّفتْ	له عَنْ عَدُوّ في ثياب صديق
جمرة الخدّ أحْرَقَتْ عنبر الخا	لِ فَمِنْ ذلك العِذَارِ دخانُ
كالبدر من حيث الْتَفَتَّ رأيته	يهدي إلى عينيك نوراً كافيا
وأشرقَ عن بِشْرٍ هو النّور في الضُّحَى	وصافى بأخلاق هِيَ الطَّلُّ في الصبّح

بلاغة التشبيه

وبعض ما أُثِرَ منه عن العرب والْمُحْدَثينَ:

تَنْشأُ بلاغة التشبيه من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يُشبهه، أو صورةٍ بارعة تمثّله، وكلّما كان هذا الانتقال بعيداً قليل الخطور بالبال، أو ممتزجاً بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروعَ للنفس وأدعى إلى إعجابها واهتزازها.

فإذا قلتَ فلانٌ يشبه فلاناً في الطول، أو أنَّ الأرض تُشبه الكُرة في الشكل لم يكن في هذه التشبيهات أثر للبلاغة، لظهور المشابهة وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة وجُهْد أدبيّ، ولخلوها من الخيال.

وهذا الضرب من التشبيه يقصد به البيان والإيضاح وتقريب الشيء إلى الأفهام، وأكثرُ ما يُستعمل في العلوم والفنون.

ولكنك تأخذك رَوْعة التشبيه حينما تسمع قول المعري يَصفُ نجماً:

يُسْرِعُ اللمْحَ في احْمِرَارٍ كما تُسـ ـرِعُ في اللَّمحِ مُقْلَةُ الْغَضْبَانِ

فإنَّ تشبيه لمحاتِ النجم وتألُّقهِ مع احمرار ضوئه بسرعة لمحة الغضبان من التشبيهات النادرة التي لاتنقاد إلَّا لأديب، ومن ذلك قول الشاعر:

وكَأن النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا سُنَنٌ لَاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

فإنَّ جمال هذا التشبيه جاء من شعورك ببراعة الشاعر وحذقه في عقد المشابهة بين حالتين، ما كان يخطر بالبال تشابههما، وهما حالة النجوم في رُقعة الليل، بحال السُّنَن الدِّينية الصحيحة متفرقة بين البدع الباطلة، ولهذا التشبيه رَوْعَة أخرى جاءت من أنَّ الشاعر تخيّل أن السُّنَن مضيئة لمَّاعة، وأنَّ البدع مظلمة قاتمة.

ومن أبدع التشبيهات قول المتنبي:

بُلِيتُ بِلَى الأطْلَالِ إنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ في التُّرب خَاتَمُه

يدعو على نفسه بالبِلى والفَنَاء، إذا هو لم يقف بالأطلال، ليذكر عهد من كانوا بها، ثم أراد أن يصوّر لك هيئة وقوفه فقال كما يقف شَحِيح فَقَد خاتَمه في التراب، من كان يُوَفَّق إلى تصوير حال الذاهل المتحيِّر المحزون، المطرق برأسه، المنتقل من مكان إلى مكان في اضطراب ودهشة بحال شحيح فقد في التراب خاتماً ثميناً.

هذه بلاغة التشبيه من حيث مبلغُ طرافته وبُعد مرماه ومقدار ما فيه من خيال، أما بلاغته من حيث الصورةُ الكلامية التي يوضع فيها فمتفاوتة أيضاً، فأقلُّ التشبيهات مرتبة في البلاغة ما ذكرت أركانه جميعها، لأن بلاغة التشبيه مبنيَّة على ادعاء أن المشبّه عينُ المشبه به، ووجود الأداة ووجه الشبه معاً يحولان دون هذا الإدعاء. فإذا حذِفت الأداة وحدَها، أو وجه الشبه وحدَه ارتفعت درجة التَّشبيه في البلاغة قليلاً لأن حذف أحد هذين يقوّي ادعاء اتحاد المشبه والمشبه به بعض التقوية أمّا أبلغ أنواع التشبيه، فالتشبيه البليغ، لأنه مبنيٌّ على ادعاء أن المشبه والمشبه به شيء واحد.

هذا وقد جرَى العرب والْمُحدَثُون على تشبيه الجواد بالبحر والمطر والشجاع

بالأسد، والوجه الحَسَن بالشمس والقمر، والشَّهْم الماضي في الأمور بالسيف، والعالي المنزلة بالنجم، والحليم الرزين بالجبلَ، والأمانِيّ الكاذبة بالأحلام، والوجه الصَّبيح بالدينار، والشَّعر الفاحم بالليل والماء الصافي باللُّجَيْنِ، والليل بموج البحر، والجيش بالبحر الزاخر، والْخَيْلِ بالرِّيح والبَرْق، والنُّجُوم بالدُّرر والأزهار، والأسنان بالبَرَد واللؤلؤ والسُّفُنِ بالجبال، والجداولِ بالحيَّات الملتوية، والشَّيْبِ بالنهار، ولَمع السيوف وغرَّة الفرس بالهلال، ويشبِّهون الجبانَ بالنَّعامة والذُّبابة، واللَّئيمَ بالثَّعلب والطائِشَ بالفَرَاش، والذليل بالوَتَدِ، والقاسِيَ بالحديد والصخر، والبليدَ بالحِمار، والبَخِيلَ بالأرض الْمُجْدِبَةِ.

وقد اشتُهِرَ رجال من العرب بِخِلَالٍ مَحْمُودة، فصاروا فيها أعلاماً فجرى التّشبيه بهم؛ فيشبّه الوفيُّ بالسموأل[١]؛ والكريمُ بحاتم، والعادلُ بعُمَر[٢] والحليمُ بالأَحْنَف[٣]؛ والْفَصِيحُ بسَحْبَان؛ والخطيبُ بقسٍّ[٤] والشجاع بعَمْرو بن مَعْدِيكَرِبَ، والحكيمُ بلُقْمَان[٥]؛ والذكيُّ بإياس، واشتهر آخرونَ بصفات ذميمة، فجرى التشبيه بهم أيضاً؛ فيشبه الْعِيُّ بباقِل[٦] والأحمق بِهَبَنَّقَةَ[٧] والنادمُ بالكُسَعِيِّ[٨] والبخيل بمادر[٩]، والهجّاء بالْحُطَيْئَةِ[١٠] ....

---

(١) هو السموأل بن حيان اليهودي يضرب به المثل في الوفاء، وهو من شعراء الجاهلية، توفي سنة ٥٦٠ م.

(٢) هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأحد السابقين إلى الإسلام الأولين، اشتهر بعدله وتواضعه وزهده، وقد نصر الله به الإسلام وأعزه.

(٣) هو الأحنف بن قيس من سادات التابعين، كان شهماً حليماً عزيزاً في قومه إذا غَضبَ غضب له مائة ألف سيف لا يسألون لماذا غضب، توفي سنة ٦٧هـ.

(٤) هو قس بن ساعدة الأيادي خطيب العرب قاطبة، ويضرب به المثل في البلاغة والحكمة.

(٥) حكيم مشهور آتاه الله الحكمة أي الإصابة في القول والعمل.

(٦) رجل اشتهر بالعِيّ: اشترى غزالاً مرة بأحد عشر درهماً فسئل عن ثمنه فمدّ أصابع كفيه يريد عشرة وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر ففر الغزال، فضرب به المثل في العيّ.

(٧) هو لقب أبي الودعات يزيد بن ثروان القيسي، يضرب به المثل في الحمق.

(٨) هو غامد بن الحرث، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حُمر بخمسة أسهم، وكان يظن كل مرة أنه مخطىء فغضب وكسر قوسه، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم فندم على كسر قوسه، وعضّ على إبهامه فقطعها.

(٩) لقب رجل من بني هلال اسمه مخارق، وكان مشهوراً بالبخل واللؤم.

(١٠) شاعر مُخضرَم كان هجّاء مُرًّا، ولم يكد يسلم من لسانه أحد، هجا أمه وأباه ونفسه وله ديوان شعر، وتوفي سنة ٣٠هـ.

والقاسي بالحجاج[1].

---

(1) هو الحجاج بن يوسف الثقفي، كان عاملاً على العراق وخراسان لعبد الملك بن مروان ثم للوليد من بعده، وهو أحد جبابرة العرب، وله في القتل والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها، توفي بمدينة واسط سنة ٩٧هـ ـ عن البلاغة الواضحة[١٤٠].

---

[١٤٠] البلاغة الواضحة: كتاب في البيان والمعاني والبديع، تأليف علي الجارم ومصطفى أمين، وهما أديبان مصريان، انظر ص٦٨ ط١٢ دار المعارف بمصر ١٩٥٧.

في المجاز[1]

المجاز مشتق من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه، سَمّوا به اللّفظ الذي يُعدَلُ به عمّا يوجبه أصلُ الوضع، لأنهم جازوا به موضعه الأصلي.

والمجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفاً بصفة حسيّة تكاد تعرضه على عيان السامع، لهذا شغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ. ولما فيها من الدقة في التعبير فيحصل للنفس به سرور وأريحيّة، ولأمر ما كثر في كلامهم حتى أَتَوْا فيه بكل معنى رائق، وزيَّنوا به خطبهم وأشعارهم ـ وفي هذا الباب مباحث.

---

(١) أقول إن المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم بين الناس، وهذا يقع ضرورة لا بد منها. فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو حقيقة له، فإذا نقل إلى غيره صار مجازاً. وأنواع المجاز كثيرة أهمها المجاز العقلي وقد تقدم الكلام عليه في صحيفة ٤٩ والمجاز المرسل وهو المقصود بالذّات في هذا الباب.



المبحث الأول

في المجاز وأنواعه

المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.

والعلاقة[1] بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المُشابهة وقد تكون غيرها، فإذا كانت المشابهة فهو استعارة، وإلّا فهو مجاز مرسل والقرينة قد تكون لفظية، وقد تكون حالية، كما سيأتي.

وينقسم إلى أربعة أقسام: مجاز مفرد مُرسل، ومجاز مفرد بالإستعارة ومجاز مركب مُرسل، ومجاز مركّب بالإستعارة.

---

(١) العلاقة هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه سميت بذلك لأن بها يتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالأول فينتقل الذهن من الأول للثاني، وباشتراط ملاحظة العلاقة يخرج الغلط كقولك خذ هذا الكتاب مشيراً إلى فرس مثلاً، إذ لا علاقة هنا ملحوظة.

المبحث الثاني

في المجاز المفرد المُرسل

المجاز المرسل هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة[1] غير المشابهة مع قرينة[2] دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي، وله علاقات كثيرة أهمُها:

١ ـ السَّببية: هي كون الشيء المنقول عنه سبباً ومُؤثراً في غيره. نحو رَعَت الماشية الغيث، أي النَّبات، لأن الغيث أي المطر سبَبٌ فيه[3] وقرينته لفظيّة وهي رعت، لأن العلاقة تُعتبَر من جهة المعنى المنقول عنه.

---

(١) القرينة هي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلاً على أنه أراد باللفظ غير ما وضع له، وبتقييد القرينة بمانعة الخ خرجت الكناية فإن قرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، والقرينة إما لفظية أو حالية. فاللفظية هي التي يلفظ بها في التركيب، والحالية هي التي تفهم من حال المتكلم أو من الواقع.
وأما القرينة التي تعين المراد من المجاز فليست شرطاً.

(٢) سمي مرسلاً لإطلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة، بل له علاقات كثيرة، واسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التي تذكر في الجملة ـ وليس المقصد من العلاقة إلا بيان الارتباط والمناسبة، فالفطن يرى ما يناسب كل مقام. وقيل سمّي مرسلاً لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة.

(٣) كقول الشاعر:

له أيادٍ عليّ سابغة ... أُعَدُّ منها ولا أُعدِّدُها

قامتْ تُظَلّلني من الشمس ... نَفْسٌ أحبُّ إليَّ من نفسي

قامتْ تُظَلّلني ومِنْ عَجَبٍ ... شمس تظلّلني من الشمس

فائدة: القصد من العلاقة إنما هو تحقيق الارتباط، والذكي يعرف مقال كل مقام ثم إن العلاقة: قيل تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه الذي هو الحقيقي، وقيل تعتبر من جهة المعنى المنقول إليه لأنه المراد، وقيل تعتبر من جهتهما رعاية لحقيهما.
واعلم أن اللفظ الواحد قد يكون صالحاً بالنسبة إلى معنى واحد لأن يكون مجازاً مرسلاً، واستعارة باعتبارين.

٢ ـ والمسببية: هي أن يكون المنقول عنه مُسبَّباً وأثراً لشيء آخر نحو: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣] أي مطراً يُسبِّبُ الرِّزق.

٣ ـ والكُلية: هي كون الشيء مُتضمِّناً للمقصود ولغيره. نحو ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩] أي أناملهم، والقرينة حالية، وهي استحالة ادخال الأصبع في الأذن.

ونحو: شربت ماء النيل، والمراد بعضه، بقرينة شربت.

٤ ـ والجزئية: هي كون المذكور ضمن شيء آخر، نحو: نشر الحاكم عيونه في المدينة، أي الجواسيس، فالعيون مجازٌ مرسل، علاقته الجزئية لأن كل عين جزءٌ من جاسوسها، والقرينة الإستمالة.

وكقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

٥ ـ والْلازميَّة: هي كون الشيء يجب وجوده عند وجود شيء آخر نحو: طلع الضَّوء، أي الشمس. فالضوء مجاز مرسل. علاقته الْلازمية لأنه يوجد عند وجود الشمس، والمعتبر هنا اللزوم الخاص وهو عدم الإنفكاك.

٦ ـ والملزومية: هي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر نحو: ملأت الشَّمسُ المكانَ، أي الضَّوء، فالشمس مجاز مرسل علاقته الملزومية، لأنها متى وُجدت وُجد الضوء، والقرينة «ملأت».

٧ ـ والآلية: هي كون الشيء واسطة لإيصال أثر شيء إلى آخر، نحو: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤] أي ذكراً حسناً، فلسان بمعنى ذِكْر حسن، مجاز مرسل، علاقته الآليَّة لأنَ اللّسان آلة في الذكر الحسن.

٨ ـ والإطلاق: هو كون الشيء مُجرداً من القيود، نحو قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] أي عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ. فالرقبة مجاز مرسل، علاقته الإطلاق. فإن المراد منها المؤمنة. وإطلاق الرَّقبة على جميع الجسم مجاز مرسل. علاقته الجزئية.

٩ ـ والتّقييد: هو كون الشيء مُقَيّداً بقيد أو أكثر. نحو: ما أَغْلَظَ جَحْفَلَةَ زَيد، أي شَفَتَه. فجحفلة زَيد مجاز مرسل، علاقته التّقييد، لأنها مقيدة بشفة الفرس.

١٠ ـ والعموم: هو كون الشيء شاملاً لكثير، نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ

ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤]. أي «النبي» ﷺ. فالناس مجاز مرسل علاقته العموم، ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فإن المراد من الناس واحد. وهو نعيم بن مسعود الأشجعي.

١١ ـ والخصوص، هو كون اللفظ خاصاً بشيء واحد كإطلاق اسم الشخص على القبيلة، نحو ربيعة. وقريش.

١٢ ـ واعتبار ما كان: هو النظر إلى الماضي، نحو: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٢] أي الّذين كانوا يتامى، ثم بلغوا، فاليتامى مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان ومثل هذا قول من شرب القهوة: خُذ الملآن.

١٣ ـ واعتبار ما يَكون: هو النظر إلى المستقبل. نحو: طحنت خبزاً أي حبًّا يَؤول أمره إلى أن يكون خبزاً، فخبزاً مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يؤول إليه، ومثله﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦] أي عصيراً يؤول أمره إلى خمر لأنه حال عصره لا يكون خمراً، فالعلاقة هنا اعتبار ما يؤول إليه. ونحو: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧] والمولود حين يولد لا يكون فاجراً ولا كفاراً، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة، فأطلق المولود الفاجر وأُريدَ به الرجل الفاجر، والعلاقة اعتبار ما يكون.

١٤ ـ والحاليّة: هي كون الشيء حالّاً في غيره. نحو ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧] المُراد من الرَّحمة الجنة التي تحل فيها الرّحمة، فرحمة مجاز مرسل، علاقته الحالية، ومثله فلان جالس في سرور.

١٥ ـ والمحليّة: هي كون الشيء يحُلُّ فيه غيره ـ كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق: ١٧] أي أهل ناديه، وكقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧] والقول بالألسنة.

١٦ ـ والبَدلية: هي كون الشيء بدلاً عن شيء آخر، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ والمراد الأداء.

١٧ ـ والمُبدلية: هي كون الشيء مُبدلاً منه شيء آخر، نحو أكلت دَم زيد، أي دِيَتَهُ. فالدَّم مجاز مرسل. علاقته المبدلية، لأن الدَّمَ مُبدل عنه الدِّيَةَ.

١٨ ـ والمُجاوَرة: هي كون الشّيء مُجاوراً لشيء آخر، نحو كلّمت الجدار والعمود، أي الجالس بجوارهما، فالجدار والعمود مجازان مرسلان علاقتهما المجاورة.

١٩ ـ والتعلُّق الإشتقاقي، هو إقامة صيغة مقام أخرى، وذلك:

أ ـ كإطلاق المصدر على المفعول في قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] أي مصنوعه.

ب ـ وكإطلاق الفاعل على المصدر في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢] أي تكذيب.

جـ ـ وكإطلاق الفاعل على المفعول في قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٤٣] أي لا معصوم.

د ـ وكإطلاق المفعول على الفاعل في قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] أي ساتراً.

والقرينة على مجازية ما تقدّم هي ذكر ما يمنع إرادة المعنى الأصلي.

نَمُوذَجٌ

١ ـ أَبَا الْمِسْكِ أَرْجو مِنْكَ نَصْراً عَلى الْعِدَا ... وَآمُلُ عِزًّا يَخْضِبُ الْبِيضَ بِالدَّمِ[1]

وَيَوْماً يَغِيظُ الْحَاسِدِينَ وَحَالَةً ... أُقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مُقَامَ التَّنَعُّمِ[2]

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

٣ ـ ذهبنا إلى حديقة غَنّاء.

٤ ـ بَنى إسماعيلُ كثيراً من المدارس بمصر.

٥ ـ تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنونُهَا ... إِذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِرُقْيَةِ طَالِبِ[3]

الإجابة

أ ـ عِزًّا يخْضب البيض بالدم.

إسناد خَضْب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقي، لأن العز لا يخضب السيوف، ولكنّهُ سبب القوة، وجمع الأبطال الذين يخضبون السيوف بالدم، ففي العبارة مجاز عقليّ علاقته السببية.

ب ـ ويوماً يغيظُ الحاسدين.

---

(١) أبو المسك كنية كافور الأخشيدي، والبيض السيوف، يقول أرجو منك أن تنصرني على أعدائي، وأن توليني عزاً أتمكن به منهم، وأخضب سيوفي بدمائهم.

(٢) يقول وأرجو أن أبلغ بك يوماً يغتاظ فيه حسادي لما يرون من إعظامك لقدري وكذلك أرجو أن أبلغ حالة تساعدني على الانتقام منهم، فأتنعمّ بشقائي في حربهم.

(٣) يعوذها يحصّنها، والرُّقية العوذة، جمعها رُقًى.





المبحث الثالث

في المجاز المفرد بالإستعارة

الإستعارة في اللغة من قولهم، استعار المال إذا طلبه عارية وفي اصطلاح البيانيين: هي استعمال اللّفظ في غير ما وضع له لعلاقة المُشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي. والإستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً؛ لكنها أبلغ منه[1] كقولك: رأيت أسداً في المدرسة. فأصل هذه الإستعارة رَأيت رجلا شجاعاً كالأسد في المدرسَة، فحذفتَ المشبه «رجلاً» والأَداة الكاف ـ ووجه الشبه «الشجاعَة» وألحقتَه بقرينة «المدرسَة» لتدلّ على أنك تريد بالأسد شُجاعاً.

وأركان الإستعارة ثلاثة:

١ ـ مستعار منه ـ وهو المشبه به.

٢ ـ ومستعار له ـ وهو المشبه.

} ويقال لهما الطرفان.

٣ ـ ومستعار ـ وهو اللفظ المنقول.

ولا بُدّ فيها من عدم ذكر وجه الشبه ولا أداة التشبيه، بل ولا بُدّ أيضاً من تناسي التّشبيه الذي من أجله وقعت الإستعارة فقط مع ادّعاء أن المشبه عين المشبه به، أو ادّعاء أنّ المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلّي بأن يكون اسم جنس أو عَلَم جنس ولا تتأتّى الإستعارة في العَلَمِ الشخصي[2] لعدم إمكان دخول شيء في

---

(١) فأصل الاستعارة تشبيه حُذِف أحد طرفيه ووجه شبهه وأداته ـ ولكنها أبلغ منه لأن التشبيه مهما تناهى في المبالغة فلا بد فيه من ذكر المشبه والمشبه به. وهذا اعتراف بتباينهما. وأن العلاقة ليست إلا التشابه والتّداني فلا تصل إلى حد الاتحاد. بخلاف الاستعارة ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج. وأن المشبه والمشبه به صارا معنى واحداً يصدق عليهما لفظ واحد ـ فالاستعارة مجاز علاقته المشابهة.

واعلم أنّ حسن الاستعارة «غير التخييلية» لا يكون إلا برعاية جهات التشبيه وذلك بأن يكون وافياً بإفادة الغرض منه لأنها مبنية عليه فهي تابعة له حسناً وقبحاً.

(٢) يعني أن الاستعارة تقتضي إدخال المشبه في جنس المشبه به. ولذلك لا تكون عَلَماً لأن الجنس يقتضي العموم، والعَلَم ينافي ذلك بما فيه من التشخيص إلا إذا كان العلم يتضمن =

الحقيقة الشخصيّة، لأنّ نفس تصوّر الجزئي يمنع من تصوّر الشّركة فيه، إلا إذا أفاد العلَم الشخصي وصفاً به يصحّ اعتباره كلّياً فتجوز استعارته كتضمُّن «حاتم» للجود و «قُس» للفصاحَة، فيقال. رأيت حاتماً وقُسًّا بدعوى كليّه حاتم وقسّ ودخول المشبه في جنس الجواد، والفصيح.

وللاستعارة أجمل وقع في الكتابة لأنها تُجدي الكلام قوة، وتكسوه حسناً ورونقاً، وفيها تثار الأهواء والإحساسات.

= وصفيّة قد اشتهر بها «كسَحبان» المشهور بالفصاحة فيجوز فيه ذلك لأنه يستفيد الجنسية من الصفة نحو سمعتُ اليوم سَحبان. أي خطيباً فصيحاً، وهلم جرّا.

المبحث الرابع

في تقسيم الإستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين

إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط فاستعارة تصريحية أو مصّرحة(١) نحو:

فأمطرتْ لُؤلؤاً من نَرْجِس وسقَتْ ... ورداً وَعضَّتْ على العُنّاب بالبَرَد

فقد استعار اللّؤلؤ، والنّرْجسَ، وَالوَرد، والعُنّاب، والبَرَد. للدموع والعيون، والخدود، والأنامل، والأسنان.

وإذا ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط، وحذف فيه المشبه به، وأشير إليه بذكر لازمه المُسَمَّى «تخييلاً» فاستعارة مكْنيّة(٢) أو بالكناية، كقوله:

---

(١) معنى تصريحية أي مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به المراد به المشبه ومعنى مكنية أي مخفي فيها لفظ المشبه به استغناء بذكر شيء من لوازمه، فلم يذكر فيها من أركان التشبيه سوى المشبه.

(٢) أي وهذا مذهب السلف، وصاحب الكشاف[١٤٢] وأما مذهب السكّاكي[١٤٣] فظاهر كلامه يشعر بأن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه، أي كلفظ المنية في نحو «أظفار المنية نشبت بفلان» المستعمل في المشبه به بادعاء أنه عينه.

وبيان ذلك أنه بعد تشبيه معنى المنية وهو الموت بمعنى السبع، تدّعي أن المشبه عين المشبه به. وحينئذٍ يصير للمشبه به فردان ـ أحدهما حقيقي والآخر ادعائي فالمنيَّة مراد بها السبع بادعاء السبعية لها، وإنكار أن تكون شيئاً آخر غير السبع بقرينة إضافة الأظفار التي هي من خواص المشبه به وهو السبع، وأنكر السكّاكي التبعية بمعنى أنها مرجوحة عنده، واختار ردها إلى قرينة المكنية، ورد قرينتها إلى نفس المكنية، ففي نطقت الحال مثلاً. يقدر القوم أن نطقت استعارة تبعية والحال قرينة لها، وهو يقول إن الحال استعارة بالكناية ونطقت قرينتها.

وفي كلامه نظر من وجهين:

الأول: إن لفظ المشبه لم يستعمل إلا في معناه الحقيقي فلا يكون استعارة.

الثاني: إنه قد صرح بأن نطقت مستعارة للأمر الوهمي أي المتوهم إثباته للحال تشبيهاً بالنطق الحقيقي فيكون استعارة والاستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعيّة فيلزمه القول بالتبعية، وأجيب =

---

[١٤٢] سبق التعريف به: فالكشاف هو لجار الله الزمخشري.

[١٤٣] سبق التعريف به.

وَإِذَا الـمـنـيّـة أَنْـشَـبَـتْ أَظْـفَـارَهَـا   أَلْـفَـيْـتَ كـلَّ تَـمِـيـمَـةٍ لا تـنـفَـعُ

فقد شبَّه المنيَّة بالسبّع بجامع الاغتيال في كلٍّ، واستعار السبَّع للمنيّة وحذفه ورمزَ إليه بشيء من لوازمه وهو الأظفار على طريق الإستعارة المكنية الأصليَّة، وقرينتها لفظة «أظفار» ثم أخذ الوهمُ في تصوير المنية بصورة السبع، فاخترع لها مثل صورة الأظفار، ثم أطلق على الصورة التي هي مثل صورة الأظفار لفظ الأظفار.

فتكون لفظة أظفار استعارة تخييلية، لأن المستعار له لفظ أظفار صورة وهمية تشبه صورة الأظفار الحقيقية وقرينتها إضافتها إلى المنية ونظراً إلى أن الإستعارة التخييلية قرينة المكنية فهي لازمة لها لا تفارقها، لأن لا استعارة بدون قرينة.

وإذاً تكون أنواع الإستعارة ثلاثة: تصريحية ومكنية وتخييلية.

= عنه بأجوبة تُطْلَب من المطولات ـ وأما مذهب الخطيب[١٤٤] فإنه يقول: إن الاستعارة بالكناية التشبيه المضمر أركانه سوى المشبه المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه. ويلزم على مذهبه أنه لا وجه لتسميتها استعارة، لأن الاستعارة هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، أو استعمال اللفظ المذكور، والتشبيه غير ذلك بل هو فعل من أفعال النفس.

تنبيه: المشبه في مواد الاستعارة بالكناية لا يجب أن يكون مذكوراً بلفظ المشبه به، فيجوز ذكره بغير لفظه كأن يشبه شيء كالنحافة واصفرار اللون بأمرين كاللباس والطعم المر البشع، ويستعمل لفظ أحد الأمرين فيه، ويثبت له شيء من لوازم الآخر كما في قوله تعالى: **﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾** [النحل: ١١٢] فإنه شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من النحافة واصفرار اللون باللباس لاشتماله على اللابس واشتمال أثر الضرر على من به ذلك، فاستعير له اسمه، وشبه ما غشي الإنسان عند الجوع، أي ما يدرك من أثر الضرر والألم باعتبار أنه مدرك من حيث الكراهية، بما يدرك من الطعم المر البشع، حتى أوقع عليه الإذاقة، فتكون الآية مشتملة على الاستعارة المصرحة نظراً إلى الأول، والمكنية نظراً إلى الثاني، وتكون الإذاقة تخييلاً بالنسبة للمكنية، وتجريداً بالنسبة إلى المصرحة لأنها تلائم المشبه وهو النحافة والاصفرار لأنها مستعارة للإصابة، وكثرت فيها حتى جرت مجرى الحقيقة، ويقال: شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر باللباس، بجامع الاشتمال في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

وطريق إجراء الاستعارة الثانية أن يقال: شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر بالطعم المر البشع بجامع الكراهة في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ثم حذف وأثبت له شيء من لوازمه وهو الإذاقة على سبيل الاستعارة المكنية وإثبات الإذاقة تخييل، وطريق إجراء الثالثة أن يقال شبهت الإذاقة المتخيلة بالإذاقة المتحققة واستعيرت المتحققة للمتخيلة على سبيل الاستعارة التخييلية على مذهب السكّاكي.

---

[١٤٤] الخطيب القزويني: جلال الدين (المتوفى سنة ١٣٣٨م)، من كتبه تلخيص المفتاح للسكاكي والإيضاح في شرح التلخيص. شغل منصب قاضي القضاة في مصر ودمشق.

المبحث الخامس

في الإستعارة باعتبار الطّرفين(١)

إن كان المستعار له مُحقَّقاً حِسًّا، بأن يكون قد نُقل إلى أمر معلوم يُمكن أن

---

(١) اعلم أن المذاهب في التخييلية أربعة:
الأول: مذهب السلف والخطيب وهو أن جميع أفراد قرينة المكنية مستعملة في حقيقتها، والتجوز إنما هو في الإثبات لغير ما هو له المسمى استعارة تخييلية، فهما متلازمان، وهي من المجاز العقلي.
الثاني: مذهب السكاكي وهو أن قرينة المكنية تارة تكون تخييلية أي مستعارة لأمر وهمي كأظفار المنية، وتارة تكون تحقيقية أي مستعارة لأمر محقق «كابلعي ماءك» وتارة تكون حقيقة «كأنبت الربيع البقل» فلا تلازم بين التخييلية والمكنية بل يوجد كل منهما بدون الآخر ـ وقد استدل السكاكي على انفراد التخييلية عن المكنية بقوله:

لا تسقني ماء الملام فإنني ... صبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بكائي

فإنه قد توهم أن للملامة شيئاً شبيهاً بالماء واستعار اسمه له استعارة تخييلية غير تابعة للمكنية، ورده العلامة الخطيب بأن لا دليل له فيه لجواز أن يكون فيه استعارة بالكناية فيكون قد شبه الملام بشيء مكروه له ماء. وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الماء على طريق التخييل.
وأن يكون من باب إضافة المشبه به إلى المشبه والأصل لا تسقني الملام الشبيه بالماء وأيضاً لا يخفى ما في مذهب السكاكي من التعسف أي الخروج عن الطريق الجادة لما فيه من كثرة الاعتبارات، وذلك أن المستعير يحتاج إلى اعتبار أمر وهمي، واعتبار علاقة بينه وبين الأمر الحقيقي. واعتبار قرينة دالة على أن المراد من اللفظ الأمر الوهمي، فهذه اعتبارات ثلاثة لا يدل عليها دليل، ولا تمس إليها حاجة.
الثالث: مذهب صاحب الكشاف وهو أنها تكون تارة تحقيقية أي مصرحة وتارة تكون تخييلية أي مجازاً في الإثبات.
الرابع: مذهب صاحب السمرقندية[١٤٥] وهو مثل مذهب صاحب الكشاف غير أن الفرق بينهما أن مدار الأقسام عند صاحب الكشاف على الشيوع وعدمه وعند صاحب السمرقندية =

---

[١٤٥] صاحب السمرقندية: أبو القاسم الليثي (المتوفى سنة ١٤٨٣م) فقيه وعالم باللغة والأدب، والرسالة السمرقندية من كتبه وله أيضاً: بلوغ الأرب من تحقيق استعارات العرب.

يُشار إليه إشارة حِسِّيَّة، كقولك: رأيت بحراً يُعطي، أو كان المستعار له مُحققاً عقلاً. بأن يمكن أن ينصّ عليه ويشار إليه إشارة عقليّة، كقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] أي الدِّين الحقَّ فالإستعارة تحقيقية.

وإن لم يكن المستعار له محققاً لا حِسًّا ولا عقلاً، فالإستعارة تخييليَّةٌ وذلك كالأظفار في قولك: أنشبت المنيّة أظفارها بفلان؛ فإنه لما شبهّت المنية بالسَّبُع أخذت القوة المفكّرة تتخيل للمنيّة صورة شبيهَة بالأظفار فشُبهّت الصورة المتخيلة بالصورة المحقَّقة، واستُعير لفظ الأظفار من الصورة المحقّقة إلى الصورة المتخيلة على طريق الإستعارة التّخييلية وسميت تخييليّة لأنَّ إثبات الأظفار للمشبه خُيل اتحاده مع المشبه به وحينئذٍ، التّخييليّة لا تفارق المكنيّة لأنها قرينتُها، ولا استعارة بدون قرينة كما سبق هذا إذا كان لازم المشبه به في المكنية واحداً، أما إذاكانت اللوازم متعدّدة فيكون أقواها لزوماً قرينةً لها، وما عداه ترشيح وتقوية لها، كما سيأتي.

= على الإمكان وعدمه.

تنبيه: الفرق بين ما يجعل قرينة للمكنية ويجعل نفسه تخييلاً على مذهب السكاكي، أو استعارة تحقيقية على مذهب صاحب الكشاف في بعض المواد ـ وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك، أو إثباته تخييلاً على مذهب السلف وصاحب الكشاف في بعض المواد، وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك، وبين ما يحصل زائداً عليها قوة الاختصاص أي الارتباط بالمشبه به، فأيهما أقوى ارتباطاً به فهو القرينة وما سواه ترشيح،وذلك كالنشب في قولك. مخالب المنية نشبت بفلان، فإن المخالب أقوى اختصاصاً وتعلقاً بالسبع من النشب لأنها ملازمة له دائماً بخلاف النشب.

المبحث السادس

في الإستعارة باعتبار اللفظ المستعار

١ ـ إذا كان اللفظ المستعار «اسماً جامداً لذات» كالبدر إذا استعير للجميل «أو اسماً جامداً لمعنى» كالقتل إذا استعير للضرب الشديد سميت الإستعارة «أصلية» كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[1] [إبراهيم: ١] وكقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[2] [الإسراء: ٢٤] وسُميتْ أصليّة لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر مُعتبرٍ أوَّلاً.

٢ ـ وإذا كان اللّفظ المُستعار فعلاً[3] أو اسم فعل، أو اسماً مشتقاً أو حرفاً، أو اسماً مُبهماً، فالإستعارة «تصريحية تبعية».

---

(١) يقال في إجراء الاستعارة في الآية الأولى: شبهت الضلالة بالظلمة بجامع عدم الاهتداء في كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الظلمة للمشبه وهو الضلالة على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

(٢) ويقال في إجراء الاستعارة في الآية الثانية: شبه الذل بطائر واستعير لفظ المشبه به وهو الطائر للمشبه وهو الذل، على طريق الاستعارة المكنية الأصلية ثم حذف الطائر، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح.

(٣) مثال الاستعارة التصريحية في الفعل: نطقت الحال بكذا، وتقريرها أن يقال شبهت الدلالة الواضحة بالنطق بجامع إيضاح المعنى في كل، واستعير النطق للدلالة الواضحة، واشتق من النطق بمعنى الدلالة الواضحة نطقتُ بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ونحو: يُحيي الأرض بعد موتها. يقدر تشبيه تزيينها بالنبات ذي الخضرة والنضرة، بالإحياء بجامع الحسن أو النفع في كل، ويستعار الإحياء للتزيين، ويشتق من الإحياء بمعنى التزيين يُحْيي بمعنى يُزَيّن، استعارة تبعية لجريانها في الفعل تبعاً لجريانها في المصدر، هذا إذا كانت الاستعارة في الفعل باعتبار مدلول صيغته، أي مادته وهو الحدث، وأما إذا كانت باعتبار مدلول هيئته وهو الزمن كما في قوله تعالى: ﴿**أتى أمر الله**﴾ [النحل: ١] فتقريرها أن يقال شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجامع تحقق الوقوع في كل، واستعير الإتيان في الماضي للإتيان في المستقبل واشتق منه أتى بمعنى يأتي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ونحو: ﴿**ونادى أصحاب الجنة**﴾ [الأعراف: ٤٤] أي ينادي ـ شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي بجامع تحقق الوقوع في كل، ثم استعير لفظ النداء في الماضي للنداء في =

٣ ـ وإذا كان اللفظ المستعار اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً، دون باقي أنواع التبعيّة المتقدمة، فالإستعارة «تبعيّة مكنيّة».

= المستقبل، ثم اشتق منه نادى بمعنى ينادي ـ ونحو قوله تعالى: ﴿**من بعثنا من مرقدنا**﴾ [يّس: ٥٢] إن قدّر المرقد للرقاد مستعاراً للموت. فالاستعارة أصلية ـ وإن قدّر لمكان الرّقاد مستعاراً للقبر، فالاستعارة تبعية لأنها في اسم المكان، فلا يستعار المرقد للقبر إلاَّ بعد استعارة الرقاد للموت، ومثال الاستعارة في اسم الفاعل: زيد قاتلٌ عمراً، إذا كان عمرو مضروباً ضرباً شديداً، ومثالها في اسم المفعول: عمرو مقتول لزيد، إذا كان ضارباً لعمرو ضرباً شديداً وإجراء الاستعارة فيهما أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع شدة الإيذاء في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد قاتل أو مقتول بمعنى ضارب أو مضروب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ومثالها في الصفة المشبهة: هذا حسن الوجه مشيراً إلى قبيحه، وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبه القبح بالحسن، بجامع تأثر النفس في كل، واستعير الحسن للقبح تقديراً، واشتق من الحسن بمعنى القبح حَسَن بمعنى قبيح على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية ومثال الاستعارة في أفعل التفضيل: هذا أقتل لعبيده من زيد، أي أشد ضرباً لهم منه، ومثال اسم الزمان والمكان: هذا مقتل زيد، مشيراً إلى مكان ضربه أو زمانه، ومثال اسم الآلة: هذا مفتاح الملك، مشيراً إلى وزيره، وإجراؤها أن يقال: شبهت الوزارة بالفتح للأبواب المغلقة بجامع التوسل إلى المقصود في كل، واستعير الفتح للوزارة، واشتق منه مفتاح بمعنى وزير، ومثال اسم الفعل المشتق: نزال بمعنى أنزل. تريد به أبعد. فتقول شبه معنى البعد بمعنى النزول بجامع مطلق المفارقة في كل واستعير لفظ النزول لمعنى البعد واشتق منه نزال بمعنى أبعد، ومثال اسم الفعل غير المشتق «صه» بمعنى اسكت عن الكلام، تريد به اترك فعل كذا، فتقول شبه ترك الفعل بمعنى السكوت، واستعير لفظ السكوت لمعنى ترك الفعل، واشتق منه اسكت بمعنى اترك الفعل، وعبّر بدل اسكت بصه، ومثال المصغر «رُجَيْلٌ» لمتعاطي ما لا يليق، ومثال المنسوب «قُرشيّ» للمتخلق بأخلاق قريش وليس منهم، ومثال الاستعارة في الحرف قوله تعالى: ﴿**فالتَقَطَه آلُ فرعونَ ليكونَ لهمْ عدوّاً وحَزَناً**﴾ [القصص: ٨] وإجراؤها أن يقال شبهت المحبة والتّبني بالعداوة والحزن اللّذين هما العلة الغائية للالتقاط بجامع مطلق الترتب واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. واعلم أن اللاّم لم تستعمل في معناها الأصلي وهو العلّة لأن علّة التقاطهم له أن يكون لهم ابناً، وإنّما استعملت مجازاً لعاقبة الالتقاط، وهي كونه لهم عدواً، فاستُعيرت العلّة للعاقبة بجامع أن كلاً منهما مترتب على الالتقاط. ثم استعيرت اللاّم تبعاً لاستعارتها، فالمستعار منه العلة. والمستعار له العاقبة. والترتب على الالتقاط هو الجامع. والقرينة على المجاز استحالة التقاط الطفل ليكون عدواً، وقوله تعالى: ﴿**ولأُصَلّبنّكم في جذوعِ النّخل**﴾ [طه: ٧١] وإجراؤها أن يقال: شبه =

وسُمِّيت تبعيّةً لأن جريانَها في المشتقَات والحروف تابعٌ لجريانها أوّلاً في الجوامد، وفي كلِّيات معاني الحروف، يعني أنّها سُمِّيت تبعيَّةً لتبعيَّتها لاستعارة أخرى لأنها في المشتقات تابعةٌ للمصادر، وفي معاني الحروف تابعةٌ لمتعلَّق معانيها، إذ معاني الحروف جزئية لا تُتَصوّر الإستعارة فيها إلّا بوَاسطة كُلّيٍّ مُستقلّ بالمفهوميّة ليتأتّى كونها مُشبَّهاً ومشبَّهاً بها، أو محكوماً عليها أو بها، نحو: ركب فلان كتِفَيْ غريمه[1] أي لازمه ملازمة شديدة.

وكقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [البقرة: ٦] أي تمكنوا من الحصول

= مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف فاستعير لفظ «في» الموضوع لكل جزئي من جزئيات الظرفية لمعنى «على» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ومثال المكنية التبعية في الاسم المشتق يعجبني إراقة الضارب دم الباغي، وإجراء الاستعارة أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء في كل، واستعير القتل للضرب الشديد، واشتق من القتل قاتل بمعنى ضارب ضرباً شديداً، ثم حذف وأثبت له شيء من لوازمه وهو الإراقة على سبيل الاستعارة المكنية التبعية، ومثالها في الاسم المبهم قولك لجليسك المشغول عنك: أنت مطلوب منك أن تسير إلينا الآن، مُطْلَق مخاطب بمطلقِ غائب فسرى التشبيه للجزئيات واستعير الثاني للأول، ثم استعير بناء على ذلك ضمير الغائب للمخاطب، وحذف وذكر المخاطب ورمز إلى المحذوف بذكر لازمه وهو طلب السير منه إليك، وإثباته له تخييل.

واعلم أن استعارة الأسماء المبهمة أعني الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات تبعية لأنها ليست باسم جنس لا تحقيقاً ولا تأويلاً، ولأنها لا تستقل بالمفهومية لأن معانيها لا تتم ولا تصلح لأن يحكم عليها بشيء ما لم تصحب تلك الألفاظ في الدلالة عليها ضميمة تتم بها، كالإشارة الحسية والصلة والمرجع، فلا بد أن تعتبر التشبيه أولاً في كليات تلك المعاني الجزئية، ثم سريانه فيها لتبنى عليه الاستعارة، مثلاً في استعارة لفظ «هذا» لأمر معقول يشبه المعقول المطلق في قبول التمييز فيسري التشبيه إلى الجزئيات فيستعار لفظ هذا من المحسوس الجزئي للمعقول الجزئي الذي سرى إليه التشبيه فهي تبعية، والاستعارة في الضمير والموصول كالتعبير عن المذكر بضمير المؤنث أو بموصولها عنه لشبهه بها، أو عكسه، فتشبه المذكر المطلق بالمؤنث المطلق فيسري التشبيه فتستعير الضمير أو الموصول للجزء الخاص.

(١) يقال في إجرائها شبه اللزوم الشديد بالركوب بجامع السلطة والقهر، واستعير لفظ المشبه به وهو الركوب للمشبه وهو اللزوم، ثم اشتق من الركوب بمعنى اللزوم ركب بمعنى لزم على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

على الهداية التّامّة[1] ونحو أَذَقْتهُ لِباسَ الْمَوْتِ[2] أي ألبسته إياه.

تنبيهات ـ **الأول**: كل تبعية قرينتها مكنيّة.

الثاني: إذا أُجريت الإستعارة في واحدة منهما امتنع أجراؤها في الأخرى.

الثالث: تقسيم الإستعارة إلى أصلية وتبعية عام في كل من الإستعارة التصريحية والمكنية.

---

(١) يقال في إجرائها: شبه مطلق ارتباط بين مهدي وهدى ـ بمطلق ارتباط بين مُسْتَعْلٍ ومستعلى عليه بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات ثم استعيرت «على» من جزئي من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

(٢) يقال في إجرائها شبهت الإذاقة بالإلباس، واستعير الالباس للإذاقة واشتق منه ألبس بمعنى أذاق على طريق الاستعارة المكنية التبعية، ثم حذف لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اللباس.

في تقسيم الإستعارة المصرحة باعتبار الطرفين إلى عنادية ووفاقية

فالعنادية: هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لتنافيهما.

والوفاقية: هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لعدم التنافي. مثالهما قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي ضالّاً فهديناه ففي هذه الآية استعارتان.

الأَولى: في قوله «ميتاً» شبه الضلال بالموت بجامع ترتب نفي الانتفاع في كل واستعير الموت للضلال، واشتق من الموت بمعنى الضلال ميتاً بمعنى ضالاً، وهي عنادية لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء واحد.

والثانية: استعارة الإحياء للهداية وهي وفاقية، لإمكان اجتماع الإحياء والهداية في الله تعالى.

ثم العنادية قد تكون تمليحية، أي المقصود منها التمليح والظّرفة، وقد تكون تهكميّة، أي المقصود منها التهكم والإستهزاء، بأن يُستعمل اللّفظ في ضدّ معناه، نحو رأيت أسداً، تريد جباناً، قاصداً التّمليح والظّرافة، أو التهكم والسّخرية: وهما اللّتان نزّل فيهما التضاد منزلة التناسب نحو ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الإنشقاق: ٢٤] استعيرت البشارة التي هي الخبر السار للإنذار الذي هو ضده بإدخال الإنذار في جنس البشارة على سبيل التهكم والإستهزاء.

المبحث الثامن

في تقسيم الإستعارة باعتبار الجامع

الإستعارة المصرحة باعتبار الجامع نوعان[1]:

---

(١) «ينقسم الجامع» إلى داخل وخارج ـ فالأول ـ ما كان داخلاً في مفهوم الطرفين نحو قوله تعالى: ﴿**وقطعناهم في الأرض أمماً**﴾ [الأعراف: ١٦٨] فاستعير التقطيع الموضوع لإزالة الاتصال بين الأجسام الملتصق بعضها ببعض. لتفريق الجماعة وإبعاد بعضها عن بعض، والجامع إزالة الاجتماع. وهي داخلة في مفهومها. وهي في القطع أشد **والثاني**: وهو ما كان خارجاً عن مفهوم الطرفين نحو: رأيتُ أسداً، أي رجلاً شجاعاً، فالجامع وهي الشجاعة أمر عارض للأسد لا داخل في مفهومه.

وينقسم أيضاً باعتبار الطرفين والجامع إلى ستة أقسام لأن الطرفين إما حسّيان أو عقليان، أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي أو بالعكس، والجامع في الأول من الصور الأربع تارة يكون حسياً وتارة يكون عقلياً وأخرى مختلفاً، وفي الثلاث الأخيرة لا يكون إلا عقلياً، مثال ما إذا كان الطرفان حسّيين والجامع كذلك قوله تعالى: ﴿**فأخرج لهم عجلاً جسداً له خُوار**﴾ [الأعراف: ١٤٨] فإن المستعار منه وهو ولد البقرة، والمستعار له وهو المصوغ من حُلى القبط بعد سبكها بنار السّامري والقاء التراب المأخوذ من أثر فرس جبريل عليه والجامع الشكل، فإنه على شكل ولد البقر مما يدرك بحاسة البصر، وبحث بعضهم بأن إبدال جسداً من عجلاً يمنع الاستعارة.

ومثال ما إذا كان الطرفان حسّيين والجامع عقلي، قوله تعالى: ﴿**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار**﴾ [يّس: ٣٧] فإن المستعار منه أعني السلخ وهو كشط الجلد عنِ الشاة ونحوها والمستعار له وهو كشف الضوء عن مكان الليل وهو موضع إلقاء ظله: حسّيان، والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر بحصوله عقبه كترتب ظهور اللحم على الكشط وترتب ظهور الظلمة على إزالة الضوء عن مكان الليل. والترتب عقلي وإجراء الاستعارة: شبّه كشف الضوء عنِ الليل بكشف الجلد عن نحو الشاة، بجامع ترتب ظهور شيء على شيء في كل، واستعير لفظ المشبه به وهو «السلخ» للمشبه وهو كشف الضوء «واشتق منه «نسلخ» بمعنى نكشف عن طريق الاستعارة التصريحية التبعية، ومثال ما إذا كان الطرفان حسّيين والجامع بعضه حسي وبعضه عقلي، قولك: رأيت بدراً يتكلم، تريد شخصاً مثل «البدر» في حُسْن الطلعة وعلو القدر، فحسنُ الطلعة حسّي، وعلو القدر عقلي، مثال ما إذا كان الطرفان عقليين ولا يكون الجامع فيه إلا عقلياً كباقي الأقسام، قوله تعالى: ﴿**مَنْ بَعثَنا مِنْ مَرقَدِنا**﴾ =

١ ـ عاميّة: وهي القريبة المُبتذلة التي لاكَتها الألسنُ فلا تحتاج إلى بحث ويكون الجامع فيها ظاهراً، نحو رأيت أسداً يرمي.

= [يّس: ٥٢] فإن المستعار منه «الرقاد» أي النوم، والمستعار له الموت، والجامع بينهما عدم ظهور الفعل، والجميع عقلي ـ وإجراء الاستعارة شبه الموت بالنوم بجامع عدم ظهور الفعل في كل واستعير لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، وقال بعضهم: عدم ظهور الفعل في الموت أقوى، وشرط الجامع أن يكون في المستعار منه أقوى فليجعل الجامع هو «البعث» الذي هو في النوم أظهر وقرينة الاستعارة أن هذا الكلام كلام الموتى مع قوله: **﴿هذا ما وَعدَ الرحمن وصدق المرسلون﴾** [يّس: ٥٣] وعلى هذا يقال شبه الموت بالرقاد بجامع عدم ظهور الفعل في كل واستعير الرقاد للموت. واشتق منه «مرقد» اسم مكان الرقاد بمعنى قبر اسم مكان الموت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، ومثال ما إذا كان المستعار منه حسياً، والمستعار له عقلياً، قوله تعالى: **﴿فاصدع بما تؤمر﴾** [الحجر: ٩٤] فإن المستعار منه كسر الزجاجة. وهو أمر حسي. والمستعار له التبليغ جهراً والجامع التأثير «أي أظهر الأمر إظهاراً لا ينمحي ـ كما أن صدع الزجاجة لا يلتئم وإجراء الاستعارة شبَّه التبليغ جهراً بكسر الزجاجة بجامع التأثير الشديد في كل واستعير المشبه به وهو «الصدع» للمشبه وهو التبليغ جهراً ـ واشتق منه أصدع بمعنى بلغ جهراً، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، ومثال ما إذا كان المستعار منه عقلياً. والمستعار له حسياً، قوله تعالى: **﴿إنّا لمّا طَغَى الماءُ حملْنَاكم في الجارية﴾** [الحاقة: ١١] فإن المستعار كثرة الماء وهو حسي. والمستعار منه التكبير. والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان، وإجراء الاستعارة: شُبِّهَتْ كثرة الماء المفرطة بمعنى الطغيان، وهو مجاوزة الحد بجامع الاستعلاء المفرط في كل، واستعير لفظ المشبه به وهو الطغيان للمشبه وهو الكثرة المفرطة، واشتق منه طغى بمعنى كثر كثرة مفرطة، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

تنبيه: الاستعارة المكنية تنقسم أيضاً إلى: أصلية وتبعية، وإلى مرشحة ومجردة، ومطلقة، كما انقسمت التصريحية إلى مثل ذلك.

فالمكنية الأصلية: هي ما كان المستعار فيها اسماً غير مشتق كالسبع المتقدم والتبعية: هي ما كان المستعار فيها اسماً مشتقاً فلا تكون في الفعل ولا في الحرف ومثالها في الاسم المشتق. يعجبني إراقة الضارب دم الظَّالم. فقد شبَّه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء في كل واستعير القتل للضرب الشديد. ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الإراقة، على طريق الاستعارة المكنية التبعية، فالاستعارة التخييلية عند الجمهور هي نفس إثبات اللازم المستعمل في حقيقته، وهي من المجاز العقلي وإنما سميت استعارة لأنه استعير ذلك الإثبات من المشبَّه به للمشبَّه وسميت تخييلية لأن إثباته للمشبه خُيِّل اتحادُه مع المشبه به، فقولنا أظفار المنية نشبت بفلان، لفظ «أظفار» في هذا التركيب مستعمَلٌ في حقيقته، وإنما التجوز في إثباته للمنية، أي أن ذلك الإثبات إثبات الشيء إلى غير ما هو له، فعند الجمهور التخييلية لا تفارق المكنية لأنها قرينتها.
=

٢ ـ خاصية: وهي الغريبة التي يكون الجامع فيها غامضاً لا يدركه إلا أصحاب المدارك من الخواص ـ كقول كثير يمدح عبد العزيز بن مروان:

غَمْرُ الرِّداء إذا تبسَّم ضاحكاً ... غلقتْ لضحكته رِقابُ المالِ

غَمْرُ الرِّداء: كثير العطايا والمعروف، استعار الرداء للمعروف لأنه يصون ويستر عرض صاحبه كستر الرِّداء ما يلقى عليه وأضاف إليه الغمر، وهو القرينة على عدم إرادة معنى الثوب، لأن الغمر من صفات المال لا من صفات الثوب.

وهذه الإستعارة لا يظفر باقتطاف ثمارها إلّا ذوو الفِطَر السليمة والخِبرة التَّامة.

= والاستعارة المكنية المرشحة، هي ما قرنت بما يلائم المشبَّه فقط نحو: نَطَق لسان الحال بكذا، شُبِّهَتْ «الحال» بمعنى الإنسان، واستعير لفظ المشبه به للمشبه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «لسان» وإثبات اللسان للحال تخييل وهو القرينة، والنطق ترشيح، لأنه يلائم المشبه به فقط.

والمكنية المجردة: هي ما قرنت بما يلائم المشبه فقط، نحو: نَطَقَت الحالُ الواضحة بكذا، فالوضوح تجريد لأنه يلائم المشبه الذي هو إنسان فقط.

والمكنية المطلقة: هي التي لم تقترن بشيء يلائم المشبه ولا المشبه به، أو قرنت بما يلائمهما معاً، نحو نَطَقَت الحال بكذا، ونطق لسان الحال الواضحة بكذا، ففي **الأول**: شبهت الحال بإنسان واستعير لها اسمه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النطق وإثبات النطق للحال تخييل، وهي مجردة لأنها لم تقترن بشيء يلائمها وفي **الثاني**: شبهت الحال بإنسان واستعير له اسمه، وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «لسان» وإثباته للحال تخييل، وهو القرينة، النطق ترشيح، لأنه يلائم المشبه به والوضوح تجريد لأنه يلائم المشبه، ولما تعارضا سقطا.

وتنقسم المكنية أيضاً إلى عنادية، نحو: أنشبت المنية أظفارها بفلان، لأنه لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد يكون منية وسبعاً، ووفاقية، نحو نَطَقَت الحالُ بكذا، لأنه يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد كالحال مع الإنسان.

المبحث التاسع

في تقسيم الإستعارة باعتبار ما يتصل بها من المُلائِمات وعدم اتّصالها

تنقسم الإستعارة باعتبار ذكر «ملائم المستعار منه» أو باعتبار ذكر «مُلائم المستعار له» أو عدم اقترانها بما يلائم أحدهما إلى ثلاثة أقسام مطْلَقة، ومرشحة، ومجردة.

أ ـ فالمُطْلَقَة: هي التي لم تقترن بملائم أصلاً، نحو: ﴿ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٥] أو ذكر فيها ملائمهما معاً كقول زهير:

لدى أسد شاكي السلاح مُقذَّفٍ ... له لِبَدٌ أظْفارُه لَمْ تُقَلَّمِ

استعار الأسد للرجل الشجاع، وذكر ما يناسب المستعار له في قوله: «شاكي السلاح مقذّف» وهو التجريد، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه في قوله «له لبد أظفاره لم تقلّم» وهو الترشيح، واجتماع التجريد والترشيح يؤدي إلى تعارضهما وسقوطهما فكأن الإستعارة لم تقترن بشيء وتكون في رتبة المطلقة.

ب ـ والمُرَشَّحة: هي التي قُرنَت بملائم المستعار منه «أي المشبه به» نحو: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] استعير الشراء للإستبدال والإختيار. ثم فرّع عليها ما يلائم المستعار منه من الربح والتجارة، ونحو: مَنْ باع دينه بدُنْياه لم تربح تجارتُه، وَسُمِّيَتْ مُرْشحة لترشيحها وتقويتها بذكر المُلائم.

جـ ـ والمجردة: هي التي قرنت بملائم المستعار له «أي المشبه» نحو: رأيت بحراً على فرس يعطي. فيعطي تجريد لأنه يناسب المستعار له الذي هو الرجل الكريم، ونحو، اشترِ بالمعروف عِرْضَك من الأذى، وسميت بذلك لتجريدها عن بعض المبالغة لبُعد المشبه حينئذٍ عن المشبه به بعضَ بُعد، وذلك ببُعد دعوى الاتحاد الذي هو مبني الإستعارة.

ثم اعتبار التّرشيح والتّجريد إنما يكون بعد تمام الإستعارة بقرينتها سواء أكانت القرينة مقالية أم حالية، فلا تُعدّ قرينة المصرحة تجريداً ولا قرينة المكنية ترشيحاً، بل الزائد على ما ذكر.

واعلم أن الترشيح أبلغُ من غيره لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسي التشبيه، وادعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه، لا شيء شبيه به، وكأنّ الإستعارة غير موجودة، والإطلاق أبلغ من التجريد، فالتجريد أضعف الجميع، لأن به تضعف دعوى الاتحاد، وإذا اجتمع ترشيح وتجريد، فتكون الإستعارة في رتبة المُطْلَقَة إذْ بتعارضهما يتساقطان، كما سبق تفصيله وكما يجري هذا التقسيم في التصريحية يجري أيضاً في المكنية.

المبحث العاشر

في المجاز المرسل المركب

المجاز المُرْسل المركب: هو الكلام المُستعمل في غير المعنى الذي وُضع له، لعلاقة غير المشابهة مع قَرِينة مانعة من إرادة معناه الأصلي، ويقع أوّلاً: في المُركّبات الخبرية المستعملة في الإنشاء وعكسه لأغراض كثيرة:

١ ـ منها التحسُّر وإظهار التأسف كما في قول الشاعر:

ذَهَـبَ الـصِّـبـا وتـولّـت الأيـامُ   فَعَلَى الصِّبا وعلى الزَّمان سلام

فإنّه وإن كان خبراً في أصل وضعه إلا أنه في هذا المقام مستعمل في إنشاء التَّحسر والتحزُن على ما فات من الشباب، والقرينة على ذلك الشطر الثاني، وكقول جعفر بن عُلبة الحارِثي:

هَوَايَ مع الرَّكب اليمانينَ مُصْعَدُ   جَنيبٌ وجُثماني بمكَّةَ مُوثَقُ

فهو يشير إلى الأسف والحزن الذي أَلَمَّ به من فراق الأحبة.

ويتحسَّر على ما آل إليه أمره، والقرينة على ذلك حال المتكلم.

٢ ـ ومنها إظهار الضّعف في قوله:

رَبِّ إنِّي لا أستطيع اصطباراً   فاعفُ عنّي يا منْ يقبلُ الْعِثَارَا

٣ ـ ومنها إظهار السُّرور، نحو: كُتِبَ اسمي بين الناجحين.

٤ ـ ومنها الدعاء، نحو: نَجَّحَ اللّهُ مقاصدنا، أيُّها الوطن لك البقَاء.

وثانياً: في المركبات الإنشائيّة كالأمر والنهي والاستفهام التي خرجت عن معانيها الأصلية، واستُعملت في معان أُخَر: كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «من كَذَبَ عَليَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النارِ»[١٤٦].

إذ المرادُ «يتبوّأ مقعده» والعلاقة في هذه السَّببيَّة والمسببيَّة، لأن إنشاء المتكلم للعبارة سبب لإخباره بما تتضمنُه، فظاهره أمر، ومعناه خبر.

---

[١٤٦] صحيح مسلم/ كتاب المقدم/ باب: تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ الحديث الرابع وصحيح البخاري/ كتاب العلم باب: إثم من كذب على النبي ﷺ دون كلمة: «متعمداً».

المبحث الحادي عشر

في المجاز المركب[1] بالاستعارة التّمثيليّة

المجاز المركب بالاستعارة التَّمثيلية هو تركيب استعمل في غير ما وُضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة مُنتزعة من متعدّد، وذلك بأن تشبَّه إحدى صورتين مُنتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ثم تُدخِل المشبَّه، في الصُورة المشبه بها، مُبالغة في التشبيه، ويُسمَّى بالاستعارة التَّمثيليّة[2] نحو: الصَّيفَ ضيَّعَتِ اللَّبَنَ، يُضرب لمن فرَّط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه في زمن لا يمكنه الحصول عليه[3] فيه ونحو: إني أراكَ تُقَدِّمُ رِجْلاً وتؤخِّرُ أُخرى، يُضرب لمن يتردّد

---

(١) المجاز المركب هو تركيب استعمل في ما يشبّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل.

(٢) سميت تمثيلية مع أن التمثيل عام في كل استعارة للإشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلاً، إذ هي مبنيّة على تشبيه التمثيل. ووجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد ـ لهذا كان أدق أنواع التشبيه، وكانت الاستعارة المبنيّة عليه أبلغ أنواع الاستعارات، ولذلك كانا غرض البلغاء.

(٣) أصل المثل أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غني فَطَلَبَتْ طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه، فطلقها وتزوجت بشاب فقير. ثم طلبت من مُطَلِّقِها لبناً وقت الشتاء فقال لها ذلك المثل.
وإجراء الاستعارة في هذا المثل الأول أن يقال: شُبِّهت هيئة من فرَّط في أمْرٍ زمن إمكان تحصيله، بهيئة المرأة التي طلقت من الشيخ اللاّبن ورجعت إليه تطلب منه اللبن شتاء بجامع التفريط في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
وإجراء الاستعارة في المثل الثاني أن يقال: شُبّهت هيئة من يتردد في أمر بين أن يفعله وألا يفعله، بهيئة من يتردد في الدخول فتارة يقدّم رجله وتارة يؤخّرها بجامع الحيرة في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
وإجراء الاستعارة في المثل الثالث: شُبّهت هيئة من يظلم من وجهين بهيئة رجل باع آخر تمراً رديئاً وناقص الكيل بجامع الظلم من وجهين في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
وإجراء الاستعارة في المثل الرابع: شُبّهت هيئة الرجل المتستر تحت أمر ليحصل على أمر خفي يريده، بهيئة الرجل المسمَّى قصيراً حين جَدَع أنفه ليأخذ بثأر جذيمة من الزَّباء بجامع الاحتيال في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
وإجراء الاستعارة في المثل الخامس أن يقال: شُبّهت هيئة كريم الأصل عزيز النفس الذي لا =

في أمر فتارة يُقْدِم، وتارة يُحْجِم، ونحو: أحَشَفاً وسُوءَ كَيلةٍ؟! يُضرب لمن يظلم من وجهين، وأصله أن رجلاً اشترى تمراً من آخر فإذا هو رديء، وناقص الكيل، فقال المشتري ذلك، ومثل ما تقدَّم جميع الأمثال السائرة نثراً ونظماً.

فمن الأول: قولهم لمن يحتال على حصول أمر خفي، وهو متسترّ تحت أمرٍ ظاهر: لأمْرٍ جدعَ قَصيرٌ أنفَه، وقولهم: تَجوع الحُرَّة ولا تأكل بثديها، وقولهم لمن يريد أن يعمل عملاً وحده وهو عاجز عنه: اليد لا تُصَفِّقُ وحْدَها، وقولهم لمجاهد عاد إلى وطنه بعد سفر:

عاد السَّيف إلى قِرابه وحلّ اللّيث مَنِيع غابِه، وقولهم لمن يأتِي بالقول الفصل: قَطَعَتْ جهيزةُ قَوْلَ كلِّ خطيب.

ومن الثاني قول الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا ... فَقَدْ بطل السّحر والساحرُ

إذا قالت حَذَامِ فصدِّقوها ... فإن القول ما قالت حذام

متى يبلغ البنيانُ يوماً تمامَهُ ... إذا كنتَ تبنيهِ وغَيْرُكَ يَهْدِمُ[1]

وإذا فشت وشاعَتْ الاستعارة التمثيلية[2] وكثر استعمالها تكون مثلاً لا يُغيَّر

= يفضل الدنايا على الرزايا عند ما تَزِلُّ به القَدَم، بهيئة المرأة التي تفضل جوعها على إجارتها للإرضاع عند فقرها بجامع ترجيح الضرر على النفع في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل السادس: شُبّهت هيئة من يريد أن يعمل عملاً وحده وهو عاجز عنه، بهيئة من يريد أن يُصفّق بيد واحدة، بجامع العجز في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل السابع: شبهت هيئة الرجل الذي يحصل بوجوده فصل المشكلات، بهيئة نبي الله موسى عليه السلام مع سَحَرة فرعون بجامع حسم النزاع في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل الثامن: شُبّهت هيئة الرجل الذي لا يقول إلا الحق ولا يُخْبِرُ إلا بالصدق بهيئة المرأة المسماة «حَذَامِ» بجامع الصدق في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

(١) وإجراء الاستعارة في المثل التاسع: شُبّهتْ حال المصلح يبدأ الإصلاح ثم يأتي غَيْرُه فَيُبْطِلُ عَمَلَه، بحالِ البنيان ينهضُ به حتى إذا أوْشك أن يتم جاء من يهدمُه والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول إلى الغاية لوجود ما يفسد على الساعي سعيه، ثم حذف المشبه واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه.

(٢) وتنقسم التمثيلية إلى قسمين: تحقيقية وتخييلية، فالتحقيقية هي المنتزعة من عدة أمور متحققة =

مطلقاً بحيثُ يخاطب به المفرد والمذكر، وفروعهما، بلفظ واحد من غير تغيير ولا تبديل عن مَوْرده الأول وإن لم يُطابق المضروبَ له، ولذا كانت هذه الاستعارة محطّ أنظار البلغاء، لا يعدلون إلى غيرها إلا عند عدم إمكانها فهي أبلغ أنواع المجاز مفرداً أو مركباً، إذ مبناها تشبيه التمثيل الذي قد عرفتَ أنّ وجه الشّبه فيه هيئة مُنْتَزَعَةٌ من أشياء متعددة، ومِنْ ثَمّ كانت هي والتشبيه المبنية عليه غرضَ البلغاء الذين يتسامون إليه، ويتفاوتون في إصابته، حتى كَثُرا في القرآن الكريم كثرةً كانت إحدى الحُجج على إعجازه.

والاستعارة ميدان فسيح من ميادين البلاغة، وهي أبلغ من التشبيه لأنها تضع أمام المخاطب بدلاً من المشبه صورة جديدة تملك عليه مشاعره وتذهله عما ينطوي تحتها من التشبيه، وعلى مقدار ما في تلك الصورة من الرَّوعة وسموّ الخيال تكون البلاغة في الاستعارة.

وأبلغ أنواع الاستعارة «المرشحة» لذكر ما يناسب المستعار منه فيها بناء على الدعوى بأن المستعار له هو عين المستعار منه.

ثم تليها «المطلقة» لترك ما يناسب الطرفين فيها بناء على دعوى التساوي بينهما.

ثم تليها «المجردة» لذكر ما يناسب المستعار له فيها بناء على تشبيهه بالمستعار منه.

ولا بد في الاستعارة، وفي التمثيل على سبيل الاستعارة من مراعاة جهات حسن التشبيه، كشمول وجه الشبه للطرفين، وكون التشبيه وافياً بإفادة الغرض، وعدم شم رائحة التشبيه لفظاً، ويجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جليًّا لئلا تصير الاستعارة والتمثيل تعمية وإلغازاً.

= موجودة خارجاً، كما في الأمثلة السابقة، والتخييلية هي المنتزعة من عدة أمور متخيلة مفروضة لا تحقق لها في الخارج ولا في الذهن، وتسمى الأولى: «تمثيلية تحقيقية» والثانية: «تمثيلية تخييلية» كقوله تعالى: **﴿إِنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمَواتِ والأرضِ والجبالِ فأَبَيْنَ أنْ يَحمِلْنَها وأَشْفَقْنَ منها﴾** [الأحزاب: ٧٢] الآية على احتمال فيها، فإنه لم يحصل عَرْض وإباء وإشفاق منها حقيقة، بل هذا تصوير وتمثيل، بأنْ يفرض تشبيه حال التكاليف في ثقل حَمْلها وصعوبة الوفاء بها، بحال أنها عُرِضَتْ على هذه الأشياء مع كِبَرِ أجرامها وقوة متانتها فامْتَنَعْنَ وخِفْنَ من حملها بجامع عدم تحقق الحمل في كل، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه، استعارة تمثيلية. ونحو قوله تعالى: **﴿فَقَالَ لها ولِلأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أوْ كَرْهاً قالتا أتَينا طائعين﴾** [فصلت: ١١] فإنَّ معنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فكانتا كما أراد، فالغرض تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها، وتمثيل ذلك بحالة الآمر المطاع لهما وإجابتهما له بالطاعة فَرْضاً وتخييلاً من غير أنْ يتحقق شيء من الخطاب والجواب، هذا أحد وجهين في الآيتين كما في الكشّاف. فارجع إليه.

أسئلة على الاستعارة يُطْلَبُ أجوبتها

ما هي الاستعارة؟

ما أركانها؟

كما قسماً الاستعارة باعتبار ذكر الطرفين المشبه به والمشبه؟

ما أصل الاستعارة؟

ما هي الاستعارة التصريحية؟

كم قسماً الاستعارة التصريحية؟

كم قسماً الاستعارة باعتبار ذكر ملائم المستعار له والمستعار منه؟

ما هي الاستعارة المرشحة؟

ما هي الاستعارة المجردة؟

ما هي الاستعارة المطلقة؟

كم قسماً الاستعارة باعتبار إمكان اجتماع طرفيها في شيء؟

ما هي الاستعارة الوفاقية؟

ما هي الاستعارة العنادية؟

كم قسماً الاستعارة باعتبار الجامع؟

ما هي العامية؟

ما هي الخاصية؟

ما هي التمليحية؟

ما هي التهكمية؟

ما مثال الطرفين الحسيين والجامع حسي؟

ما مثال الطرفين الحسيين والجامع عقلي؟

ما مثال الطرفين الحسيين والجامع بعضه حسي وبعضه عقلي؟

ما مثال الطرفين العقليين والجامع عقلي؟

ما مثال المستعار منه الحسي والمستعار له العقلي؟

ما مثال المستعار منه العقلي والمستعار له الحسي؟

ما هي الاستعارة بالكناية عند الجمهور؟

ما هي الاستعارة بالكناية عند السكّاكي؟

ما هي الاستعارة بالكناية عند الخطيب؟

كما قسماً الاستعارة بالكناية؟

ما هي المكنية الأصلية؟

ما هي المكنية التبعية؟

ما هي الاستعارة التخييلية عند الجمهور؟

لم سميت استعارة؟

لم سميت تخييلية؟

ما هي الاستعارة المكنية المرشحة؟

ما هي الاستعارة المكنية المجردة؟

ما هي الاستعارة المكنية المطلقة؟

كم قسماً المكنية باعتبار إمكان اجتماع طرفيها في شيء؟

ما هي العنادية؟

ما هي الوفاقية؟

ما هو المجاز المركب؟

ما هي الاستعارة التمثيلية؟

ما هو المجاز المركب بالاستعارة؟

ما هي محسنات الاستعارة؟

تمرين على كيفية إجراء الاستعارات

فسمونا والفجر يضحك في الشر ... قِ إلينا مبشراً بالصباح[1]

عضنا الدهرّ بنابه ... ليتَ ما حلّ بنا به[2]

---

(١) شبّه الفجر بإنسان يتبسّم، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة، والقَدْر المشترك بينهما البريق واللمعان، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذف المشبه وأشار إليه بشيء من لوازمه وهو الضحك، على طريق الاستعارة بالكناية، وإثبات الضحك استعارة تخييلية.

(٢) شبّه حوادث الدهر بالعض بجامع التأثير والإيلام من كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من العض وهو المصدر عض بمعنى آلم على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وذكر الناب ترشيح.

لـسـنـا وإنْ أحـسـابُـنـا كَـرُمَـتْ يـومـاً عـلـى الأحـسـاب نـتَّـكـلُ[(١)]

دقّـات قـلـب الـمـرء قـائـلـة لـه إنَّ الـحـيـاةَ دقـائـقٌ وثـوانِ[(٢)]

بـكـت لـؤلـؤاً رَطْباً ففاضتْ مدامعي عقيقاً فصار الكل في نحرها عِقْداً[(٣)]

إن التباعد لا يَضُرُّ إذا تقاربت القلوب[(٤)].

ذمَّ أعرابي رجلاً فقال (يقطع نهاره بالمنى ويتوسّد ذراع الهمّ إذا أمسى)[(٥)]

قَـوْمٌ إذا الـشَّـر أبـدى نـاجـذيْـه لـهـم طـاروا إلـيـه زَرَافـاتٍ وَوُحْـدَانـا[(٦)]

جـاء الـشـتـاءُ واجْـثـألَّ الـقُـبَّـرُ وطَلَعَتْ شَمْسٌ[(٧)] عليها مِغْفَرُ[١٤٧]

---

(١) في كلمة «على» استعارة تصريحية تبعية، فقد شبه مطلق ارتباط بين حسب وحسب بمطلق ارتباط بين مُسْتَعْلٍ ومُسْتَعْلَى عليه، بجامع التمكن والاستقرار في كل ـ ثم استعيرت «على» من جزئيّ من جزئيات الأول ـ لجزئيّ من جزئيات الثاني، على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية.

(٢) شبه الدلالة بالقول بجامع إيضاح المراد في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من القول بمعنى الدلالة قائل بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة نسبة القول إلى الدقات.

(٣) شَبَّه المتساقط مِنْ فيها باللؤلؤ بجامع البياض والاتساق في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم شبه الدمع النازل من عينيه بالعقيق بجامع الحُمْرة واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، والقرينة كلمتا بكت، وفاضت وذِكْر العِقْدِ ترشيح.

(٤) شبَّه التواد بالتقارب بجامع الألفة في كل منهما، ثم استعير التقارب للتواد واشتق منه تقارب بمعنى تواد، والقرينة كلمة القلوب وهي استعارة مطلقة.

(٥) شبَّه المنى بسكين قاطع بجامع الإجهاز وإنهاء المقطوع في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو يقطع على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة، ويقطع استعارة تخييلية، وكذا شبَّه الهمَّ بإنسان واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الذراع على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة والقرينة كلمة الذراع، ويتوسد ترشيح.

(٦) شبه الشر بأسد متحفز للوثوب فيكشر عن أنيابه بجامع الاستعداد للهجوم في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الناجذان على طريق الاستعارة المكنية المرشحة، والقرينة كلمة ناجذيه، وكلمة أبدى ترشيح، ثم شبه مشيهم بالطيران بجامع السرعة في كل منهما، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من الطيران طار بمعنى أسرع على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة، والقرينة إسناد الطيران إليهم.

(٧) شبَّه السحاب الذي يستر الشمس، بالمغفر الذي يستر الرأس، بجامع الستر في كل واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة، والقرينة كلمة شمس.

---

[١٤٧] اجثأل: الطير: نفش ريشه، والنبات: طال والتفَّ. مغفر: من غفر بمعنى غطّى.

سـأبـكـيـكَ لـلـدُّنـيـا ولـلـدّيـن إنْ أبَـتْ، يـدُ الـمعـرُوفِ بَـعْـدَكَ شُـلَّـتِ[1]

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] [القلم: ٤].

سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إذا سُلَّ أو مَضَتْ إلَـيْـهِ ثَـنَـايَـا الْـمَـوْتِ مِـنْ كـلِّ مَـرْقَـدِ[3]

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[4] [الرحمن: ٣١].

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[5] [الأعراف: ٦٠].

فَـتًـى كُـلَّـمـا فـاضَـتْ عُـيُـونُ قـبِـيـلَـةٍ دماً ضَحِكَتْ عَنْه الأحاديث والذِّكْرُ[6]

---

(١) شبَّه المعروف بإنسان له يد تعطي، والجامع الإعطاء في كل منهما وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والقرينة كلمة يد، وهي الاستعارة التخييلية، وشُلَّت ترشيح.

(٢) شبَّه تمكنه عليه الصلاة والسلام من الهدى والأخلاق الشريفة والثبوت عليها بتمكن مَنْ علا دابّة يُصرِّفها كيف شاء. بجامع التمكن والاستقرار في كل، فسرى التشبيه من الكُلّيين للجزئيات التي هي معاني الحروف، فاستعير لفظ «على» الموضوع للاستعلاء الحسي للارتباط والاستعلاء المعنوي، على سبيل الاستعارة التصريحية.

(٣) شبه لحاق الموت به، بالسقي بجامع الوصول في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من السقي سقى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة على ذلك نسبة السقي إلى الردى، وأيضاً قد شبّه الموت بإنسان له ثنايا يضحك منها فتلمع وتضيء، والجامع البريق واللمعان واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الثنايا على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والثنايا استعارة تخييلية، وأومض ترشيح.

(٤) شبه القصد إلى الشيء والتوجه له، بالفراغ والخلوص من الشواغل، بجامع الاهتمام في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من الفراغ بمعنى الخلو، نفرغ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة حالية.

(٥) في كلمة «في» استعارة تصريحية تبعية فقد شُبّهَتْ «في» التي تدل على الارتباط «بفي» التي تدل على الظرفية بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكُلّيين إلى الجزئيات فاستعيرت في من الثاني للأول على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة على ذلك كلمة الضلال.

(٦) شبَّه العيون بالنهر بجامع الصب الكثير في كل منهما، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو فاض على سبيل الاستعارة الأصلية المكنية وفاض قرينتها، وهي الاستعارة التخييلية، وكذا شبَّه السرور والأَرْيَحِيَّةَ بالضحك بجامع ما تجده النفس عند كلٍ من المسرة، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر ـ على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

تطبيق عام على المجاز وأنواع الاستعارة

١ ـ رأيت أسداً في الحمّام: شبّه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة في كل واستعير الأسد للرجل الشجاع على طريق الاستعارة المصرحة الأصلية.

٢ ـ رأيت قُسًّا اليوم: شبه الرجل الفصيح «بقس بن ساعدة» بجامع الفصاحة في كل، واستعير «قس» للرجل الفصيح على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

٣ ـ رأيت حاتماً اليوم: شبه الرجل الكريم «بحاتم الطائي» بجامع الكرم في كل واستعير «حاتم» للرجل الكريم على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

٤ ـ نَطَقَتْ حالُكَ بنجابتك: شُبّهت الدلالة الواضحة بالنطقِ بجامع الإيضاح في كل واستعير «النطق» للدلالة الواضحة واشتق من «النطق» بمعنى الدلالة الواضحة، «نطقتْ» بمعنى دلَّتْ على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وسميت تصريحية للتصريح فيها بلفظ المشبه به، وتبعية لأن جريانها في الفعل تابع لجريانها في المصدر.

٥ ـ يحيي الأرض بعد موتها: شبه تزيين الأرض بالنبات الأخضر النضر، بالإحياء بجامع ما يترتب على كلٍ من الحسن والنفع، واشتق من «الإحياء» بمعنى التزيين «يحيي» بمعنى يزين على سبيل الاستعارة المُصَرَّحة التبعية.

٦ ـ قلبي يحدثني بأنك مُتلفي   روحي فداك عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ

فيه استعارة تمثيلية. فإنه شبَّه هيئته القائمة به من الذوق الوجداني، بهيئة مَنْ جرى على لسانه ذلك من عُشَّاق الأشباح بجامع الهيئة الحاصلة من التأثر والوجدان في كل واستعار الكلام الدال على المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التمثيلية.

٧ ـ تصرَّمَتْ منا أُوَيْقاتُ الصّبا   ولم نجدْ من المشيبِ مَهْربا

فيه مجاز مرسل مركب، علاقته السببية. فإن هذا الكلام سببٌ في التحسر أو الملزومية، لأن الإخبار بهذا مستلزم للتحسر.

٨ ـ ولئنْ نطقتُ بشُكْر ربك مُفْصِحاً   فلسانُ حالي بالشّكايةِ أنْطَقُ

فيه استعارة مكنية أصلية مرشحة وفاقية في كلمة حال. شبهت الحال بإنسان متكلم بجامع الدلالة في كل واستعير لفظ المشبه به للمشبه. وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (اللسان) على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية. وإثبات (اللسان) للحال تخييل، والنطق ترشيح. وفيه استعارة تصريحية تبعية في النطق. شُبّهت الدلالة بالنطق، واستعير لها اسمه، واشتق منه (أنطق) بمعنى أدل على سبيل

الاستعارة التصريحية التبعية، واللسان ترشيح وهي وفاقية لإمكان اجتماع طرفيها اللذيْن هما النطق والدلالة في شيء.

٩ ـ فإن تعافُوا العدل والإيمانا فإنّ في إيمانِنا نيرانا

فيه استعارة مكنية أصلية في (العدل) و(الإيمانا) فإنه شبه (العدل) و(الإيمان) بشيء كريه يُعاف، بجامع كراهة النفس لكل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (تعافُوا) على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، وإثبات (تعافوا) للعدل و(الإيمان) تخييل، وفي (نيراناً) استعارة تصريحية أصلية، شُبّهت السيوف القاطعة بالنيران بجامع الضرر في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

وتسلط قوله «تعافُوا» على كل من العدل والإيمان قرينة على أن المراد بالنيران السيوف.

١٠ ـ ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي ضالاً فهديناه. فيها استعارتان تصريحيتان تبعيتان. الأولى عنادية، والثانية وفاقية.

ففي **الأول**: شبَّه الموت بالضلال بجامع عدم النفع في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه واشتق منه (مَيْتاً) بمعنى ضالاً على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية العنادية، لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء.

وفي **الثانية**: شبَّه الهدى بالإحياء بجامع النفع في كل واستعير الإحياء للهدى، واشتق منه (أحْيَا) بمعنى هدى. على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية الوفاقية لأنه يمكن اجتماع الهدى والحياة في شيء.

١١ ـ ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧] شبَّه إبطال العهد بفك طاقات الحبل بجامع عدم النفع في كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو النقض للمشبه وهو الإبطال، واشتق منه ينقضون بمعنى يبطلون على طريق الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة لأنها لم تقترن بشيء.

١٢ ـ لدى أسدٍ شاكي السلاح مُقَذَّفٍ له لِبَدٌ أظفارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ

شبَّه الرجل الشجاع بالأسد، واستعار الأسد للرجل الشجاع على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة، لاقترانها بما يلائم المشبه، وبما يلائم المشبه به فإن شاكي السلاح يناسب المشبه، وما بعده يناسب المشبّه به والقرينة حالية أي أنها تفهم من حالة المتكلم.

١٣ ـ فَوْقَ خدّ الوردِ دَمْعٌ مِنْ عيون السُّحْبِ يَذْرِف
بِرداءِ الشمسِ أضحى بعد أنْ سال يُجَفَّف

شبَّه الورد بإنسان جميل بجامع الحُسْنِ في كل، وحذف المشبه به (إنسان) ورمز إليه بشيء من لوازمه (خد) على طريق الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والقرينة هي إضافة خد للورد، وشبَّه السحاب بإنسان بجامع النفع في كل، استعارة مكنية أصلية مرشحة، والقرينة إثبات العيون للسحب، وشُبّهت الشمسُ بامرأة حسناء بجامع الجمال في كل، استعارة مكنية أصلية مجردة، والقرينة هي إثبات رداء للشمس ويقال للقرينة في الجميع (استعارة تخييلية).

١٤ ـ أثمرتْ أغصانُ راحتِهِ لِجُناةِ الحُسْنِ عُنابا

شُبّهت الراحة بشجرة، بجامع الانتفاع من كل، استعارة مكنية أصلية مرشحة والقرينة هي إثبات جُناة للحُسْن، وهي (استعارة تخييلية).

١٥ ـ إذا نَزَلَ السماءُ بأرضِ قومٍ رعيناهُ وإنْ كانُوا غِضابا

(السماء) بمعنى المطر. مجاز مرسل. علاقته السببية. أو المحلية، والقرينة هي (نَزَلَ).

بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين، الأولى: طريقة تأليف ألفاظه، والثانية: ابتكار مشبه به بعيدٍ عن الأذهان. لا يجول إلا في نفس أديب وهب الله له استعداداً سليماً في تعرّف وجوه الشَّبَهِ الدقيقة بين الأشياء، وأودَعه قُدْرَةً على ربط المعاني وتوليد بعضها من بعض إلى مَدًى بعيدٍ لا يكاد ينتهي.

وسرُّ بلاغة الاستعارة لا يتعدى هاتين الناحيتين، فبلاغتها من ناحية اللفظ أنَّ تركيبَها يدل على تناسي التشبيه، ويَحمِلُكَ عَمْداً على تَخَيُّلِ صورة جديدة تُنسِيك رَوْعَتُهَا ما تضَمّنَهُ الكلام من تشبيهٍ خفيٍّ مستور.

أنظر إلى قول البُحْتُري[١٤٨] في الفَتْحِ بن خاقان:

يَسْمُو بِكَفٍّ على الْعَافِينَ حانِيَةٍ تَهمي وَطَرْفٍ إلى الْعَلْيَاء طَمَّاح

ألست ترى كفَّه وقد تمثّلت في صورة سحابة هتَّانَة تَصُبُّ وَبْلَها على العافين

[١٤٨] البحتري: شاعر عباسي اختص بمدح الخليفة المتوكل. ووزيره الفتح بن خاقان، وعاش بين (٨٢٠ ـ ٨٩٨م) وله ديوان، واختار «كتاب الحماسة» من عيون الشعر.

والسائلين، وأنَّ هذه الصورة قد تَمَلَّكَتْ عليك مشاعرك فأذْهَلَتك عمّا اختبأ في الكلام من تشبيه؟

وإذا سمعت قوله في رثاء المتوكل وقد قُتلَ غِيلة:

صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ اللّيالِي حُشَاشَةً ... يَجُودُ بِهَا والْمَوْتُ حُمْرٌ أظَافِرُهْ(1)

فهل تستطيع أن تُبْعِد عن خيالك هذه الصورة المخيفة للموت، وهي صورة حيوان مفترس ضُرِّجَتْ أظفارهُ بدماء قتلاه؟

لهذا كانت الاستعارة أبلغَ من التشبيه البليغ، لأنه وإن بُني على ادعاء أن المشَّبَه والمشَّبَه به سواء لا يزال فيه التشبيه مَنْويًّا ملحوظاً.

بخلاف الاستعارة فالتشبيه فيها مَنْسي مجحود، ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارة المرشحة أبلغ من المطلقة، وأن المطلقة أبلغ من المجردة.

أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار، وروعة الخيال، وما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها، فمجال فسيح للإبداع، وميدان لتسابق المجيدين من فرسان الكلام أنظر إلى قوله عز شأنه في وصف النار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨].

ترتسم أمامك النار في صورة مخلوق ضخم، بطّاش مكفهر الوجه، عابس يغلي صدره حقداً وغيظاً. عن البلاغة الواضحة[١٤٩].

---

(١) الصريع المطروح على الأرض، وتقاضاه أصله تتقاضاه حذفت إحدى التاءين وهو من قولهم تقاضى الدائنُ دينه إذا قبضه، والحُشاشة بقية الروح في المريض والجريح، يصفه بأنه مُلْقَى على الأرض يلْفِظُ النفَسَ الأخير من حياته.

---

[١٤٩] سبق التعريف بالكتاب.

الباب الثالث

في الكناية

الكناية[1] لغة ما يَتَكَلَّم به الإنسان ويُريدُ به غيره، وهي مصدر كَنَيْتُ، أوْ كَنَوْتُ بكذا عن كذا، إذا تركت التّصريح به.

---

(١) توضيح المقام أنه إذا أُطْلِق اللفظ وكان المراد منه غيرَ معناه، فلا يخلو إما أن يكون معناه الأصلي مقصوداً أيضاً ليكون وسيلة إلى المراد، وإما ألّا يكون مقصوداً، فالأول: الكناية، والثاني: المجاز. فالكناية عند علماء البيان: لفظ أُطْلِقَ وأُرِيدَ به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى معه، كلفظ: طويل النجاد، المراد به طول القامة فإنه يجوز أن يراد منه طول النجاد أي علّاقة السيف أيضاً، فهي تخالف المجاز من جهة إمكان إرادة المعنى الحقيقي مع إرادة لازمه، بخلاف المجاز فإنه لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي لوجود القرينة المانعة من إرادته، ومثل ذلك قولهم: كثير الرماد، يَعْنُون به أنّه كثيرُ القَرْي والكرم، وقول الحضرمي:

قد كان تُعْجِبُ بعضَهُن براعتي ... حتى رأيْنَ تنحْنُحي وسُعالي

كنّى عن كبر السن بتوابعه وهي التنحنح والسعال، وقولهم: المجدُ بين ثوبيه والكَرَم بين بُرْدَيه، وقوله:

إن المروءَةَ والسماحَةَ والنَّدى ... في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابنِ الْحَشْرَجِ

وقوله:

وما يكُ فيَّ مِنْ عيبٍ فإنّي ... جبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ

فإن «جبان الكلب» كناية ـ وكذا «مهزول الفصيل» والمراد منهما ثبوت الكرم، وكل واحدة على حِدَتِها تؤدي هذا المعنى، وقد جاء عن العرب كنايات كثيرة كقوله:

بيض المطابخ لا تشكو إماؤهُمُ ... طَبْخَ القدورِ ولا غَسْلَ المناديل

ويروي أنّ خلافاً وقع بين بعض الخلفاء ونديم له في مسألة، فاتفقا على تحكيم بعض أهل العلم، فأُحْضِر فوجد الخليفة مُخْطِئاً. فقال: القائلون بقول أمير المؤمنين أكثر (يريد الجهال)، وإذا كان الرجل أحمق قيل: نَعْتُه لا ينصرف، ونظر البديع الهمذاني إلى رجل طويل بارد، فقال: قد أقبل لَيْلُ الشتاء. ودخل رجل على مريض يعوده وقد اقشعر من البرد، فقال: ما تجد فديتك؟ قال أجدك (يعني البرد) وإذا كان الرجل ملولاً قيل: هو من بقية قوم موسى، وإذا كان مُلْحِداً قيل قد عبرَ (يريدون جسر الإيمان) وإن كان يسيء الأدب في المؤاكلة قيل: تسافر يده على الخِوَان ويرعى أرض الجيران. ويقال عمَّن يكثر الأسفار: فلان لا يضع العصا عن عاتقه، وجاء في القرآن: **﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾** =

= [الحجرات: ١٢] فإنه كنّى عن الغيبة بأكل الإنسان لحم الإنسان، وهذا شديد المناسبة لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العِرْض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابُه. ومن أمثال العرب قولهم: لبست لفلان جلد النمر، وجلدَ الأرقم، كناية عن العداوة. وكذلك قولهم: قَلَبْتُ له ظَهْر المِجَنّ، كناية عن تغيير المودة. ويقول القوم: فلان بريء الساحة، إذا بَرّؤوه من تهمة، ورَحْبُ الذراع، إذا كان كثير المعروف، وطويل الباع في الأمر، إذا كان مقتدراً فيه، وقويّ الظهر، إذا كثر ناصروه. ومن ذلك أن المنصور كان في بستان له أيام محاربته إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فنظر إلى شجرةِ خِلَافٍ فقال للربيع، ما هذه الشجرة؟ فقال طاعة يا أمير المؤمنين. فتفاءل المنصور به، وعجب من ذكائه. ومثل ذلك: أنَّ رجلاً مر في صَحْن دار الرشيد ومعه حُزْمة خيزران، فقال الرشيد للفضل بن الربيع ما ذاك؟ فقال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين، وكره أن يقول «الخيزران» لموافقته اسم والدة الرشيد، ومن كلامهم «فلان طويل الذيل» يريدون أنه غني حَسَنُ الحال، وعليه قول الحريري:

إن الغريبَ الطويلَ الذَّيْلِ مُمْتَهَنٌ ... فكيف حالُ غريبٍ مالَهُ قوتُ

وكذلك قولهم: فلان طاهر الثوب، أي مُنَزَّه عن السيئات. وفلان دَنِسُ الثوب أي مُتَلَوّث بها، قال امرؤ القيس[١٥٠]:

ثيابُ بني عَوْفٍ طهارةُ نَقيَةٍ ... وأوْجُهُهُمْ عند الْمَشَاهِدِ غُرّاتُ

ويقولون: فلان غَمْرُ الرداء، إذا كان كثير المعروف عظيم العطايا. قال كُثَيّر[١٥١]:

غَمْرُ الرداء إذا تبسّم ضاحكاً ... غلقت لضحكته رقابُ المالِ

ومن الكنايات اللطيفة ما ذكرها الأدباء في الشيب والكبر فيقولون: عرضت لفلانٍ فَتْرَة، وعرض له ما يمحو ذنوبَه. وأقمر ليلُه، ونوّر غُصن شبابه، وفَضَضَ الزمانُ أبْنُوسه، وجاءه النذير، وقَرَعَ ناجذَ الحلم، وارتاض بلجام الدهر، وأدرك زمان الحنكة، ورفض غُرَّة الصبا، ولبّى دواعي الحِجى، ومن كناياتهم عن الموت: استأثر الله به، وأسْعَدَه بجواره، ونقله إلى دار رضوانه ومحلِ غفرانه، واختار له النُّقْلَةَ مِنْ دار البَوار إلى دار الأبرار، ومن الكنايات أيضاً أنْ يقام وصفُ الشيء مقام اسمه كما ورد في القرآن: **﴿وحَمَلْنَاه على ذاتِ ألْواحٍ ودُسُر﴾** [القمر: ١٣] يعني السفينة فوضع صفتها موضع تسميتها كما ورد: **﴿إذ عُرِض عليه بالعَشِيّ الصافنات الجياد﴾** [ص: ٣١] يعني الخيل، وقال بعض المتقدمين:

سألَتْ قتيبةُ عَنْ أبيها صُحْبَةً ... في الروح هَلْ ركِبَ الأغَرَّ الأشْقَرا

يعني هل قَتَل؟ لأن الأغَرَّ الأشْقَر وصفُ الدم فأقامه مقام اسمه.

---

[١٥٠] امرؤ القيس: أشهر شعراء الجاهلية، وصاحب أول معلقة، عاش بين (٥٠٠ ـ ٥٤٥م) كان والده ملكاً على بني أسد.

[١٥١] كثير: من شعراء الغزل في العصر الأموي. (توفي سنة ٧٣٢م) عرف بكثير عزة لكثرة تغزله بها.

الأصلي نحو زيد طويل النِّجاد تُريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعَدلْتَ عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها والكناية عنها لأنه يلزم مِنْ طول حِمَالة السيف طولُ صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعةُ عادة، فإذاً المراد طول قامته وإنْ لم يكن له نِجاد، ومع ذلك يصح أن يُراد المعنى الحقيقي، ومن هنا يُعلَم أنَّ الفرق بين الكناية والمجاز صِحَّةُ إرادة المعنى الأصلي في الكناية، دون المجاز فإنه ينافي ذلك.

نعم قد تمتنع إرادة المعنى الأصلي في الكناية لخصوص الموضوع كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] وكقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كناية عن تمام القدرة وقوة التمكن والاستيلاء.

وتنقسم الكناية باعتبار المطلوب بها إلى ثلاثة أقسام، فإن المطلوب بها قد يكون صفة من الصفات، وقد يكون موصوفاً، وقد يكون نسبةً.

الأول: الكناية التي يُطلب بها صفة من الصفّات نوعان:

١ ـ كناية قريبة: وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المُنتقَل عنه، والمعنى المُنتقَل إليه، نحو:

رفيعُ العِماد طويل النِّجا ... دِ ساد عشيرته أمْردَا

٢ ـ وكناية بعيدة: وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة أو بوسائط، نحو: فلان كثير الرَّماد كناية عن المضياف، والوسائط هي: الانتقال من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز، ومنها إلى كثرة الضيوف، ومنها إلى المطلوب وهو المضياف الكريم.

الثاني: الكناية التي يراد بها نِسْبةُ أمرٍ لآخر إثباتاً أو نفياً، فيكون المكنِيُّ عنه نسبةً، نحو:

إنَّ الْمُرُوءة والسماحَةَ والنّدَى ... في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابْنِ الْحَشْرَجِ

فإنَّ جَعْلَ هذه الأشياء الثلاثة في مكانها لمختص به يستلزم إثباتها له.

واعلم أن الكناية المطلوب بها نسبة:

إمّا أن يكون ذو النسبة مذكوراً فيها، كقول الشاعر:

ألْيُمْنُ يَتْبَعُ ظِلَّهُ ... والمجدُ يمشِي في ركابه

وإمَّا أنْ يكون غَيْر مذكورٍ كقولك خير الناس من ينفع الناس، كناية عن نفي الخيرية عمّنْ لا ينفعهم.

الثالث: الكناية التي لا يُراد بها صفة ولا نِسبة، بل يكون المكنيُّ عنه موصوفاً، إمّا معنى واحداً «كموطن الأسرار» كناية عن القلب، كما في قول الشاعر:

فلمّا شربناها ودبَّ دبيبها إلى مَوْطنِ الأسْرارِ قلتُ لها قِفِي

وإمَّا مجموع معان كقولك: جاءني حيٌّ مُستوي القامة عريضُ الأظْفار، كناية عن الإنسان لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به، ونحو:

الضاربين بكلِّ أبْيَضَ مِخْذَمٍ والطّاعنين مَجامعَ الأضغانِ[1]

ويشترط في هذه الكناية أن تكوّن الصّفة أو الصفات مختصَّةً بالموصوف، ولا تتعدّاه ليحصُلَ الانتقالُ منها إليه.

وتنقسم أيضاً باعتبار الوسائط (اللّوازم) والسِّياق إلى أربعة أقسام: تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء.

١ ـ فالتّعريض لغة: خلاف التصريح.

واصطلاحاً: هو أن يُطْلَقَ الكلام ويُشارَ بِهِ إلى معنى آخر يُفْهَمُ من السِّياق نحو قولك للمؤذي: المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسْلِمُونَ مِنْ لِسَانه وَيَدِهِ، تعريضاً بنفي صفة الإسلام عن المؤذي، وكقوله:

إذا الجُودُ لم يُرزَق خلاصاً مِنَ الأذى: فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقيا

٢ ـ والتّلويح لغة: أن تُشيرَ إلى غيركَ من بُعدٍ، واصطلاحاً: هو الذي كَثُرَت وسائطه بلا تعريض، نحو:

وما يَكُ فيَّ من عيب فإنّي جَبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ

كنّى عن كرم الممدوح بكونه جبانَ الكلب مهزولَ الفصيل فإنَّ الفكر ينتقلُ إلى جملة وسائط.

٣ ـ والرَّمز لغة: أن تُشير إلى قريب منك خِفْيةً بنحو شَفَة أو حاجِب. واصطلاحاً: هو الذي قلَّتْ وسائطه مع خفاء في اللزوم بلا تعريض، نحو فلانٌ عريضُ القَفا، أو عريضُ الوِسادة، كناية عن بلادته وبلاهته ونحو: هو مكتنز

---

(١) الضاربين منصوب بأمدح المحذوف، والأبيض السيف، والمخذم: بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الذال المعجمتين: القاطع، والأضغان: جمع ضِغْن: وهو ما انطوى عليه الصدر من الحقد، كنّى الشاعر بمجامع الأضغان عن القلوب، وهي لا صفة، ولا نسبة بل هي موصوف.

اللّحم، كناية عن شجاعته، ومتناسب الأعضاء، كناية عن ذكائه، ونحو: غليظ الكبد، كناية عن القسوة ـ وهلمَّ جرًّا.

والإيماء أو الإشارة هو الذي قَلّت وسائطه مع وضوح اللّزوم بلا تعريض، كقول الشاعر:

أَوَ مَا رأيتَ المَجدَ أَلْقَى رَحْلَهُ ... في آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لم يتحوَّلِ

كناية عن كونهم أمجاداً أجواداً بغاية الوضوح.

ومن لطيف ذلك قول بعضهم:

سأَلْتُ النّدَى والجُودَ مالي أراكُما ... تَبَدَّلْتُما ذُلّاً بعزٍّ مُؤبَّدِ

وما بالُ رُكنِ المجْدِ أمْسَى مُهدَّماً ... فقالا أُصِبْنا بابنِ يَحْيَى محمدِ

فقلتُ فهلّا مُتُّما عند مَوْتِهِ ... فَقدْ كنتُما عبْدَيْهِ في كلِّ مَشْهَدِ

فقالا أَقَمْنا كي نُعَزَّى بفَقْدِهِ ... مَسافَةَ يومٍ ثُمَّ نتلوه في غدِ

والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقّها، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللّازم فهو كالدَّعوى ببيِّنة، فكأنك تقول في: زيد كثير الرماد، زيد كريم لأنه كثير الرماد وكثرته تستلزم كذا الخ ـ كيف لا وأنّها تُمكّن الإنسان من التّعبير عن أمور كثيرة يتحاشى الإفصاح بذكرها، إمّا احتراماً للمخاطب، أو للإبهام على السامعين، أو للنّيل من خصمه دون أنْ يدعَ له سبيلاً عليه، أو لتنزيه الأُذُن عمّا تنبو عن سماعه، ونحو ذلك من الأغراض واللّطائف البلاغية.

تمرين (١)

بين أنواع الكنايات الآتية وعيّن لازم معنى كل منها:

١ ـ قال البحتري يصف قَتْلَهُ ذئباً:

فَأَتْبَعْتُها أُخْرَى فأضلَلْتُ نَصْلَهَا ... بحَيْث يَكُون اللُّبُ والرُّعْبُ والحقْدُ[1]

---

(١) ضمير أتبعتها يعود على الطعنة، وأضللت: أخفيت، والنصل: حديدة السيف، واللب: العقل، والرعب: الفزع والخوف، واعلم أن الكناية إمّا حسنة وهي ما جمعتْ بين الفائدة ولطف الإشارة كما في الأمثلة السابقة، وإمّا قبيحة وهي ما خلت عن الفائدة المرادة وهي معيبة لدى أرباب البيان كقول المتنبي:

إني على شَغفِي بما في خُمْرِها ... لأعفُّ عمّا في سَرَاوِيلاتِها

٢ ـ وقال آخر في رثاء من مات بِعِلةٍ في صدره:

وَدَبَّتْ لَهُ فِي مَوْطِنِ الحِلْمِ عِلَّةٌ   لَهَا كالصِّلَالِ الرُّقْشِ شَرُّ دَبِيبِ(١)

٣ ـ ووصف أعرابي امرأة فقال: تُرْخِي ذَيْلَها على عُرْقُوبَي نَعَامة[١٥٢].

إنّ في ثوبك الذي المجدُ فيه   لَضياءً يُزري بكلِّ ضياءِ

تمرين (٢)

بيّن نوع الكنايات الآتية، وبين منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ وما لا يصح:

١ ـ وصف أعرابي رجلاً بسوء العِشْرة فقال كان إذا رآني قَرَّبَ من حاجبٍ حاجباً.

٢ ـ وقال أبو نواس في المديح:

فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ   وَلَكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِير

٣ ـ وتَكْنِي العربُ عمّن يجاهر غيرَه بالعداوة بقولهم:

لبِس له جِلْدَ النَّمِرِ، وجِلْدَ الأرْقَم(٢)، وقَلَبَ له ظَهْرَ المِجَنِّ(٣).

٤ ـ فلانٌ عريضُ الوِساد(٤) أغمُّ القَفا(٥).

---

(١) الصِّلال جمع صِلّ بالكسر: ضرب من الحيَّاتِ صغير أسود لا نجاة من لدغته، والرقش جمع رقشاء وهي التي فيها نُقَطٌ سوداء في بياض، والحية الرقشاء من أشد الحياتِ إيذاء.

(٢) الأرقم الحية فيها سواد وبياض.

(٣) المجن: الترس، وقلب له ظهر المجن: مَثَلٌ يُضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد.

(٤) عريض الوساد أي طويل العنق إلى درجة الإفراط[١٥٣]، وهذا مما يُستدل به على البلاهة وقلة العقل.

(٥) الغَمَم غزارة الشَّعر حتى تضيق منه الجبهة أو القفا. وكان يزعم العرب أن ذلك دليل على الغباوة.

---

[١٥٢] الذيل: من ذال الثوب إذا طال. والعرقوب: عصب غليظ فوق العقب، وهذا القول كناية عن دقة ساقيْ تلك المرأة، فالنعامة مشهورة بدقة ساقيها.

[١٥٣] هذا التفسير قلِق، لأن عريض الوساد تعني عريض القفا، ويكنى بهذا القول عن الغباوة، والأصل في هذا ما رواه البخاري من أن عدي بن حاتم قال: «لما نزلت آية: ﴿**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**﴾ عمدت إلى عقالين: أسود وأبيض فجعلتهما تحت وسادتي وأخذت أنظر إليهما حتى إذا تبينتهما أمسكت، فلما أصبحت غدوت إلى الرسول وأخبرته الخبر، فقال: يا عدي، إن كان وسادك لعريضاً» فالرسول كَنى عن بلادة ذهن عدي بهذا القول الذي يعني أنه عريض القفا، وعلى هذا قول الشاعر:

عريض القفا ميزانه في شماله   قد انحصَّ من حب القراريط شاربه

فعريض القفا كناية عن الغباوة على ما تعارفوا عليه.

٥ ـ وقال الشاعر:

تَـجُـولُ خَـلَاخِـيـلُ الـنِّـسَـاءِ وَلا أرَى ... لِـرَمْـلَـةَ خَـلْـخَـالاً يَـجُـولُ وَلا قُـلْـبَـا[١]

٦ ـ وتقول العرب في المديح: الكرم في أثناء حُلّته، ويقولون: فلان نَفَخ شِدْقَيْه ـ أي تكبَّر، ووَرِم أنْفُهُ، إذا غضب.

٧ ـ قالت أعرابية لبعض الوُلاة: أشكو إلَيْكَ قِلَّةَ الْجُرْذَانِ[٢].

٨ ـ وقال الشاعر:

بِيضُ الْـمَطَابِخِ لَا تَشْكُو إمَاؤهُمُ ... طَبْخَ الْقُدُورِ وَلَا غَسْلَ الْمَنَادِيل

٩ ـ وقال آخر:

مَـطْـبَـخُ دَاوُدَ فـي نَـظَـافَـتِـهِ ... أشْبَـهُ شَـيْءٍ بِـعَـرْض بِـلْـقِـيـسِ[٣]

ثِـيَـابُ طَـبَّـاخِـهِ إذا اتَّـسَـخَـتْ ... أنْـقَـى بَـيَـاضـاً مِـنَ الْـقَـرَاطِـيـس

١٠ ـ وقال آخر:

فَـتَـى مُـخْـتَـصَـرُ الْـمَـأْكُـو ... لِ وَالْـمَـشْـرُوبِ وَالْـعِـطْـرِ

نَـقِـيُّ الْـكَـأْسِ وَالْـقَـصْـعَـةِ ... وَالْـمِـنْـدِيـلِ وَالْـقِـدْرِ

١١ ـ وقال آخر:

الـيُـمْـنُ يـتـبـع ظِـلّـهُ ... والـمـجـدُ يـمـشـي فـي رِكـابِـهِ

١٢ ـ وقال آخر:

أصـبـح فـي قـيـدك الـسـمـاحـة ... والمجدُ وفضلُ الصّلاح والحسب

فَلَسْنَا على الأعْقَابِ تَدْمِي كُلومُنَا ... ولَكِنْ عَلَى أقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا[٤]

المجد بَيْن ثَوْبيك والكرم مِلءُ بُردَيك.

---

(١) رَملة اسم امرأة، والقُلب بالضم: السوار.

(٢) الجرذان جمع جُرذ وهو ضرب من الفأر.

(٣) بلقِيس بكسر الباء ملكة سبأ، وسبأ: عاصمة قديمة لبلاد اليمن.

(٤) الأعقاب: جمع عَقِب وهو مؤخر القدم، والكلوم: الجراح، يقول: نحن لا نوَلّي فنُجْرَح في ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا، ولكنا نستقبل السيوف بوجوهنا فإنْ جُرِحْنا قطرت الدماءُ على أقدامنا.

بلاغة الكناية

الكِناية مَظْهَر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يَصِل إليها إلَّامن لَطُف طبعُهُ وَصَفَتْ قريحته، والسِّرُّ في بلاغتها أنها في صور كثيرة تُعْطيك الحقيقة مصحوبةً بدليلها، والقضيةَ وفي طيِّها بُرْهَانُها، كقول البحتُري في المديح:

يَغُضُّونَ فَضْلَ اللحْظِ مِنْ حَيْثُ مَا بَدَا لَهُمْ عَنْ مَهِيبٍ في الصُّدُورِ مُحَبَّب

فإنه كَنى عن إكبار الناس للممدوح وهَيْبَتِهم إيَّاه بِغَضِّ الأبصار الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال، وتظهر هذه الخاصة جلية في الكنايات عن الصفة والنسبة.

ومن أسباب بلاغة الكنايات أنّها تَضَع لك المعاني في صورة المُحَسَّات، ولا شك أنّ هذه خاصة الفنون، فإنّ المصوِّر إذا رَسَمَ لك صورة للأمل أو لليأس بَهَرَك وجَعلك ترى ما كنت تَعْجز عن التعبير عنه واضحاً ملموساً.

فمثل: كثير الرماد، في الكناية عن الكرم. ورَسُول الشرّ، في الكناية عن المِزَاج، وقول البحتري:

أوَمَا رأيْتَ المَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة، كلُّ أولئك يُبرز لك المعاني في صورة تشاهدها وترتاح نفسك إليها.

ومن خواص الكناية أنها تمكِّنك من أن تَشْفِيَ غُلَّتك من خَصمك من غير أن تجعل له إليك سبيلاً، ودون أن تَخْدِش وجه الأدب، وهذا النوع يسمى بالتعريض، ومثاله قول المتنبي في قصيدة يمدح بها كافوراً ويُعَرِّض بسيف الدولة:

رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكٍ بأجفانِ شَادِنٍ عَليَّ وَكَمْ باكٍ بأجْفانِ ضَيْغَمِ[1]

وَما رَبَّةُ الْقُرْطِ المَلِيحِ مَكَانُهُ بِأَجْزَعَ مِنْ رَبِّ الحُسامِ المُصمّمِ[2]

فَلَوْ كَانَ ما بي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ عَذَرْتُ ولَكِنْ من حبيبٍ مُعَمَّمِ

رَمَىَ واتَّقى رَميي ومِنْ دُونِ ما اتَّقى هَوًى كاسرٌ كفِّي وقوْسي وأسْهُمي

---

(١) الشادن: ولد الغزال، والضيغم: الأسد، أراد بالباكي بأجفان الشادن: المرأة الحسناء، وبالباكي بأجفان الضيغم: الرجل الشجاع. يقول كم من نساء ورجال بكوا على فراقي وجزعوا لارتحالي.

(٢) القُرط: ما يُعَلّق في شحمة الأُذُن، والحسام: السيف القاطع، والمصمّم: الذي يصيب المفاصل ويقطعها، يقول لم تكن المرأة الحسناء بأجزع على فراقي من الرجل الشجاع.

إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ وصَدَّقَ ما يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

فإنه كَنى عن سيف الدولة أولاً بالحبيب المُعَمَّم، ثم وصفه بالغدر الَذي يَدَّعِي أنه من شِيمَةِ النساء، ثم لامَهُ على مُبادهته بالعُدوان، ثم رماه بالجبن لأنه يَرْمي ويتّقي الرمي بالاستتار خلف غيره، على أنّ المتنبي لا يجازيه على الشر بمثله، لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً يكسِر كفَّه وقَوسَه وأسْهُمَه إذا حاول النضال، ثم وصفه بأنه سيىء الظن بأصدقائه، لأنه سيىء الفعل كثير الأوهام والظنون، حتى ليظنَ أن الناس جميعاً مثله في سوء الفعل وضعفِ الوفاء، فانظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النَّيْل كله من غير أن يذكر من اسمه حرفاً.

هذا، ومن أوضح ميزات الكناية التعبيرُ عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعَه وأمثلة ذلك كثيرة جدًّا في القرآن الكريم وكلام العرب، فقد كانوا لا يُعبِّرون عمَّا لا يحسن ذكره إلّا بالكناية، وكانوا لشدَّة نَخْوتهم يَكْنونَ عن المرأة بالبَيْضة والشاة، ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب:

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكِ ورَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ[1]

فإنَّه كَنَى بالنخلة عن المرأة التي يحبها. عن البلاغة الواضحة.

أثر علم البيان في تأدية المعاني

ظهر لك من دراسة علم البيان أنّ مَعْنًى واحداً يُستطاع أداؤه بأساليب عدةٍ وطرائِقَ مختلفة، وأنه قد يُوضع في صورة رائعة من صور التشبيه، أو الاستعارة أو المجاز المرسل، أو العقلي، أو الكناية.

فقد يصف الشاعر إنساناً بالكرم فيقول:

يُرِيدُ المُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ

ولَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ في الغِنَى ولَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أوْسَعُ

وهذا كلام بليغ جداً مع أنه لم يُقْصَد فيه إلى تشبيه أو مجاز، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل، مع أنه ليس بأغنى منهم، ولا بأكثر مالاً.

وقد يعمد الشاعر عند الوصف بالكريم إلى أسلوب آخر فيقول:

كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِراً جُوداً وَيَبْعثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبَا

(١) ذات عرق: موضع بالبادية وهو مكان إحرام أهل العراق.

فيشبِّه الممدوح بالبحر، ويَدفعُ بخيالك إلى أن يضاهي بين الممدوح والبحر الذي يقذِف الدُّرر للقريب، ويرسل السحائب للبعيد.

أو يقول:

هُوَ الْبحْرُ مِنْ أيِّ النوَاحي أتَيْتَهُ فَلُجَّتُهُ المَعْرُوفُ وَالجُودُ سَاحِلُهْ

فيدَّعي أنه البحر نفسه، وينكر التشبيه نكراناً يدل على المبالغة وادعاء المماثلة الكاملة أو يقول:

عَلَا فَمَا يَسْتقرُّ المالُ في يَدِهِ وَكَيْفَ تُمْسِكُ مَاءَ قُنَّةُ الجَبَلِ؟

فيرسل إليك التشبيه من طريق خفيّ ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى في البلاغة وليجعل لك من التشبيه الضمنيّ دليلاً على دعواه، فإنه ادّعى أنه لعلو منزلته ينحدر المال من يديه، وأقام على ذلك برهاناً فقال: وكيف تمسك ماء قُنَّةُ الجبل.

أو يقول:

جَرَى النَّهْر حَتَّى خِلْتُهُ مِنْكَ أنْعُماً تُسَاقي بِلَا ضنٍّ وتُعطي بِلَا مَنٍّ[1]

فيقلب التشبيه زيادة في المبالغة وافتناناً في أساليب الإجادة. ويشبه ماء النهر بنعم الممدوح، بعد أن كان المألوف أن تشبه النعم بالنهر الفياض.

أو يقول:

كأنهُ حِينَ يُعْطي الْمالَ مُبْتَسِماً صَوْبُ الغمامَةِ تَهمي وهيَ تأتَلِقُ[2]

فَيعمِد إلى التشبيه المركب، ويعطيك صورة رائعة تمثل لك حالة الممدوح وهو يجود ـ وابتسامة السرور تعلو شفتيه.

أو يقول:

جَادَتْ يدُ الفتحِ والأنواءُ بَاخِلةٌ وذَاب نَائِلُهُ وَالْغَيْثُ قَدْ جَمَدَا

فيضاهي بين جود الممدوح والمطر، ويدَّعي أن كرم ممدوحه لا ينقطع إذا انقطعت الأنواء، أو جَمدَ القطر.

أو يقول:

قَدْ قُلْتُ لِلغيْم الرُّكَام ولَجَّ فِي إبراقِهِ وألَحَّ في إرعادِهِ[3]
لا تَعْرِضَنَّ لِجَعْفَرٍ مُتَشبِّهاً بِنَدَى يديْهِ فَلَستَ مِنْ أنْدَادِهِ

---

(١) الضن: البخل، والمن: الامتنان بتعداد الصنائع.

(٢) تهمي: تسيل، وتأتلق: تلمع.

(٣) الغيم الركام، المتراكم: ولج وألح: كلاهما بمعنى استمر.

فيصرح لك في جلاء وفي غير خشية بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم ولا يكتفي بهذا بل تراه يَنْهى السحاب في صورة تهديد أن يحاول التشبه بممدوحه لأنه ليس من أمثاله ونظائره.

أو يقول:

وأقْبَلَ يَمْشي فِي الْبِساط فَمَا دَرَى إلى الْبَحْرِ يَسْعَى أم إلى الْبَدْرِ يَرْتَقِي

يصف حال رسول الروم داخلاً على سيف الدولة فَيَنْزَع في وصف الممدوح بالكرم إلى الاستعارة التصريحية، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسي التشبيه والمبالغة فيها أعظم، وأثرها في النفوس أبلغ.

أو يقول:

دَعوتُ نَداهُ دَعوةً فأجابَني وعَلّمني إحسَانُهُ كَيْف آمُلُهْ

فيشبه نَدى ممدوحه وإحسانه بإنسان، ثم يحذف المشبه به ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهذا ضربٌ آخر من ضروب المبالغة التي تُساق الاستعارة لأجلها:

أو يقول:

وَمَنْ قَصَدَ الْبَحر اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا

فيرسل العبارة كأنّها مَثلٌ، ويصوِّر لك أن من قصد ممدوحه استغنى عمّن هو دونه، كما أن قاصد البحر لا يأبه للجداول، فيعطيك استعارة تمثيلية، لها روعة وفيها جمال، وهي فوق ذلك تحمل برهاناً على صدق دعواه، وتؤيد الحال الذي يدّعيها.

أو يقول:

مَا زِلْتَ تتْبعُ مَا تُولِي يَداً بِيَدٍ حَتى ظَنَنْتُ حَيَاتِي مِنْ أيادِيكا

فيعدل عن التشبيه والاستعارة إلى المجاز المرسل، ويطلق كلمة «يد» ويريد بها النعمة، لأن اليد آلة النعم وسببها.

أو يقول:

فَمَا جازَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَه ولَكنْ يَسير الجود حيث يسير

فيأتي بكناية عن نسبة الكرم إليه، بادّعاء أن الجود يسير معه دائماً، لأنه بَدَل أن يحكم بأنه كريم ادّعى أن الكرم يسير معه أين ما سار، ولهذه الكناية من البلاغة والتأثير في النفس وحسن تصوير المعنى فوق ما يجده السامع في غيرها من بعض ضروب الكلام.

فأنت ترى أنه من المستطاع التعبير عن وصف إنسان بالكرم بأربعة عشر أسلوباً، كلٌّ له جماله وحسنه وبراعته، ولو نشاء لأتينا بأساليب كثيرة أُخرى في هذا المعنى، فإن للشعراء ورجال الأدب افتناناً وتوليداً للأساليب والمعاني لا يكاد ينتهي إلى حد، ولو أردنا لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفة المناحي في صفات أخرى كالشجاعة والإباء والحزم وغيرها، ولكنا لم نَقْصِد إلى الإطالة، ونعتقد أنك عند قراءتك الشعرَ العربيَّ والآثار الأدبية ستجد بنفسك هذا ظاهراً وسَتَدْهَش للمَدَى البعيدِ الذي وصل إليه العقل الإنساني في التصوير البلاغيّ والإبداع في صوغ الأساليب. عن البلاغة الواضحة.

تم بحمد الله علم البيان ويليه علم البديع بعونه تعالى.

علم البديع

البديع لغة: المُختَرَع المُوجَد على غير مثال سابق، وهو مأخوذ من قولهم بَدَع الشيء، وأبدعه اخترعَه لا على مثال[1].

واصطلاحاً: هو علم يُعْرف به الوجوه[2] والمزايا التي تزيد الكلام حُسْناً وطلاوة وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد.

وواضعه عبد الله بن المُعتَز المُتوفَّى سنة ٢٧٤ هجرية ـ ثم اقتفى أثره

---

(١) البديع فعيل بمعنى مُفعل أو بمعنى مفعول، ويأتي البديع بمعنى اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿**بديع السموات والأرض**﴾ [البقرة: ١١٧] أي مبدعها.

(٢) وجوه التحسين أساليب وطرق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميقه، وتحسين الكلام بعلمي المعاني والبيان «ذاتي» وبعلم البديع «عَرَضي» ووجوه التحسين إما معنوية وإما لفظية.

فالبديع المعنوي: هو الذي وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ فيبقى مع تغيير الألفاظ كقوله:

أتطلبُ صاحباً لا عَيْبَ فيه ... وأنت لكل من تهوى رَكُوبُ

ففي هذا القول ضربان من البديع (هما الاستفهام والمقابلة) لا يتغيران بتبدل الألفاظ كما لو قلت مثلاً: كيف تطلب صديقاً منزهاً عن كل نقص، مع أنك أنت نفسك ساع وراء شهواتك؟

والبديع اللفظي: هو ما رجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون المعنى فلا يبقى الشكل إذا تغير اللفظ، كقوله:

إذا مَلِكٌ لَمْ يكُنْ ذا هِبَهْ ... فَدَعْهُ فدولته ذاهِبَه

فإنك إذا أبدلت لفظة (ذاهبة) بغيرها ولو بمعناها فيسقط الشكل البديعي بسقوطها وملخص القول أن المحسنات المعنوية هي ما كان التحسين بها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات، وإن حسَّنَت اللفظ تبعاً. والمحسنات اللفظية هي ما كان التحسين بها راجعاً إلى اللفظ بالأصالة، وإن حسَّنَت المعنى تبعاً.

وقد أجمع العلماء على أن هذه المحسنات خصوصاً اللفظية منها لا تقع موقعها من الحُسْن إلا إذا طلبها المعنى فجاءت عفواً بدون تكلّف وإلّا فمبتذلة.

قَدَامة بن جعفر[١٥٤] الكاتب، ثم ألّف فيه كثيرون كأبي هلال العسكري وابن رشيق القيرواني[١٥٥]، وصفي الدين الحِلي[١٥٦]، وابن حِجَّة الحَمَوي[١٥٧]، وغيرهم.

وفي هذا العلم، بابان وخاتمة.

---

[١٥٤] قدامة بن جعفر: كاتب برع في علم المنطق، له نقد الشعر، ونقد النثر، (توفي سنة ٩٤٨م).

[١٥٥] ابن رشيق القيرواني: شاعر لازم المعز بن باديس الفاطمي، له كتاب: العمدة في صناعة الشعر ونقده (توفي سنة ١٠٧١م).

[١٥٦] صفي الدين الحلي: شاعر كان له ولع بالبديع، له ديوان: درر النحور، نظمه على ترتيب خاص، ففيه ٢٩ قصيدة، كل قصيدة ٢٩ بيتاً، وله ديوان شعر آخر، عاش بين (١٢٧٧ ـ ١٣٤٩م).

[١٥٧] ابن حجة الحموي: شاعر، له خزانة الأدب، وكشف اللثام، وثمرات الأوراق، عاش بين (١٣٦٦ ـ ١٤٣٤م).

الباب الأول

في المحسنات المعنوية

١ ـ التورية[1]

التّورية لغة: مصدر ورّيت الخبر تورية إذا سترته، وأظهرت غيره

---

(١) التورية أن يطلق لفظ له معنيان، أحدهما قريب، والآخر بعيد فيراد البعيد منهما، ويُوَرّى عنه بالقريب.
وتنقسم التورية إلى أربعة أقسام: مجردة، ومرشحة، ومبينة، ومُهَيَّأة.
١ ـ فالمجردة: هي التي لم تقترن بما يلائم المعنيين كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته: فقال: «هذه أختي» ـ أراد أُخوَّة الدّين، وكقوله: ﴿**وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار**﴾ [الأنعام: ٦٠].
٢ ـ والمرشحة: هي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب وسمِّيت بذلك لتقويتها به لأن القريب غير مراد فكأنه ضعيف فإذا ذكر لازمُه تقوّى به نحو: ﴿**والسماء بنيناها بأيد**﴾ [الذاريات: ٤٧] فإنه يحتمل الجارحة وهو القريب، وقد ذكر من لوازمه البنيان على جهة الترشيح ويحتمل القدرة وهو البعيد المقصود، وهي قسمان باعتبار ذكر اللازم قبلها أو بعدها.
٣ ـ والمبينة: هي ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد، سميت بذلك لتبيين المورَّى عنه بذكر لازمِهِ، إذ كان قبل ذلك خفياً فلما ذُكِر لازِمُه تبيّن، نحو:

يـا مَـنْ رآنـي بـالـهـمـومِ مُـطَـوّفـاً ... وظَلَلْتُ مِنْ فَقْدي غُصُوناً في شجون

أتـلُـومُـنـي فـي عِـظْـمِ نَـوْحـي والـبُـكـا ... شأنَ الـمُطَـوَّقِ أنْ يَـنُـوحَ عـلـى غُـصـون

وهي أيضاً قسمان باعتبار ذكر اللازم قبل أو بعد.
٤ ـ والمهيأة: هي التي لا تقع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أو بعدها، فهي قسمان أيضاً، فالأول: وهو ما تتهيأ بلفظ قبل، نحو قوله:

وأظْـهَـرْتَ فـيـنـا مِـنْ سـمـاتِـكَ سُـنَّـةً ... فـأَظْـهَـرْتَ ذاكَ الـفَـرْضَ مِنْ ذَلِكَ الـنَّـدْبِ

فالفرض والندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان.
والبعيد الفرض معناه العطاء والندب الرجل السريع في قضاء الحوائج، ولولا ذكر السُّنة لما تهيأت التورية ولا فُهم الحكمان.

واصطلاحاً: هي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان، أحدهما قريب ظاهر غير مُراد، والآخر بعيد خفيٌّ هو المراد بقرينة، ولكنه ورَّى عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السامع لأول وهلة أنه مُراد وليس كذلك كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠] جرحتم معناه البعيد وهو ارتكاب الذنوب، ولأجل هذا سُمِّيت التَّورية: إيهاماً وتخييلاً وكقول سراج الدين الورَّاق:

أصونُ أدِيمَ وجهي عن أُناسٍ   لقاءُ الموتِ عندهُم الأديبُ
ورَبُّ الشِّعرِ عندهُم بغيضٌ   ولو وافى به لهُمُ «حبيبُ»

وكقوله:

أبياتُ شعرِكَ كالقصـ   ـورِ ولا قصورَ بها يعوقْ
ومن العجائبِ لفظها   حُرٌّ ومعناه «رقيقْ»

٢ ـ الاستخدام

هو ذكر لفظ مُشترك بين معنيين يُراد به أحدهما ثم يُعاد عليه ضمير أو إشارة بمعناه الآخر، أو يُعاد عليه ضميران يُراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما فالأول، كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] أُرِيدَ بالشّهر الهلال، وبضميره الزّمان المعلوم، وكقول معاوية بن مالك:

إذا نَزَلَ السماءُ بأرْضِ قَوْمٍ   رَعَيْنَاه وإنْ كانُوا غِضَابا

أراد بالسماء المطر، وبضميره في «رعيناه» النبات[(١)] وكلاهما معنى مجازي

= والثاني: وهو ما تتهيأ بلفظ بعد، كقول الإمام علي[١٥٨] رضي الله تعالى عنه في الأشعث بن قيس أنه كان يحرك الشّمال باليمين، فالشّمال معناها القريب ضد اليمين، والبعيد جمع شَمْلَة، ولولا ذكر اليمين بعده لما فهم منه السامع معنى اليد الذي به التورية: ومن المجردة قوله:

حملناهُمْ طُرّاً على الدُّهْم بعدما   خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

فإن الدهم له معنيان: قريب وهو الخيل الدهم، وليس مراداً. وبعيد وهو القيود الحديد السود وهو المراد. ومن المرشحة قوله تعالى: **﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾** [التوبة: ٢٩] فإن المراد من اليد الذلة وقد اقترنت بالإعطاء الذي يناسب المعنى القريب وهو العضو.

(١) ملخص الاستخدام هو أن يؤتى بلفظ له معنيان فيراد به أحدهما، ثم بضميره المعنى الآخر كقول الشاعر:

ولِلغزالةِ شيءٌ مِنْ تَلَفُّتِهِ   ونُورُها مِنْ ضِيَا خَدَّيْهِ مُكْتَسَبُ =

---

[١٥٨] الإمام علي: رابع الخلفاء الراشدين، (توفي سنة ٦٦١م) ربيب النبي وابن عمه وصهره. شهد بدراً وأُحداً والخندق وكثيراً من الغزوات الأخرى، بويع بالخلافة بعد عثمان.

للسماء والثاني، كقول البُحتُري:

فسَقَى الغضا والسَّاكِنيه وإنْ هُمُ　　شَبُّوهُ بَيْنَ جوانحي وضُلُوعي

الغضا شجر بالبادية، وضمير ساكنيه راجع إلى الغضا باعتبار المكان وضمير شَبُّوهُ يعود إليه بمعنى النار الحاصلة من شجر الغضا، وكلاهما مجاز للغضا.

٣ ـ الاستطراد

هو أن يَخْرجَ المتكلمُ من الغرض الذي هو فيه إلى آخر لمناسبة بينهما ثم يرجع إلى إتمام الأول كقول السموأل

وإنّا أُناسٌ لا نَرَى القَتْلَ سُبَّةً　　إذا ما رَأَتْهُ عامرٌ وسَلُولُ

يقرّب حبُّ الموتِ آجالَنَا لنا　　وتَكْرَهُهُ آجالُهُم فَتَطُولُ

وما مات منَّا سيّدٌ حَتْفَ أنفِهِ　　ولا طُلَّ منّا حَيْثُ كان قتيلُ

فسياق القصيدة للفخر، واستطرد منه منتقلاً إلى هجو قبيلتي «عامر وسلول» ثم عاد إلى مقامه الأول وهو الفخر بقومه، ومنه قول الآخر:

لنا نُفوسٌ لنَيْلِ المجدِ عاشِقَةٌ　　فإنْ تَسَلَّتْ أَسَلْنَاها على الأَسَلِ

لا يَنْزِلُ المَجْدُ إلّا في منازِلنا　　كالنومِ ليس له مأوى سِوَى الْمُقَلِ

٤ ـ الافتنان

هو الجمع بين فنَّين مختلفين، كالغزل، والحماسة، والمدح، والهجاء والتّعزية والتهنئة، كقول عبد الله بن همّام السلولي، جامعاً بين التعزية والتهنئة،

= أراد الشاعر بالغزالة الحيوان المعروف، وبضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس.

وكقوله:

رأى العقيقَ فأجرى ذاك ناظرَهُ　　مُتَيَّمٌ لجَّ في الأشْواقِ خاطِرُهُ

وكقوله:

إذا لم أُبَرْقِعْ بالحَيا وَجْهَ عفَّتي　　فلا أشْبَهَتْهُ راحتي بالتَّكرُّم

ولا كُنتُ ممّنْ يكسِرُ الجَفْنَ بالوغى　　إذا أنا لم أغْضُضْهُ عن رأيِ مُحَرَّمِ

وقال الآخر في الدعاء أقرّ الله عين الأمير وكفاه شرّها. وأجرى له عَذْبها. وأكثر لديه تِبْرَها، وكقول الشاعر:

رَحَلْتم بالغَدَاةِ فَبِتُّ شوقاً　　أُسائِلُ عَنكُمُ في كُلّ ناد

أراعي النَّجْمَ في سَيْري إليكم　　ويرعاه مِنَ البَيْدَا جوادي

حين دخل على يزيد وقد مات أبوه معاوية، وخلفه هو في المُلْك:

«آجرَك اللّهُ على الرَّزِيَّة، وبارك لك في العَطِيَّة، وأعانك على الرَّعيَّة، فقد رُزِئْتَ عظيماً، وأُعطيت جَسيماً، فاشْكُرِ اللّهَ على ما أُعْطيتَ؛ واصْبِرْ على ما رُزِيت، فَقَدْ فَقَدْتَ الخليفة. وأُعْطيت الخلافة، ففارقْتَ خليلاً ووُهِبْتَ جليلاً»

اصبر يزيدُ فقد فارَقْتَ ذا ثِقَةٍ ... واشكرْ حِبَاء الذي بالمُلْكِ أَصْفَاكَ

لا رُزءَ أصبح في الأقْوام نَعْلَمُه ... كما رُزِئتَ ولا عُقْبَى كَعُقْباكَ

وكقول عنترة يخاطب عَبلة:

ولقد ذكَرْتُكِ والرِّماحُ نواهِلٌ ... منّي وبِيضُ الهندِ تَقْطُر مِنْ دمي

فَوَدَدْتُ تقبيلَ السُّيوفِ لأنّها ... لَمَعَتْ كبارقِ ثَغْرِكِ المُتبسِّمِ

٥ ـ الطباق[1]

الطّباق هو الجمع بين الشيء وضدّه في الكلام، وهما قد يكونان اسمين، نحو: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديث: ٣] ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨] أو فعلين، نحو: ﴿هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم: ٤٣] ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣] أو حرفين، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٢٨] أو مختلفين، نحو: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[2] [الرعد: ٣٣] ونحو: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

---

(١) ويسمى بالمطابقة، وبالتضاد، وبالتطبيق، وبالتكافؤ، وبالتطابق، وهو: الجمع في الكلام بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل تقابل الضدين أو النقيضين أو الإيجاب والسلب، أو التضايف.

(٢) والطباق ضربان: أحدهما طباق الإيجاب وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً، نحو: **﴿تُؤتي المُلْكَ مَنْ تشاءُ وتَنزِعُ المُلْكَ ممَّنْ تشاءُ وتُعِزُّ مَنْ تشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تشاءُ﴾** [آل عمران: ٢٦] وكقوله:

حُلْوُ الشمائلِ وهو مُرٌّ باسلٌ ... يحمي الذِّمارَ صبيحةَ الإرهاقِ

وثانيهما طباق السلب وهو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد، أحدهما مثبت والآخر منفي، نحو: **﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله﴾** [النساء: ١٠٨] ونحو: **﴿لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾** [الكهف: ٢٢]. أو أحدهما أمر والآخر نهي نحو: **﴿اتَّبِعُوا ما أُنزِلَ إِلَيكُمْ مِنْ ربكُمْ ولا تَتَّبِعُوا مِنْ دونِهِ أَوْلِيَاء﴾** [الأعراف: ٣] ونحو: **﴿فلا تَخْشَوُا النَّاس واخشونِي﴾** [المائدة: ٤٤] ويلحق بالطباق ما بُني على المضادّة تأويلاً في المعنى نحو: **﴿يَغْفِرُ لمنْ يشاءُ ويعذِّبُ مَنْ يشاءُ﴾** [الفتح: ١٤] فإنَّ التعذيب لا يقابل المغفرة صريحاً لكن على تأويل كونه صادراً عن المؤاخذة التي هي ضد =

٦ ـ المقابلة

هي أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يُؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ٨] وكقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال صلى الله عليه وسلم للأنصار «إنكم لَتَكْثُرونَ عنْد الفزَع وَتقِلُّون عند الطَّمَع» وقال خالد بن صفوان يصف رجلاً: ليس له صديق في السرِّ ولا عدوٌّ في العلانية. وقال:

وبـاسـطُ خـيـرٍ فـيـكـمْ بـيـمـيـنِهِ وقـابـضُ شـرٍّ عـنـكُـمْ بـشِـمـالِـه

وكقوله:

ما أحسن الدِّين والدُّنيا إذا اجْتَمَعَا وأقْبَحَ الكُفْرَ والإفْلَاسَ بالرجلِ

٧ ـ مراعاة النظير[1]

هي الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد، وذلك إمّا بين اثنين، نحو ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وإمّا بين أكثر، نحو: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦].

ويلحق بمراعاة النظير ما بُني على المناسبة في «المعنى» بين طرفي الكلام يعني أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى نحو و﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فإن «اللطيف» يناسب عدم إدراك الأبصار له، و «الخبير» يناسب إدراكه سبحانه وتعالى للأبصار.

أو بُنِي على المناسبة في «اللفظ» باعتبار معنى له غير المعنى المقصود في العبارة نحو: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٥، ٦] فإنّ المراد «بالنجم» هنا النبات، فلا يناسب «الشمس» و «القمر» ولكن لفظه يناسبهما

= المغفرة. أو تخييلاً في اللفظ باعتبار أصل معناه، نحو: **﴿مَنْ تولاَّهُ فإنَّه يُضِلُّه ويَهْدِيه إلى عَذَابِ السَّعِير﴾** [الحج: ٤] أي يقوده فلا يقابل الضَّلالَة بهذا الاعتبار ولكن لفظه يقابلها في أصل معناه، وهذا يقال له «إيهام» التضاد.

(١) وتسمى بالتناسب والتوافق والائتلاف.

باعتبار دلالته على الكواكب، وهذا يقال له «إيهام التناسب» كقوله:

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلقتْ في جبينها ... وفي نَحْرِها الشَّعْرَى وفي خدِّها القمرُ

٨ ـ الإرصاد

هو أن يذكر قبل الفاصلة من الفقرة أو القافية من البيت ما يدلُّ عليها إذا عُرف الرّوِيُّ، نحو: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] ونحو: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(١) [العنكبوت: ٤] وكقول الشاعر:

أَحَلَّتْ دمي مِنْ غَيْرِ جُرم وحرَّمَتْ ... بلا سَبَبٍ عند اللِّقاءِ كلامي

فليس الذي حلَّلْتِهِ بِمُحَلَّلٍ ... وليس الذي حرَّمتِهِ بمُحَرَّمِ

ونحو: إذا لَمْ تستَطِعْ شيئاً فَدَعْهُ ... وجاوِزْهُ إلى ما تَسْتَطِيعُ

وقد يستغني عن معرفة الرويّ، نحو: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

٩ ـ الإدماج

هو أن يُضمَّن كلامٌ سيق لمعنى معنى آخرَ لم يُصرَّحْ به، كقول المتنبي:

أُقلِّبُ فيه أجفاني كأنِّي ... أَعُدُّ بها على الدَّهْرِ الذُّنُوبا

ساق الشاعر الكلامَ أصالة لبيان طول الليل، وأدمج الشكوى من الدهر في وصف الليل بالطول.

١٠ ـ المذهب الكلامي

هو أن يُورِد المتكلم على صحة دعواه حُجَّة قاطعة مُسلَّمة عند المخاطب بأن تكون المقدِّمات بعد تسليمها مستلزمةً للمطلوب، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢] واللّازم وهو الفساد باطل، فكذا الملزوم وهو تعدُّد الآلهة باطل.

ونحو: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥] ونحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:

---

(١) فالسامع إذا وقف على قوله تعالى «قبل طلوع الشمس» بعد الإحاطة بما تقدم علم أنه «وقبل الغروب» كذلك البصير بمعاني الشعر وتأليفه إذا سمع المصراع الأول علم أن العجز ليس إلا ما قاله الشاعر.

٢٧] أي وكل ما هو أهون عليه فهو أدخل تحت الإمكان، فالإعادة ممكنة.

١١ ـ حسن التعليل

حسن التعليل، أن يُنكِرَ الأديبُ صراحةً أو ضمناً علةَ الشيء المعروفةَ، ويأتي بعلة أدبيّة طريفة تناسب الغرض الذي يرمي إليه، يعني أن الشّاعر أو النّاثرَ يدَّعي لوصفٍ علّةً غير حقيقية مناسبةً له باعتبارٍ لطيف، مشتمل على دِقّةِ النّظر، كقول المعرِّي في الرثاء:

وما كُلْفَةُ البدرِ المنيرِ قديمةً ... ولكنها في وَجْهِهِ أَثرُ اللَّطْمِ

يقصد أنَّ الحزن على المرثي شمل كثيراً من مظاهر الكون، فهو لذلك يدَّعى أن كُلْفَةَ البدر وهي ما يظهر على وجهه من كُدْرَة ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من أثر اللطم على فراق المرثي، ومثلُه قوله:

أما ذُكاءُ فَلَمْ تَصْفَرَّ إذْ جَنَحَتْ ... إلّا لفُرقَةِ ذاكَ المنظَرِ الحسَنِ

يقصد أنّ الشمس لم تصفر عند الجنوح إلى المغيب للسبب المعروف ولكنها اصفَرّتْ مخافة أن تفارق وجه الممدوح، ومثله قول الشاعر:

ما قصَّر الغيثُ عَنْ مصرٍ وتُرْبتها ... طَبْعاً ولكنْ تعدَّاكُم مِنَ الخَجَلِ

ينكر هذا الشاعر الأسبابَ الطبيعيةَ لقلة المطر بمصر، ويلتمس لذلك سبباً آخر: وهو أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعمُّها فضلُ الممدوح وجوده، لأنه لا يستطيع مباراته في الجود والعطاء.

ولا بد في العلة أن تكون ادِّعائيةً، ثم الوصف أعمّ من أن يكون ثابتاً فيُقصد بيانُ علته أو غير ثابت فيراد إثباته.

فالأول: أ ـ وصفٌ ثابتٌ غير ظاهر العلة كقوله:

بَيْنَ السيوفِ وعينيها مشاركةٌ ... مِنْ أجْلها قيل للأجفانِ أَجْفانُ

وقوله:

لَمْ يَحْكِ نائِلَكَ السحابُ وإنما ... حُمَّتْ به فصبيبُها الرُّحَضَاءُ[1]

(١) أي أن السحائب لا تقصد محاكاة جودك بمطرها لأن إعطاءك المتتابع أكثر من مائها وأغزر. ولكنها حمت حسداً لك. فالماء الذي ينصب منها هو عَرَقُ تلك الحمّى ـ فالرُّحَضَاء عَرَق الحمى، ومنه قول ابن رشيق: =

وقوله:

زعم البنفسج أنه كعذاره حُسْناً فسلُّوا من قفاه لسانه

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف لا علَّة له، لكنه ادّعى أن علتَّه الافتراء على المحبوب.

ب ـ أو وصف ثابت ظاهر العلة غير التي تذكر كقول المتنبي:

ما به قَتْلُ أعاديه ولَكِنْ يَتَّقي إخلافَ ما تَرْجو الذئابُ

فإنَّ قتل الأعادي عادة للملوك لأجْل أن يسلموا من أذاهم وضَرِّهم ولكنَّ المتنبي اخترع لذلك سبباً غريباً فتخيل أن الباعث له على قتل أعاديه لم يكن إلا ما اشتهر وعرف به حتى لدى الحيوان الأعجم من الكرم الغريزي ومحبته إجابة طالب الإحسان، ومن ثَمَّ فتك بهم لأنه علم أنه إذا غدا للحرب رجَت الذئاب أن يتَّسع عليها رزقها، وتنال من لحوم أعدائه القتلى، وما أراد أن يخيب لها مطلباً.

والثاني: وصف غير ثابت، وهو إما ممكن ـ كقول مسلم بن الوليد[١٥٩]:

يا وَاشياً حَسُنَتْ فينا إساءتُه نجّى حَذَارُكَ إنساني مِنَ الغرقِ

فاستحسان إساءة الواشي ممكن، ولكنه لما خالف الناس فيه عَقَّبه بذكر سببه، وهو أنَّ حَذَارَه مِن الواشي منعه من البكاء، فسلم إنسانُ عينه مِنَ الغرق في الدموع.

وإمّا غير ممكن، كقول الخطيب القزويني:

لو لم تكن نِيّةُ الجوزاءِ خدمتَه لما رأيتَ عليها عِقْدَ مُنتَطِقِ

= سألْتُ الأرضَ لِمْ كَانتْ مُصَلَّى ولِمْ جُعِلَتْ لنا طُهراً وطيبا
فقالت غَيْرَ ناطقةٍ لأني حَوَيْتُ لكلِ إنسانٍ حبيبا

ومن حسن التعليل قوله:

ما زُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ كَيْد يُرادُ بها وإنَّما رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِهِ طَرَبا

وكقول الآخر:

أرَى بَدْرَ السَّماءِ يلوحُ حيناً ويبدو ثم يلتحِفُ السَّحابا
وذاك لأنَّه لمَّا تبدّى وأبصرَ وجْهَكِ اسْتَحْيَا وغابَا

---

[١٥٩] مسلم بن الوليد: شاعر عباسي (توفي سنة ٨٢٣م). لقب بصريع الغواني مدح هارون الرشيد والبرامكة، وولاه الفضل بن سهل البريد في جرجان في عصر المأمون.

جعل الشاعر علّة شدّ الجوزاء النطاق في وسطها خدمة الممدوح وهي صفة غير ممكنة، فقصد إثباتها على خلاف الواقع(1).

١٢ ـ التجريد

هو لغة إزالة الشيء عن غيره، واصطلاحاً: أن ينتزعَ المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر مثلَه في تلك الصفة، مبالغة في كمالها في المنتزع منه، حتى أنه قد صار منها بحيث يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر بها، وهو أقسام:

أ ـ منها ما يكون بواسطة مِنْ التجريدية كقولك: لي من فلان صديق حميم أي بلغ فلان من الصداقة حداً صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها. ونحو:

ترى منهمُ الأُسْدَ الغِضَابَ إذا سَطَوْا ... وتنظرُ منهم في اللقاءِ بُدُورا

ب ـ ومنها ما يكون بواسطة الباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه.

نحو قولهم: لئن سألت فلاناً لتَسْأَلنَّ به البحر، بالغ في اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحراً فيها.

جـ ـ ومنها ما لا يكون بواسطة نحو: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢].

د ـ ومنها ما يكون بطريق الكناية كقول الأعشى[١٦٠].

يا خير من ركب المَطِيَّ ولا ... يشربُ كأساً بكفِّ مَنْ بَخِلا(2)

---

(١) ومثله قول ابن المعتز:

قالوا اشتكتْ عينُه فقلتُ لهم ... مِنْ كثرةِ القتْلِ نالها الوصَبُ

حُمْرَتُها من دماءِ مَنْ قتلتْ ... والدّمُ في السّيفِ شاهِدٌ عَجَبُ

وكقوله:

فَلَئِنْ بقيتُ لأرْحَلَنَّ بغزوةٍ ... تحوي الغنائمَ أوْ يموتَ كريمُ

(٢) أي يشرب الكأس بكفِ الجواد، انتزع منه جواداً يشرب هو بكفه على طريق الكناية، لأن الشرب بكف غير البخيل يستلزم الشرب بكف الكريم وهو لا يشرب إلا بكف نفسه، فإذاً هو ذلك الكريم.

ومن التجريد خطاب المرء نفسه كقول المتنبي:

لا خيل عندك تُهْديها ولا مالُ ... فليُسْعِد النُّطْقُ إنْ لم تُسْعِد الحالُ

---

[١٦٠] الأعشى: هو أعشى قيس، (توفي سنة ٦٢٩م) شاعر جاهلي لقب بصناجة العرب.

١٣ ـ المشاكلة

هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صُحبته، كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] المراد ولا أعلم ما عندك وعبّر بالنفس للمُشاكلة. ونحو: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] أي أهملهم، ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته.

ومن ذلك ما حُكِي عن أبي الرَّقْمَع أن أصحاباً له أرسلوا يدعونه إلى الصَّبُوح في يوم بارد ويقولون له ماذا تريد أن نصنع لك طعاماً، وكان فقيراً ليس له كسوة تقيه من البرد، فكتب إليهم يقول:

أصحابنا قصدوا الصَّبُوح بسَحْرَةٍ وأتى رسولهُمُ إليَّ خَصيصا
قالوا اقتَرِحْ شيئاً نُجِدْ لك طَبْخَه قلتُ أطبخُوا لي جُبّةً وقميصا[(١)]

وكقوله:

مَنْ مُبلغٌ أبناءَ يَعرُبَ كُلَّها أني بنَيْتُ الجارَ قَبْلَ المنزل

وكقوله:

ألَا لا يَجهلَنْ أحَدٌ علينا فنَجْهَلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلينا

١٤ ـ المزاوجة

هي أن يُزاوج المتكلّم بين معنيين في الشّرط والجزاء، بأن يُرَتّب على كلّ منهما معنى رُتِّب على الآخر، كقوله:

إذا ما نهى النّاهي فَلَجَّ بيَ الْهَوَى أصاخَتْ إلى الواشي فَلَجَّ الهَجْرُ

زاوج بين النَّهي والإِصاخة في الشرط والجزاء بترتيب اللجاج عليهما وكقوله:

إذا احْتَرَبتْ يوماً ففاضَتْ دماؤُها تَذَكَّرَتِ القُرْبى ففاضتْ دُمُوعُها

زاوج بين الاحترابِ «التّحارب» وَتَذكُّرِ القربى في الشرط والجزاء بترتيب الفيض عليهما.

= أي الغنى ـ فقد انتزع من نفسه شخصاً آخر وخاطبه، وهذا كثير في كلام الشعراء وإنما سُمّي هذا النوع تجريداً لأن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرداً عن الإنسان كأنه غيره، وفائدة هذا النوع (مع التوسع) أن يثبت الإنسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوته له.

(١) أيَ خيطوا لي جبة وقميصاً فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام.

١٥ ـ الطَّيّ والنَّشْر

الطيّ والنشر: أن يُذْكَرَ مُتَعَدِّد، ثم يُذْكَرَ ما لكلٍّ من أفراده شائعاً من غير تعيين، اعتماداً على تصرُّف السامع في تمييز ما لكلّ واحد منها. وردِّه إلى ما هو له، وهو نوعان:

١ ـ إمَّا أن يكون النّشر فيه على ترتيب الطّي، نحو: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣] فقد جمع بين الليل والنهار ثم ذكر السكون للّيل، وابتغاء الرزق للنهار، على الترتيب وكقوله:

عيونٌ وأصداغٌ وفَرْعٌ وقامةٌ ... وخَالٌ وَوجْنَاتٌ وفرقٌ وَمرشفُ
سُيوفٌ ورَيْحانٌ ولَيْلٌ وبانَةٌ ... ومِسْكٌ وياقوتٌ وصُبْحٌ وقَرْقَفُ

وكقوله:

فعلُ المُدَام ولونها ومذاقِها ... في مُقْلَتَيْهِ ووَجْنَتَيْهِ وريقِهِ

ب ـ وإمَّا أن يكون على خلاف ترتيبه ـ نحو: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢].

ذكر ابتغاء الفضل للثاني، وعلم الحساب للأول على خلاف الترتيب وكقوله:

ولحظُهُ ومُحيَّاهُ وقامتُهُ ... بَدْرُ الدُّجى وقَضيبُ البانِ والرَّاح

فبدر الدُّجى راجع إلى «المحيَّا» الذي هو الوجه، و «قضيب البان» راجع إلى «القامة»، والراح راجع إلى «اللَّحظ»، ويُسمَّى اللّفّ والنّشر أيضاً.

١٦ ـ الجمع

هو أن يَجمع المتكلم بين متعدّدٍ تحت حُكْم واحد وذلك قد يكون:

أ ـ في اثنين، نحو: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] ونحو: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

ب ـ أو في أكثر، نحو: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠]

إنَّ الشَّبابَ والفَراغ والجِدَه ... مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أيَّ مَفْسَدَه

وكقوله:

آراؤهُ وعَطَايَاهُ ونِعمتُهُ ... وعَفْوهُ رحمةٌ لِلنّاسِ كُلِّهِمُ

وكقوله:

آراؤكُم ووجوهُكُم وسيُوفُكُم ... في الحادثاتِ إذا دَجَوْن نُجُومُ

١٧ ـ التفريق

هو أَنْ يَعمدَ المتكلّم إلى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تبايناً وتفريقاً بذكر ما يفيد معنى زائداً فيما هو بصدده من مدحٍ أو ذم أو نسيب أو غير ذلك من الأغراض، نحو: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢] وكقوله الشاعر:

ما نوالُ الغمام وقتَ ربيعٍ ... كنوالِ الأميرِ يومَ سَخَاء

فنوالُ الأمير بَدْرَةُ عَيْنٍ ... ونوالُ الغمامِ قَطْرَةُ ماء

وكقوله:

مَنْ قاسَ جَدْوَاكَ يوماً ... بالسُّحْبِ أَخْطأَ مَدْحَكْ

السُّحب تُعْطِي وَتبْكي ... وأنت تُعطي وتضحكْ

وكقوله:

من قاس جَدْواك بالغَمام فما ... أَنْصَفَ في الحُكْمِ بَيْن شَكْلَيْن

أنتَ إذا جُدْتَ ضاحِكٌ أبدا ... وهو إذا جاد دامعُ العينِ

وكقوله:

وزدُ الخدود أَرقُّ مِنْ ... وَرْدِ الرّياضِ وأنعمُ

هذاكَ تَنْشُقُهُ الأنو ... فُ وذا يُقبِّلُه الفمُ

١٨ ـ التقسيم

هو أن يُذكر متعدِّد، ثم يضاف إلى كلٍّ من أفراده مالَه على جهة التَّعْيين نحو: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٤ ـ ٦].

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين:

أوّلهما أن تُستوفى أقسام الشيء، نحو: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦].

وثانيهما أن تُذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل منها ما يليق به كقوله تعالى: ﴿يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] وكقوله:

سأطلبُ حَقّي بالقَنا ومشايخ ... كأنَّهُم مِنْ طولِ ما الْتَثَمُوا مُرْدُ
ثِقالٌ إذا لاقَوْا خِفافٌ إذا دُعُوا ... كثيرٌ إذا شَدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

وكقوله:

ولا يقيم على ضَيْمٍ يُرادُ به ... إلّا الأذَلّانِ عِيرُ الحيِّ والوَتَدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ بِرُمَّتِه ... وذا يُشَجُّ فلا يَرثي له أَحَدُ

١٩ ـ الجمع مع التفريق

هو أن يجمع المُتكلم بين شيئين في حكم واحد، ثم يفرِّق بينهما في ذلك الحكم، نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] وكقوله:

فوجْهُكَ كالنَّارِ في ضوئها ... وقلبي كالنَّارِ في حَرِّها

٢٠ ـ الجمع مع التقسيم

هو أن يجمع المتكلّم بين شيئين أو أكثر تحت حكم واحد، ثم يقسِّم ما جمع ـ أو يقسِّم أولاً ثم يجمع، فالأول نحو: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] وكقول المتنبي:

حتى أقام على أرباضِ خَرْشَنَةٍ[1] ... تَشْقَى به الرُّوم والصُّلْبانُ والبِيَعُ
للرِّقِّ ما نَسَلُوا والقتْلِ ما وَلَدُوا ... والنَّهْبِ ما جَمَعُوا والنَّارِ ما زَرَعُوا

والثاني كقول سيدنا حسان:

قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهُمُ ... أو حاولوا النَّفْعَ في أشْيَاعهم نَفَعُوا
سَجيَّةٌ تلك فيهم غَيْرُ مُحْدَثَةٍ ... إنَّ الخلائقَ فاعْلَم شَرُّها البِدَعُ

٢١ ـ المبالغة

أن يدّعي المتكلم لوصف بلوغَه في الشِّدَّة أو الضَّعف حدًّا مُسْتَبْعَداً أو مستحيلاً ـ وتنحصر في ثلاثة أنواع:

١ ـ تبليغ: إن كان ذلك الادعاء ممكناً عقلاً وعادة، نحو: ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠] وكقوله في وصف فرس:

إذا ما سابقتها الرِّيح فرَّتْ ... وألْقَتْ في يد الرِّيح التُّرابا

---

(١) الأرباض جمع رَبَض وهو ما حول المدينة. وخرشنة بلد بالروم.

٢ ـ وإغراق: إن كان الادعاء ممكناً عقلاً لا عادة، كقوله:

ونُكْرِمُ جارَنَا ما دام فينا ... ونُتْبِعُهُ الكَرامةَ حيثُ مالا

٣ ـ وغلوّ[(١)]: إن كان الدعاء مستحيلاً عقلاً وعادة، كقوله:

تكادُ قِسِيُّهُ من غير رامٍ ... تُمكِّنُ في قلوبهمِ النِّبالا

٢٢ ـ المغايرة

هي مدح الشّيء بعد ذمه أو عكسه، كقول الحريري في مدح الدِّينار:

أَكْرِمْ به أصْفَرَ راقتْ صُفْرَتُه

بعد ذمه في قوله:

تبّاً له مِنْ خادِعٍ مُمارِقِ

٢٣ ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم

هو ضربان:

أ ـ أن يُستثنى من صفة ذم منفية، صفة مدح على تقدير دخولها فيها ـ كقوله:

---

(١) أما الغلو. فمنه مقبول ومنه مردود. فالمقبول ثلاثة أنواع أحدها ـ ما اقترن به ما يقرب به للصحة «ككاد» نحو قوله تعالى: ﴿يكادُ زَيْتُها يضيءُ ولَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نار﴾ [النور: ٣٥] «ولو» نحو قوله تعالى: ﴿لَوْ أنزلنا هذا القرآن على جَبَلٍ لرأيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خَشْيَةِ الله﴾ [الحشر: ٢١].

ثانيها: ما تضمَّن حُسْن تخييل كقول المتنبي:

عَقَدَتْ سنابِكُها عليها عِثْيَراً ... لو تبتغي عَنقاً عليه لأمْكَنا[(٢)]

وقول المعري:

يذيب الرعبُ منه كُلَّ عَضبٍ ... فلولا الغِمْدُ يمسِكُه لسالا

ثالثها: ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة ـ كقول النَّظَّام:

توهَّمَهُ طَرْفي فآلَمَ طَرْفَهُ ... فصار مكانَ الوهْم في خَدِّهِ أثْرُ

ومرَّ بفكْرِي خاطراً فجرحْتُه ... ولَمْ أرَ خَلْقاً قَطُّ يَجْرَحُهُ الفِكْرُ

وقول الآخر:

لكَ أنفٌ يا ابنَ حَرْبٍ ... أنِفَتْ منه الأُنُوفْ

أنت في القدس تُصَلِّي ... وهو في البيت يطوف

(٢) السنابك جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر. والعثير الغبار. والعَنَق ضرب من السير سريع فسيح الخطو ـ يقول إن حوافر هذه الخيل عقدت فوقها غباراً كثيفاً حتى لو أرادت السير عليه لكان يحملها كالأرض لشدة كثافته.

ولا عَيْبَ فيهم غَيْرَ أنّ سيوفَهم بهنَّ فُلولٌ من قِراع الكتائبِ[1]

ب ـ أن يثبت لشيءٍ صفة مدح، ويُؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أُخرى مستثناة من مثلها، كقوله:

ولا عَيبَ فيه غَيْر أني قصدتُه فأنسَتْنيَ الأيامُ أهلاً وموْطِنا

وكقوله:

فتًى كَمُلَتْ أوْصافهُ غَيْرَ أنه جَوادٌ فما يُبقي من المال باقيا

٢٤ ـ تأكيد الذم بما يشبه المدح[2]

هو ضربان أيضاً:

أ ـ أن يُسْتَثنى من صفة مدح منفية، صفة ذم على تقدير دخولها فيها نحو: فلان لا خير فيه إلّا أنه يتصدق بما يسرق، ونحو: لا فضل للقوم إلّا إنهم لا يعرفون للجار حقه، ونحو: الجاهل عدوّ نفسه إلا أنه صديق السفهاء ونحو: فلان ليس أهلاً للمعروفِ إلّا أنه يُسيء إلى مَنْ يحسِنُ إليه.

ب ـ أن يُثْبَتَ لشيء صفةُ ذم ثم يُؤتَى بعدها بأداة استثناء[3] تليها صفة ذم

---

(١) أي إنْ كان تَكَسُّر حد سيوفهم من قارعة الجيوش عيباً فلا عيب فيهم غيره. ومن المعلوم أنه ليس بعيب، وكقول الآخر:

ولا عَيْبَ فيهم سوى أن النَّزيل بهم يسلو عن الأهْلِ والأوطانِ والحَشَمِ

وقوله:

ولا عيب فيه غير أنّ خدودَهُ بهنَّ احمرارٌ مِنْ عُيونِ المتَيَّمِ

وقوله:

ليس به عَيْبٌ سوى أنه لا تقع العينُ على شِبْهِهِ

وقوله:

ولا عَيْبَ في معروفهم غير أنه يُبيِّن عجز الشاكرين عن الشُّكر

وقوله:

ولا عَيْب فيكم غَيْرَ أنَّ ضيوفَكُم تُعابُ بنسيانِ الأحبَّة والوطن

(٢) وهناك نوع آخر يسمَّى: الهجاء في معرض المدح وهو أن يُؤتى بكلام ظاهره مدح، وباطنه ذم، كقوله:

أبو جعفر رجل عالم بما يُصلح المعْدة الفاسده

تخَوَّفَ تُخمةَ أضيافه فعوَّدَهم أكْلَةً واحده

(٣) ومثل أداة الاستثناء في ذلك أداة الاستدراك في قول الشاعر:

وجوه كأزهار الرياضِ نَضارَةً ولكنَّها يَوْمَ الهياجِ صُخورُ =

أُخرى نحو: فلان حسود إلّا أنه نمّام، وكقوله:

هــو الــكــلــب إلا أنّ فــيــه مَــلَالــةً وسُوءَ مُراعاةٍ وما ذاك في الـكـلـب

٢٥ ـ الإيهام أو التوجيه

هو أن يُؤتى بكلام يحتمل معنيين متضادين على السّواء كهجاء ومديح ليبلغ القائل غرضه بما لا يُمْسَكُ عليه، كقول بشّار[١٦١] في خياط أعور اسمه عمرو:

خــاط لــي عــمــرو قَــبَــاء لَــيْــتَ عــيــنــيــه ســواء

ويُحْكى أن محمداً بن حزم هَنأ الحسن بن سهل[١٦٢] باتصال بنته بوران التي تُنسب إليها الأطبخة البُورانية، بالخليفة المأمون العباسي[١٦٣] مع من هنّأه فأثابَهم، وحَرَمه: فكتب إليه إنْ أنْتَ تماديْتَ على حرماني، قلتُ فيك «بيتاً لا يُعرف» أهو مدح أم ذم، فاستحضره وسأله فأقرّ، فقال الحسَن لا أعطيك أو تفعل، فقال:

بــارك الله لــلــحــسَــن ولِــبُــوران فــي الــخَــتَــن
يــا إمــام الــهُــدَى ظَــفِــرْ تَ ولــكــنْ بــبــنــتِ مــنْ؟

فلم يدر ببنتِ مَنْ؟ أفي العظمة وعلوّ الشأن ورفعة المنزلة؟ أم في الدناءة والخسّة؟ فاستحسَنَ الحسَن منه ذلك.

٢٦ ـ نفي الشيء بإيجابه

هو أن يُنفى مُتعلّق أمر عَنْ أمرٍ فيُوهم إثباتَه له، والمراد نفيه عنه أيضاً نحو: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (١) [النور: ٣٧] فإنّ نفي إلهاءَ التجارة عنهم يُوهم إثباتها لهم ـ والمراد نفيها أيضاً.

= وكقوله:

هــو الــبــدر إلا أنــه الــبــحــرُ زاخــراً سِوَى أنـه الـضِّـرْغـامُ لـكـنّـه الـوَبْـلُ

أدرج أهل البيان التدريج في الطباق. وأفرده أهل البديع وهو الأولى لجواز أن لا يقع التقابلُ بين الألوانِ فيفوت الطباق.

(١) مقتطع من الآية التي مرت في مبحث ترك المسند حيث يقول: **﴿يُسَبِّحُ له فيها بالغُدُوّ والآصالِ** =

---

[١٦١] بشار بن برد: شاعر عباسي عاش بين (٧١٤ ـ ٧٨٤م) كان هجّاء ومنعزلاً رمي بالزندقة، وجُلد حتى مات، كان أعمى.

[١٦٢] الحسن بن سهل: وزير الخليفة العباسي السابع المأمون، ووالد زوجه بدران (توفي سنة ٨٥١م).

[١٦٣] المأمون: سابع الخلفاء العباسيين عاش بين (٧٨٦ ـ ٨٣٣م) أنشأ بيت الحكمة، وازدهرت في عهده حركة الترجمة.

٢٧ ـ القول بالموجب

القول بالموجب نوعان:

الأول: أن يقع في كلام الغير إثبات صفة لشيء وترتيب حكم عليها فينقل السامع تلك الصفة إلى غير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] [المنافقون: ٨] فالمنافقون أرادوا بالأعز أنفسهم، وبالأذل المؤمنين. ورتّبوا على ذلك الإخراج من المدينة. فنُقلت صفة العزة للمؤمنين، وأُبقيَتْ صفةُ الأذليَّة للمنافقين، من غير تعرُّضٍ لثبوت حكم الإخراج للمتصفين بصفة العزة، ولا لنفيه عنهم.

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده بذكر متعلّق له كقوله:

وقالوا قَدْ صَفَتْ منّا قلوبٌ ... لَقَدْ صدقُوا ولكنْ عَنْ وِدادي

أرادوا بصفو قلوبهم الخلوص، فحمله على الخلوّ بذكر متعلّقه وهو قوله «عن وِدادي».

٢٨ ـ ائتلاف اللفظ مع المعنى

هو أن تكون الألفاظ مُوافقة للمعاني، فتُختار الألفاظ الجزلة والعبارات الشديدة للفخر والحماسة، وتُختار الكلمات الرقيقة، والعبارات اللّينة للغزل والمدح، كقوله:

إذا ما غَضِبْنا غَضْبَةً مُضرِّيةً ... هَتَكْنا حِجابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرتْ دمَا

إذا ما أَعَرْنَا سيّداً مِنْ قبيلة ... ذُرا مِنْبَرٍ صلَّى علينا وسَلَّما

وكقوله:

ولَستُ بنظَّارٍ إلى جانبِ الغِنى ... إذا كانت العلْياءُ في جانبِ الفَقْرِ

= رجالٌ لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بَيعٌ عَنْ ذِكرِ الله﴾ فإن قوله: ﴿لا تلهيهم تجارة﴾ يوهم أن لهم تجارة غير أنهم لا يلتهون بها. ولكن المراد أنهم ليس لهم تجارة حتى يلتهوا بها لأن رجال الجنة لا يتعاطون التجارة.

(١) تلخيص العبارة أن الكافرين حكموا لأنفسهم بالعزة. وللمؤمنين بالذلة وقالوا إن رجعنا إلى المدينة نخرجهم منها. فحكم بالعزة لله ولرسوله والمؤمنين، ولم يقل أنهم يخرجون أولئك منها، ولا أنهم لا يخرجونهم.

وكقوله:

لـم يَـطُـلْ لَـيْـلـي ولـكـنْ لـم أَنَـمْ ... ونَـفَـى عَـنِّـي الْـكَـرَى طَـيْـفُ أَلَـمْ

٢٩ ـ التفريع

هو أن يُثْبَتَ حكمٌ لمتعلّق أمر بعد إثباته لمتعلّق له آخر، كقول الشاعر:

فـاضَـتْ يَـدَاه بـالـنُّـضَـار كـمـا ... فـاضَـتْ ظِـبَـاهُ فـي الْـوغَـى بـدمِـي

وكقوله:

أحـلامُـكُـمْ لِـسِـقَـام الـجَـهْـلِ شـافِـيَـةٌ ... كما دِماؤُكُمْ تَشْفِي مِن الْكَلَبِ[١٦٤]

٣٠ ـ الاستتباع

هو الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بشيء آخر مَدْحا أو ذمًّا يعني أن الاستتباع هو المدح على وجه يستتبع المدح بأمر آخر كقوله:

ألا أيُّـهـا الـمـال الـذي قَـدْ أبـاده ... تَـسَـلَّ فـهـذا فِـعْـلُـهُ بـالـكـتَـائِـب

وكقوله:

سَـمْـحُ الـبـديـهـة لـيس يُـمْـسِـكُ لـفـظَـهُ ... فـكـأنَّـمـا ألـفـاظُـهُ مِـنْ مـالِـهِ

وكقوله:

الـحـربُ نُـزْهـتُـهُ والـبَـأسُ هـمَّـتُـهُ ... والـسَّـيـفُ عَـزْمَـتُـهُ والـلَّـهُ نـاصِـرُهُ

وقيل: إنه يكون أيضاً في الذم كقول بعضهم في قاض لم يقبل شهادته برؤية هلال الفطر:

أَتَـرَى الـقـاضـيَ أَعْـمَـى ... أَمْ تَـراهُ يَـتَـعـامَـى

سَـرَقَ الـعِـيـدَ كـأنَّ الـ ... ـعـيـدَ أمـوالُ الـيـتـامَـى

٣١ ـ السلب والإيجاب(١)

هو أن يقصد المتكلم اختصاص شيء بصفة، فينفيها عن جميع الناس ثم

(١) ويسمّى الرجوع وهو العود على الكلام السّابق بالنقض لنكتة كقول زهير:

قِـفْ بـالـديـار الـتـي لـم يَـعْـفُـهـا الـقِـدَمُ ... بَـلَـى وغـيَّـرهـا الأرواحُ والـدِّيَـمُ[١٦٥] =

[١٦٤] الكَلَب: من كَلِب بمعنى عطش، وتأتي بمعنى: سفه أحلام: مفردها حِلْم بمعنى العقل.

[١٦٥] لم يعفها: من عفا بمعنى محا، الأرواح: مفردها ريح وهو الهواء، الديم: مفردها ديمة: السحابة الممطرة.

يثبتها له مدحاً أو ذماً، فالمدح كقول الخنساء:

وما بَلَغَتْ كَفُّ امرئٍ مُتَنَاوَلاً ... مِنَ المجْدِ إلّا والّذي نلتَ أَطْوَلُ
ولا بَلَغَ المُهْدُونَ للنَّاسِ مِدْحَةً ... وإنْ أَطْنَبُوا إلّا الذي فيك أَفْضَلُ

والذّم، كقول بعضهم:

خُلِقُوا وما خُلِقُوا لِمَكْرُمَةٍ ... فَكَأَنهم خُلِقُوا وما خُلِقُوا
رُزِقُوا ومَا رُزِقُوا سَماحَ يَدٍ ... فَكَأَنَّهُمْ رُزِقُوا ومَا رُزِقُوا

٣٢ ـ الإبداع

هو أن يكون الكلام مُشتملاً على عدّة أنواع من البديع نحو قول الشاعر:

فَضَحْتَ الْحَيَا والبَحْرَ جُوداً فَقَدْ بكى الـ ... ـحَيَا مِنْ حَيَاءٍ مِنْكَ والْتَطَم البَحْرُ(١)

= وكقوله:

وما ضاع شعري عندكم حين قُلْتُهُ ... بلى وأبيكم ضاعَ فَهْوَ يَضُوعُ[١٦٦]

(١) فإنَّ فيه: حسن التعليل في قوله بكى من حيائك. وفيه: التقسيم في قوله فَضَحْت الحيا والبحر، حيث ارجع ما لكل إليه على التعيين بقوله بكى الحيا، والتطم البحر. وفيه: المبالغة في جعله بكاء الحيا والتطام البحر حياء من الممدوح. وفيه: الجمع في قوله فضحت الحيا والبحر. وفيه: رد العجز على الصدر في ذكر البحر والبحر. وفيه: الجناس التام بين الحيا والحياء، وللقرآن الكريم اليد البيضاء في هذا النوع فقد وجد اثنان وعشرون نوعاً في قوله تعالى: **﴿وقيل يا أرضُ ابلَعِي ماءَك ويا سماءُ أقْلِعي وغِيضَ الماءُ وقُضِيَ الأمْرُ واسْتَوَتْ على الجُودي وقيل بُعْداً للقَوْمِ الظالمين﴾** [هود: ٤٤] مع كونِ الآية سَبْع عشرة لفظة، ولا بد لي من ذكرها تبركاً بها وإلجاماً لبعض المعاصرين الذين يتفوهون بما لا يليق ذكره بالنسبة لكلام رب العالمين.

١ ـ ففيها المناسبة التامة بين ابلعي وأقلعي.
٢ ـ الاستعارة فيهما.
٣ ـ الطباق بين الأرض والسماء.
٤ ـ المجاز في قوله يا سماء فإن الحقيقة يا مطر.
٥ ـ الإشارة في «وغيض الماء» فإنه عبر به عن معان كثيرة فإن الماء لا يغيض حتى يقطع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء.
٦ ـ الإرداف في قوله «واستوت على الجودي» فإنه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى. =

---

[١٦٦] ضاع: ضاع شعري: فقد، ضاع يضوع: من ضاع المسك إذا انتشرت رائحته الطيبة.

٣٣ ـ الأسلوب الحكيم

هو تلقّي المُخاطَب بغير ما يترقّبه، إمّا بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإمّا بحمْل كلامه على غير ما كان يَقصِدُ، إشارة إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى، فمثال الأول ما فعله القَبَعْثَرِيُّ بالحجّاج، إذ قال له الحجّاج مُتوعِّداً (لأحملنَّكَ على الأدهَمِ).

يُريد القيد الحديد الأسود: فقال القبعثَرِي «مِثْلُ الأمير يحمل على الأدهم

= ٧ ـ التمثيل في قوله «وقُضِي الأمر» فإنه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع.

٨ ـ التعليل، فإن غيض الماء علة الاستواء.

٩ ـ التقسيم فإنه استوفى أقسام الماء حال نقصه.

١٠ ـ الاحتراس في قوله «وقيل بعداً للقوم الظالمين» إذ الدعاءُ يشعر بأنهم مستحقو الهلاك احتراساً من ضعيف يتوهم أن الفرق لعمومه ربما يشمل غير المستحق.

١١ ـ الانسجام فإن الآية منسجمة كالماء الجاري في سلاسته.

١٢ ـ حسن التنسيق فإنه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب.

١٣ ـ ائتلاف اللفظ مع المعنى لأن كل لفظة لا يصلح لمعناها غيرها.

١٤ ـ الإيجاز فإنه سبحانه وتعالى ـ أمر فيها ونهى. وأخبر ونادى. ونعت وسمّى. وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى ـ وقصَّ من الأنباء ما لو شرح لجفَّت الأقلام.

١٥ ـ التسهيم إذ أول الآية يدل على آخرها.

١٦ ـ التهذيب لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن لأن كل لفظة سهلة مخارج الحروف. عليها رونق الفصاحة، سليمة من التنافر بعيدة عن عقادة التراكيب.

١٧ ـ حسن البيان لأن السامع لا يشكل عليه في فهم معانيها شيء.

١٨ ـ الاعتراض وهو قوله وغيض الماء واستوت على الجودي.

١٩ ـ الكناية فإنه لم يصرح بمن أغاض الماء. ولا بمن قضى الأمر، وسوى السفينة، ولا بمن قال وقيل بعداً. كما لم يصرح بقائل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي في صدر الآية سلوكاً في كل واحد من ذلك سبيل الكناية.

٢٠ ـ التعريض فإنه تعالى عرَّض بسالكي مسالكهم في تكذيب الرسل ظلماً ـ وأن الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلا بظلمهم.

٢١ ـ التمكين لأن الفاصلة قارة متمكنة في موضعها.

٢٢ ـ الإبداع الذي نحن بصدد الاستشهاد له، وفيها غير ذلك ـ وقد أُفردت هذه الآية الشريفة بتآليف لما اشتملت عليه من البلاغة حتى عدّ بعضهم فيها مائة وخمسين نوعاً، وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشر عاجز عن الإتيان بمثلها.

والأشهب» يعني الفرس الأسود، والفرس الأبيض، فقال له الحجّاج: أردت الحديد، فقال القَبَعْثَري: لأنْ يكون حديداً خير من أن يكون بليداً، ومراده تخطئة الحجاج بأنّ الأليق به الوعد لا الوعيد[1] ومثال الثاني قوله تعالى: و﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥] سألوا عن حقيقة ما يُنفقون فأجيبوا ببيان طُرق الإنفاق: تنبيهاً على أنّ هذا هو الأجدر بالسؤال عنه، وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[2] [البقرة: ١٨٩] وقال ابن حَجّاج:

قال ثَقَّلْتُ إذْ أتَيتُ مِراراً ... قُلْتُ ثَقّلتَ كاهلي بالأيَادِي

قال طَوّلْتُ قُلْتُ أوْلَيْتَ طَوْلاً ... قال أبْرَمْتُ قلتُ حَبْلَ وِدَادِي

فصاحب ابن حجّاج يقول له قد ثقّلت عليك بكثرة زياراتي، فيصرفه عن رأيه في أدب وظَرف، وينقل كلامه من معنى إلى معنى آخر، وكقول الشاعر:

ولمّا نعى النّاعي سألناه خَشْيَةً ... وللعينِ خَوْفَ البَيْنِ تَسْكَابُ أمطارِ

أجاب قَضَى: قُلنا قَضَى حاجَةَ العُلا ... فقال مَضى: قلنا بكلِّ فَخارِ

ويُحكى أنه لما توجَّه خالد بنُ الوليد لفتح الحيرة أتى إليه مِنْ قِبَل أهلها رجل ذو تجرِبَة. فقال له خالد: فيمَ أنتَ؟ قال في ثيابي: فقال علامَ أنت؟ فأجاب على الأرض. فقال كَمْ سِنُّك؟ قال اثنتان وثلاثون. فقال أسألك عَنْ شيء وتجيبني بغيره، فقال إنما أجبتك عمّا سألت.

---

(١) سبب ذلك أن الحجاج بلغه أن القبعثريَّ لما ذكر الحجاج بينه وبين أصحابه في بستان قال: اللهم سوّدْ وجهه واقطعْ عنقه واسقني من دمه. فوُشِيَ به إلى الحجاج فلما مثل بين يديه وسأله عن ذلك قال: إنما أردت العنب. فقال له الحجاج ما ذكر، ومثل ذلك قول الشاعر:

ولَقَدْ أتَيْتُ لصاحبي وسألْتُهُ ... في قَرْضِ دينارٍ لأمْرٍ كانا

فأجابني والله داري ما حَوَتْ ... عَيْناً فقلتُ له ولا إنسانا

وسئل تاجر كم رأسَ مالك؟ فقال: إني أمين وثقة الناس بي عظيمة وقال الشاعر:

طلبتُ منه درهماً ... يوماً فأظهر العجبْ

وقال ذا مِنْ فضَّةٍ ... يُصْنَعُ لا مِنَ الذَّهَبْ

وسئل أحد العمال ماذا ادَّخرْتَ من المال؟ فقال: لا شيء يُعادل الصحة.

(٢) بيان ذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ سألوه عن الأهلة لِمَ تبدو صغيرة، ثم تزداد حتى يتكامل نورها. ثم تتضاءل حتى لا ترى؟ وهذه مسألة دقيقة من علم الفلك، تحتاج إلى فلسفة عالية وثقافة عامة فصرفهم عنها ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في المعاملات والعبادات إشارة إلى أن الأولى بهم أن يسألوا عن هذا.

٣٤ ـ تشابه الأطراف

تشابه الأطراف قسمان ـ معنوي ولفظي:

فالمعنوي هو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى، كقول الشاعر:

أَلَذُّ من السِّحْرِ الحلالِ حديثُهُ ... وأعذَبُ مِنْ ماءِ الغَمَامة ريقُهُ

فالريق يناسب اللّذة في أول البيت.

واللفظي نوعان ـ أ ـ أن ينظر الناظم أو الناثر إلى لفظة وقعتْ في آخر المصراع الأول أو الجملة فيبدأ بها المصراع الثاني أو الجملة التالية كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ [النور: ٣٥] وكقول أبي تمام:

هَوًى كان خِلْساً إنَّ مِنْ أبرَدِ الهوى ... هوىً جُلْتُ في أفيائه وهو خاملُ

ب ـ أن يعيد الناظم لفظة القافية من كل بيت في أول البيت الذي يليه.

كقوله:

رمَتْنِي وسِتْرُ الله بيني وبينها ... عَشِيَّةَ آرام الكناس رَمِيمُ

رميمُ التي قالتْ لجيران بيتها ... ضَمِنتُ لكم ألّا يزال يهيمُ

وكقوله:

إذا نزل الحجَّاجُ أرضاً مريضة ... تتبَّعَ أقصى دائِها فشفاها

شفاها من الدَّاء العُضال الذي بها ... غلامٌ إذا هزّ القناة سقاها

سقاها فروَّاها بشُرْبِ سَجَالها ... دماءَ رجالٍ حيثُ مال حَشَاها

٣٥ ـ العكس

هو أن تُقدِّم في الكلام جزءاً ثم تعكس بأن تقدِّم ما أخرْت وتُؤخِّر ما قدمت ويأتي على أنواع:

أ ـ أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه ذلك الطرف نحو كلام الملوك ملوك الكلام، وكقول المتنبي:

إذا أمطرَتْ منهُمْ ومنكَ سحابةٌ ... فوابلُهمْ طَلٌّ وطَلُّكَ وابلُ

ب ـ أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين. كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم: ١٩].

جـ ـ أن يقع بين لفظين في طرفي الجملتين. كقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

د ـ أن يقع بين طرفي الجملتين، كقول الشاعر:

طَويتُ بإحرازِ الفنون ونَيْلها ... رداءَ شَبَابٍ والجُنونُ فُنونُ
فحين تَعاطَيْتُ الفنون وحظَّها ... تبيَّنَ لي أنَّ الفنونَ جُنونُ

هـ ـ أن يكون بترديد مصراع البيت معكوساً. كقول الشاعر:

إنَّ للوَجد في فؤادي تراكُمْ ... لَيْتَ عيني قَبْلَ المماتِ تَراكُمْ
في هواكُمْ يا سادتي مِتُّ وَجْداً ... مِتُّ وجداً يا سادتي في هواكُمْ

٣٦ ـ تجاهل العارف

هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه لنكتة كالتوبيخ في قوله:

أيا شَجَرَ الخابور مالك مُورِقاً ... كأنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ على ابْنِ طَريفِ

أو المبالغة في المدح كقوله:

ألَمْعُ بَرْقٍ سَرَى أمْ ضَوْءُ مِصْبَاح ... أمْ ابتسامَتُها بالمَنْظَر الضاحي

أو المبالغة في الذم كقوله:

وما أدْري وسوف إخالُ أدري ... أقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أم نساءُ

أو التعجب نحو: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥] وغير ذلك من الأغراض.

تمرين (١)

بيِّن الأنواع البديعية فيما يلي:

قال بعضهم في وصف إبل:

صُلْبُ العصا بالضَّرْب قد أدماها ... تودُّ أنَّ الله قد أفناها[(١)]

في وصف إبل هزيلة:

كالقِسيِّ المُعْطَفَاتِ بل الأسـ ... ـهُمِ مَبْرِيَّةً بَل الأوْتارِ[(٢)]

---

(١) الضرب لفظ مشترك بين الضرب بالعصا وهو المعنى القريب ـ والسير في الأرض وهو المعنى البعيد المراد بالتورية.

(٢) فيه مراعاة النظير إذ وصف البحتري الإبل بالنحول فشبهها بأشياء متناسبة وهي القسي والأسهم المبرية والأوتار.

وللـغـزالـةِ شـيءٌ مـن تـلـفُّـتِـهِ ... ونُورُها مِنْ ضِيا خَدَّيْهِ مُكْتَسَبُ[1]

أفنى جُيُوشَ العِدا غَزواً فَلَسْتَ تَرَى ... سِوَى قتيلٍ ومأسورٍ ومُنْهَزِمِ[2]

ولا عَيْبَ فيهم غَيْر أنَّ ذوي النَّدى ... خِساسٌ إذا قِيسوا بهم ولئامُ[3]

على رَأْسِ عَبْدٍ تاجُ عِزٍّ يزينُهُ ... وفي رِجل حُرٍّ قَيْدُ ذُلٍّ يَشينُهُ[4]

إذا لم تَفِضْ عيني العقيق فلا رأتْ ... مَنَازِلُهُ بالقُرْب تَبْهَى وتَبْهَرُ[5]

تمرين (٢)

فلا الجودُ يُفني المال والجَدُّ مُقْبِلٌ ... ولا البُخْلُ يُبقي المالَ والجَدُّ مُدْبِرُ[6]

رحم الله مَنْ تَصَدَّق مِنْ فَضلٍ أوْ ... آسى مِنْ كَفَافٍ، أو آثَرَ مِنْ قُوت[7]

رأى العقيقَ فأجرَى ذاكَ ناظِرُهُ ... مُتيَّمٌ لجَّ في الأشْواقِ خاطِرُه[8]

آراؤُكُم ووُجوهُكم وسيُوفُكُم ... في الحادثاتِ إذَا دَجَوْنَ نُجومُ[9]

ما زُلزلتْ مِصْرُ مِنْ كيدٍ ألمّ بها ... لكنها رَقصتْ مِنْ عَدْلكم طرَبا[10]

أُراعي النَّجْم في سيري إليكم ... ويرعاهُ مِنَ البَيْدا جوادِيَ[11]

جاءني ابنيَ يوماً وكُنْتُ أراه ... ليَ رَيْحانَةً ومَصْدَرَ أُنسِ

---

(١) فيه استخدام: إذ أراد بالغزالة الحيوان المعروف، وبضمير نورها الغزالة بمعنى الشمس.

(٢) فيه تقسيم: إذ هو قد استوفى جميع أقسام جيش العدو بحصرها في الأقسام الثلاثة.

(٣) فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم، فإنه استثنى من صفة ذم منفية صفة مدح.

(٤) فيه مقابلة بين ستة وستة: فقد قابل بين على وفي. رأس ورجل، حر وعبد تاج وقيد، عز وذل، يزين ويشين.

(٥) فيه استخدام: إذ العقيق هنا الدم الشبيه بالعقيق في الحُمْرة، والضمير يعود إليه باعتباره الوادي المعروف بظاهر المدينة ببلاد الحجاز.

(٦) فيه مقابلة: بين الجود والبخل. يفني ويبقي مقبل ومدبر.

(٧) فيه تقسيم باستيفاء أقسام الشيء لأن طبقات الناس هذه الثلاثة ليس غير.

(٨) فيه استخدام: فالعقيق أوّلاً المكان المعلوم في بلاد الحجاز، والضمير يعود إليه بمعنى الحجر المعروف، وقد شبه دموعه به.

(٩) فيه الجمع فقد جمع بين ثلاثة أشياء في حكم واحد.

(١٠) فيه حسن التعليل فقد جعل علة زلزال مصر طرباً من عدل الممدوح لا لمكروه نزل بها.

(١١) فيه استخدام إذ النجم الأول الكوكب، وأعاد عليه الضمير بمعنى النبات الذي لا ساق له.

قال ما الروح؟ قلت إنَّك روحي قال ما النفس؟ قلتُ إنَّك نفسي

تطبيق عام على البديع المعنوي

١ ـ يا سيّداً حاز لُطْفاً له البَرَايا عبيدُ
أنتَ الحسيْنُ ولكن جَفَاك فينا يَزيدُ

وفي هذا الكلام تورية مُهَيَّأة بلفظ قبلها. فإن ذِكْر «الحسين» لازم لكون «يزيد» اسماً بعد احتمال الفعل المضارع الموَرَّى عنه.

٢ ـ حَمَاةُ في بَهْجَتِها جَنَّةٌ وهي من الغمّ لنا جُنَّةٌ
لا تيأسوا من رحمة الله فقد رأيتم العاصِيَ في الجنَّةْ

في هذا الكلام تورية مرشحة. فإنَّ ذكر الرحمة ترشيح للفظ العاصي الموَرَّى به الذي هو من العصيان. والموَرَّى عنه النهر المعروف الذي عبر حماة.

٣ ـ فإن ضيَّعْتُ فيه جميعَ مالي فَكَمْ مِنْ لحيَةٍ حُلِقَتْ بمُوسَى

فيه التورية المرشحة بذكر اللحية والحلق وهما يناسبان الموَرَّى به وهو «موسى» الحديد، والموَرَّى عنه الاسم المذكور.

٤ ـ يا عذولي في مغنّ مطرب حرك الأوتار لمَّا سفرا
لم تَهُز العطْفَ منه طَرَبا عندما تسمع منه وترا

فيه تورية في لفظ «وترا» معناه البعيد المراد هو الرؤية. والقريب أحد الأوتار ـ ولفظ «تسمع» هيأ قوله «وتراً» للتورية بالرؤية.

٥ ـ سألْتُهُ عن قومه فانْثنى يَعْجَبُ مِنْ إفراطِ دمعي السَّخي
وأبصر المسْكَ وبدْرَ الدُّجى فقال ذا خالي وهذا أخي

فيه تورية في لفظ «خالي» معناه البعيد المراد النقطة السوداء في الخد. والقريب أخو الأم. ولفظة «أخي» هي التي هيأت خالي للتورية ـ وهي بعيدة.

٦ ـ وساقيةٍ تدورُ على النَّدَامى وتَنْهَرُهُمْ لسُرْعَةِ شُرْبِ خَمْر
سَنَشْكُرُ يوم لَهْوٍ قَدْ تَقَضَّى بساقيةٍ تقابلُنا بنَهْر

«الساقية» امرأة تسقي الراح وهذا هو المعنى القريب ـ أو ساقية الماء وهو المعنى البعيد. وكل منهما مذكور للتورية في صاحبه، ومهيِّىء لها فيه.

الباب الثاني

في المحسنات اللفظية

١ ـ الجناس[1]

ويقال له التجنيس، والتجانس، والمجانسة؛ ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى ووازى مصنوعه مطبوعه مع مراعاة النَّظير، وتمكّن القرائن فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها لتكتسي من الألفاظ ما يزينها حتى لا يكون التّكلف في الجناس مع مراعاة الالتئام؛ مُوقعاً صاحبه في قول من قال:

طَبْعُ المُجنِّس فيه نوعُ قيادةٍ   أو ما ترى تأليفَه لِلأحْرُفِ

وبملاحظة ما قدَّمنا يكون فيه استدعاء لميل السامع والإصغاء إليه، لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه ويأخذها نوع من الاستغراب والجناس أن يتفق اللّفظان في النّطق ويختلفا في المعنى وهو ينقسم إلى نوعين لفظي ـ ومعنوي.

---

(١) تلخيص القول في الجناس أنه نوعان: تام، وغير تام ـ فالتام هو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة، هي: نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها. وغير التام: هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة كقول الشاعر:

وسَمَّيْتُه يَحْيى لِيَحْيا فَلَمْ يَكُنْ   إلى ردِّ أمرِ الله فيهِ سبيلُ

وكقول ابن الفارض:

هَلَّا نَهاك نُهاك عَنْ لَوْمِ امرئٍ   لم يُلْفَ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بشقاءِ

وكقوله:

لَوْ زارنا طَيْفُ ذاتِ الخالِ أحيانا   ونحنُ في حُفَرِ الأجداثِ أحْيانا

وقول الخنساء:

إنَّ البُكاء هُو الشِّفا   ءُ من الجَوَى بَيْنَ الجوانح

وقول المعري:

لَمْ نَلْقَ غَيْرَك إنساناً يُلاذُ به   فلا بَرِحْتَ لعينِ الدَّهر إنسانا

وقول الحريري:

لا أُعْطي زَمَاني مَنْ يَخْفِر ذمامي   ولا أغْرِسُ الأيادِيَ في أرْضِ الأعَادي

أنواع الجناس اللفظي

١ ـ منها الجناس التام وهو ما اتفق فيه اللّفظان في أربعة أشياء، نوع الحروف، عددها، وهيئآتها، وترتيبها مع اختلاف المعنى.

فإن كانا من نوع واحد كإسمين أو فعلين أو حرفين سُمِّي مُماثلاً ومُستوفياً ـ نحو: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥] فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة، وبالثانية واحدة الساعات الزمانية ونحو: رَحبَةٌ رَحْبَة ـ الأولى فناء الدار، والثانية بمعنى واسعة.

وإن كانا من نوعين كفعل واسم، سُمِّي مستوفياً نحو ارْعَ الجار ولو جار، وكقول الشاعر:

ما مات مِنْ كَرَمِ الزمانِ فإنَّه ... يَحْيَا لدى يَحْيَى بنِ عَبْدِ الله

فيحيا الأول فعل مضارع، ويحيى الثاني عَلَم الكريم الممدوح. ونحو:

إذا رَمَاكَ الدَّهْرُ في مَعْشَر ... قَدْ أجمَع الناسُ على بُغْضِهِمْ

فَدَارِهِمْ ما دُمتَ في دارِهم ... وأرْضِهِمْ ما دُمتَ في أرْضِهِمْ

وأما الجناس الناقص فهو ما اختلف فيه اللفظان في عدد الحروف، واختلافهما يكون إمّا بزيادة حرف في الأول نحو دوام الحال من المحال أو في الوسط نحو: جَدِّي جَهْدي، أو في الآخر نحو: الهوى مطيَّةُ الهوان، والأول يسمى «مردوفاً» والثاني يسمى «مُكْتَنفاً» والثالث يسمى «مُطَرَّفاً».

٢ ـ ومنها الجناس المطلق: وهو توافق ركنيه في الحروف وترتيبها بدون أن يجمعهما اشتقاق، كقوله ﷺ: «أسْلَم سَالَمَها اللَّهُ وغفارٌ غَفَر اللَّهُ لها؛ وعُصَيَّةِ عَصَت اللَّهَ ورسولَه»[١٦٧].

فإن جَمَعَهُما اشتقاقٌ ـ نحو: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ فقيل يُسمَّى جناس الاشتقاق(١).

---

(١) كقوله:

فيا دَمْعُ أنْجِدْني ... على ساكني نجد

وكقوله:

وإذا ما رياحُ جُودِكَ هبَّتْ ... صار قولُ العذولِ فيه هَبَاءَ

---

[١٦٧] صحيح البخاري/ كتاب المناقب/ باب ذكر أسلم وغفار الحديث ٣٢٥٢.

٣ ـ ومنها الجناس المُذيَّل ـ «والجناس المُطرَّف» فالأول: يكون الاختلاف بأكثر من حرفين في آخره، والثاني: يكون بزيادة من حرفين في أوله.

فالمذيل، كقول أبي تمّام:

يَـمُـدُّون مِـنْ أيـدٍ عـواصٍ عـواصـم ... تَـصُـولُ بـأَسْـيَـافٍ قَـوَاضٍ قَـواضِـبِ

والمطرَّف، كقول الشيخ عبد القاهر:

وكَـمْ سَـبَـقَـتْ مـنـه إلـيَّ عـوارف ... ثـنـائي عـلـى تـلـك الـعـوارفِ وَارِفُ

وكَـمْ غُـرَرٍ مِـنْ بـرِّهِ ولـطـائـف ... لِشُكْري على تلكَ اللَّطائفِ طائِفُ

٤ ـ ومنها الجناس المضارع، «والجناس اللاحق» فالأول: يكون باختلاف ركنيه في حرفين لم يتباعدا مخرجاً إمّا في الأول، نحو ليل دامِس وطريق طامِس وإما في الوسط، نحو: (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ)[١٦٨] وإمّا في الآخر نحو ـ الخيل معقود في نواصيها الخير[١٦٩]. والثاني يكون في متباعدين، إمّا في الأول، نحو: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] وإمّا في الوسط، نحو: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُۥ

= وقول النابغة:

فـيـالَـكَ مِـنْ حَـزمٍ وعَـزمٍ طَـوَاهُـمـا ... جديدُ الرَّدَى بين الصَّفا والصفائحِ

وقول البحتري:

نـسـيـمُ الـروضِ فـي ريـحِ شـمـالٍ ... وصـوبُ الـمـزنِ فـي راحِ شَـمُـولِ

وكقول الحريري:

لَـهُـمْ فـي الـسَّـيْـر جَـرْيُ الـسـيـل ... وإلـى الـخـيـرِ جَـرْي الـخـيـلِ

وكقول البُسْتي[١٧٠]:

بـسَـيْـفِ الـدولـةِ اتَّـسَـقَـتْ أُمُـور ... رَأَيْـنَـاهـا مُـبـدَّدةَ الـنـظـام

وكقول السُّبْكي[١٧١]:

كن كيف شئتَ عَنِ الهوى لا أنتهي ... حتى تعودَ لي الحياةُ وأنت هي

وكقوله:

سَـمَـا وحَـمـى بَـنـي سـامٍ وحـامٍ ... فـلـيـس كَـمِـثْـلِـهِ سـامٌ وحـامُ

وقول أبي نواس:

عـبَّـاسُ عـبَّـاسٌ إذا احـتـدمَ الـوغَـى ... والـفـضـلُ فـضـلٌ والـربـيـعُ ربـيـعُ

---

[١٦٨] الأنعام: ٢٦.

[١٦٩] البخاري/ كتاب الجهاد والسير/ باب الخيل.

[١٧٠] البستي: شاعر عاش بين (٩٧١ ـ ١٠١٠م) أشهر شعره تونيته «الحكم».

[١٧١] السبكي: فقيه ومؤرخ (توفي سنة ١٣٧٠م) اشتهر بكتابه طبقات الشافعية الكبرى.

لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٧، ٨] وإمّا في الآخر نحو: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٨٣].

٥ ـ ومنها «الجناس اللفظي»، وهو ما تماثل ركناه لفظاً، واختلف أحد ركنيه عن الآخر خطّاً ـ إمّا بالكتابة (بالنون والتنوين) وإما بالاختلاف (في الضاد والظاء ـ أو الهاء والتاء) فالأول ـ نحو:

أعْذَبُ خَلْقِ اللَّهِ نُطْقاً وفَماً ... إنْ لَمْ يَكُنْ أحقّ بالحُسنِ فمَنْ؟
مِثْلُ الغزالِ نَظْرَةً ولَفْتَةً ... مَنْ ذا رآهُ مُقْبلاً ولا افْتَتَنْ

والثاني ـ نحو: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] وكقول أبي فراس:

ما كُنْتَ تَصْبِرُ في القديـ ... ـم فلِمْ صَبَرْتَ الآنَ عنّا
ولقد ظننتُ بك الظُّنو ... ن لأنه مَنْ ضَنَّ ظَنَّا

والثالث، كقوله:

إذا جَلَسْتَ إلى قوم لتُؤْنِسَهُمْ ... بما تَحَدَّثُ مِنْ ماضٍ ومِنْ آتِ
فلا تُعيدَنْ حديثاً إنّ طَبْعَهُمْ ... مُوكَّلٌ بمُعاداةِ المَعاداتِ

٦ ـ ومنها ـ الجناس المُحرَّف، و«الجناس المُصحّف».

فالأوّل: ما اختلف ركناه في هيآت الحروف أي حركاتها وسكناتها نحو جُبَّة البُرْدِ جُنَّة البَرْدِ.

والثاني: ما تماثل رُكناه وضعاً واختلفا نُقَطاً، بحيث لو زال إعجام أحدهما لم يَتَميّز عن الآخر ـ كقول بعضهم: غَرَّكَ عِزُّك، فصار قُصارَى ذلك ذُلّك. فاخْشَ فَاحِشَ فِعْلِك ـ فَعَلَّك بهذا تهتدي. ونحو: إذا زلّ العالِمُ زلَّ بزلَّتِهِ العَالَمُ ـ وكقول أبي فِراس:

مِنْ بَحْرِ شِعْرِكَ أَغْتَرِفْ ... وبِفَضْلِ علمك أعْتَرِفْ

٧ ـ ومنها الجناس المركّب ـ «والجناس المُلفَّق».

فالأول: ما اختلف رُكناه إفراداً وتركيباً، فإن كان من كلمة وبعض أخرى سُمِّي مَرْفُوًّا ـ كقول الحريري:

ولا تَلْهُ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وابكِهِ ... بدمع يضاهي الْمُزْنَ حال مَصَابِهِ
ومَثِّلْ لعينيك الحِمَام وَوَقْعَهُ ... وروعةَ مُلقاه ومَطْعَمَ صابه

وإن كان من كلمتين ـ فإن اتفق الركنان خطًّا سُمِّي مقروناً، كقوله:

إذا مَلِكٌ لم يكُنْ ذا هِبَة   فَدَعْهُ فدولته ذاهِبَة

وإلّا سُمّي مفروقاً ـ كقوله:

لا تَعْرِضَنَّ على الرُّواةِ قصيدةً   ما لَمْ تَكُنْ بالَغْتَ في تَهذيبِها
فإذا عَرَضْتَ الشعر غَيْرَ مُهَذَّبٍ   عَدُّوهُ منك وَساوِساً تَهْذي بِها

والثاني: وهو الملفّق يكون بتركيب الركنين جميعاً، كقوله:

ولَيتَ الحكْمَ خَمْساً وهي خَمْسٌ   لعمري والصِبا في العنفوان
فَلَمْ تُضِع الأعادِي قَدْر شاني   ولا قالوا فلان قَدْ رشاني

٨ ـ ومنها «جناس القلب» وهو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف نحو: حسامُهُ فَتْحٌ لأوْليائه، وحَتْفٌ لأعْدائه «ويسمَّى قلب كلّ» لانعكاسِ الترتيب ونحو: اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْراتِنا، وآمِنْ رَوْعاتِنا[١٧٢]، ويُسَمَّى قَلْب بعض ونحو: رحم الله امرأ أمْسَكَ ما بَيْنَ فكَّيْه وأطْلَقَ ما بين كفَّيْه.

وإذا وقع أحَدُ المتجانِسَيْن في أول البيت والآخر في آخره سُمّي مقلوباً مُجنّحاً كأنه ذو جناحين، كقوله:

لاح أنوار الهدى   من كفّه في كل حال

وإذا وَلِيَ أحد المتجانسين الآخر قيل له «المزدوج» وإن كان الترتيب بحيث لو عكس حصل «بعينه» فالمستوى وهو أخصّ من المقلوب المجنّح، ويسمّى أيضاً «ما لا يستحيل بالانعكاس» نحو: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: ٣٣] ونحو: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣].

أنواع الجناس المعنوي

جناس إضمار، وجناس إشارة.

أ ـ «فجناس الإضمار» أن تأتي بلفظ يُحضِر في ذهنك لفظاً آخر وذلك اللفظ المُحْضَرُ يُرادُ به غير معناه بدلالة السّياق، كقوله:

مُنَعَّمُ الجسمِ تحكي الماءَ رِقَّتُه   وقَلْبُه قَسْوةٌ يحكي أبا أوْسِ

وأَوْس شاعرٌ مشهور من شعراء العرب. واسم أبيه حجر. فلفظ أبي «أوس» يحضر في الذهن اسمه وهو حجر؛ وهو غير مراد؛ وإنما المراد الحَجَر المعلوم،

---

[١٧٢] مسند أحمد/ باب مسند أبي سعيد الخدري كتاب باقي مسند الحديث ١٠٥٧٣.

وكان هذا النوع في مبدئه مستنكراً. ولكن المتأخرين ولعوا به، وقالوا منه كثيراً. فمن ذلك قول البهاء زُهير[١٧٣]:

وجاهلٍ طال به عنائي   لازمني وذاك من شقائي
أبْغَضُ للعينِ مِن الأقْذَاء   أثْقَلُ من شَمَاتةِ الأعْداءِ
فهو إذا رأته عَيْنُ الرائي   أبو مَعاذٍ أو أخُو الخَنْسَاءِ

ب ـ «وجناس الإشارة» هو ما ذكر فيه أحد الركنين، وأشير للآخر بما يدلّ عليه، وذلك إذا لم يساعد الشعْر على التصريح به، نحو:

يا حَمْزةُ اسْمَحْ بوصْلِ   وامْنُنْ علينا بقُرْبِ
في ثَغْرِك اسمُكَ أضْحى   مُصَحّفاً وبقلبي

فقد ذكر أحد المتجانسين وهو حمزة: وأشار إلى الجناس فيه بأن مُصَحَّفَه، في ثغره، أي خمرة ـ وفي قلبه، أي جمرة واعلم أنه لا يُستحسن الجناس إلا إذا جاء عفواً وسمح به الطّبع من غير تكلّف.

٢ ـ التصحيف

هو التّشابه في الخط بين كلمتين فأكثر: بحيث لو أزيل أو غيّر نقط كلمة كانت عين الثانية، نحو التّخلّي، ثم التَّحلِّي، ثم التَّجلِّي.

٣ ـ الازدواج

هو تجانس اللّفظين المتجاورين: نحو مَنْ جَدَّ وَجَدْ، ومن لجَّ ولج.

٤ ـ السجع

هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير ـ وأفضله ما تساوت فِقَرُهُ وهو ثلاثة أقسام:

أولها المطرَّف: وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في الحرف الأخير، نحو قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣، ١٤] وكقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦، ٧] ثانيها المُرصّع: وهو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزناً

[١٧٣] البهاء زهير: شاعر في عصر الأيوبيين عاش بين (١١٨٥ ـ ١٢٥٨م) تولى ديوان الرسائل في بلاط الملك الصالح، امتاز شعره بالدقة والدعابة وكثرة البديع.

وتقفية، كقول الحريري: هو يَطبع الأسجاعَ بجواهِرِ لفظهِ، وَيقرَعُ الأسماع[1] بزواجِرِ وعْظِه.

ثالثها المتوازي: وهو ما كان الاتفاق فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط، نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣، ١٤] لاختلاف سرر وأكواب وزناً وتقفية، ونحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: ١، ٢] لاختلاف المرسلات والعاصفات وزناً فقط، ونحو: حسد النّاطق والصّامت، وهلك الحاسد والشّامت ـ لاختلاف ما عدا الصّامت والشّامت تقفية فقط.

والأسجاع مبنية على سكون أواخرها، وأحسن السجع ما تساوت فِقرُهُ، نحو قوله تعالى: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨ ـ ٣٠] ثم ما طالت فقرته الثانية، نحو: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١، ٢] ثم ما طالت ثالثته، نحو: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ٥ ـ ٧] ولا يَحْسُنُ عَكْسُه، لأن السامع ينظر إلى مقدار الأول، فإذا انقطع دونه أشْبَهَ العثار[2]، ولا يحسن السجع إلا إذا كانت المفردات رشيقة، والألفاظ خَدَمُ المعاني، ودلَّت كل من القرينتين على معنى غير ما دلَّتْ عليه الأخرى، وحينئذٍ يكون حلية ظاهرة في الكلام، والسجع موطنه النثر، وقد يجيء في الشعر: كقوله:

فنحنُ في جَزَلٍ والرُّومُ في وَجَلِ   والبَرُّ في شُغُلٍ والبحرُ في خَجَلِ

ولا يستحسن السَّجع أيضاً إلا إذا جاء عفواً خالياً من التكلُّف والتّصنع.

٥ ـ الموازنة

هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التّقفية، نحو: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥، ١٦] فإن مصفوفة ومبثوثة متفقان في الوزن دون التّقفية، نحو:

أفادَ فَسادَ وقادَ فزَادَ   وسادَ فجادَ وعادَ فأفْضَل

---

(١) ولو أبدلت الأسماع بالآذان كان مثالاً للأكثر: وسمي سجعاً تشبيهاً له بسجع الحمام، وفواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الإعْجاز موقوفاً عليها لأن الغرض أن يزاوج بينها ولا يتم ذلك إلا بالوقف.

(٢) يعني أنه لا يحسن أن يؤتى في السجع بفقرة أقصر مما قبلها كثيراً لأن السمع إذا استوفى أمده من الأولى لطولها ثم جاءت الثانية أقصر منها يكون كالشيء المبتور.

٦ ـ الترصيع

هو توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أو تقاربها، مثال التّوافق نحو: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] ومثال التّقارُب نحو: «وآتَيْناهُمَا الكِتَابَ المُسْتَبِينَ، وهَدَيْناهُمَا الصِّراطَ المُسْتَقِيم».

٧ ـ التشريع

هو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما، كقوله:

يا خاطِبَ الدُّنيا الدَّنيَّة إنَّها ... شَرَكُ الرَّدَى وقَرارةُ الأقذارِ
دارٌ متى ما أضحكَتْ في يومها ... أبْكَتْ غداً تبًّا لها مِنْ دار
وإذا أظلَّ سحابُها لم ينتفعْ ... منه صدى لجهامه الغرَّار
غاراتُها لا تنقضي وأسيرُها ... لا يُفتَدى بجلائِلِ الأخطَارِ

فيصح الوقوف على الأقذار، ودار، والغرار، والأخطار فتكون من بحر الكامل، ويصح الوقوف على الرّدى، وغدا، وصدى، ويفتدى وتكون من مجزوء الكامل، وتقرأ هكذا:

يا خاطب الدُّنيا الدَّنـ ... يَّة إنها شَرَكُ الرَّدى
دار متى ما أضحكت ... في يومها أبكت غداً
وإذا أظلَّ سحابُها ... لم ينتفع منه صدى
غاراتُها لا تنقضي ... وأسيرُها لا يُفتَدى

وكقوله:

يا أيُّها الملك الذي عمَّ الوَرَى ... ما في الكرام له نظيرٌ يُنظَرُ
لو كان مِثْلُكَ آخرٌ في عصرنا ... ما كان في الدنيا فقير مُعْسِرُ

إذ يمكن أن يقال:

يا أيها الملك الذي ... ما في الكرام له نظير
لو كان مِثْلُكَ آخرٌ ... ما كان في الدنيا فقير

٨ ـ لزوم ما لا يلزم

هو أن يجيء قبل حرف الرّويِّ أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في

التقفية كالتزام حرف وحركة أو إحداهما يحصل الرَّويُّ أو السجع بدونه ـ نحو قول الطَّغْرَّائي [١٧٤]:

أصالةُ الرأيِ صانَتْني عن الْخَطَلِ   وحِلْيَةُ الفَضْلِ زانتني لدى العَطَلِ

وكقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ وكقوله:

يا مُحْرِقاً بالنَّار وجْهَ مُحِبِّهِ   مَهْلاً فإنَّ مدامعي تُطْفيهِ

أحْرِق بها جسدي وكلَّ جوارحي   واحرِصْ على قلبي فإنَّك فيهِ

وقد يلتزم أكثر من حرف كقوله:

كُلْ واشْرَب النَّاسَ على خبرةٍ   فَهُمْ يمرُّون ولا يَعْذُبُون

ولا تُصَدِّقْهُم إذا حدَّثُوا   فإنَّهم مِنْ عَهْدِهِمْ يَكْذبون

٩ ـ التصدير «أو» رد العجز على الصدر

أ ـ هو في النثر أن يُجعل أحد اللَّفظين المكررين أو المُتجانسين أو المُلْحَقَيْن بهما، بأن جمعهما اشتقاقٌ أو شِبْهُه أحدهما في أول الفقرة، والثاني في آخرها، نحو: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وقولك: سائل اللئيم يرجع. ودمعه سائل، الأول من السؤال، والثاني من السيلان وكقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] واللَّذان يجمعهما شبه اشتقاق ـ نحو: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

ب ـ هو في النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر إمَّا في صدر المصراع الأول، أو في حشوه ـ أو في آخره(١) وإمّا في صدر المصراع الثاني، نحو قوله:

سريعٌ إلى ابنِ العمّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ   وليس إلى داعي النَّدى بسريع

وقوله:

تمتَّعْ مِنْ شميمِ عَرارِ نَجْدِ   فما بَعْدَ العشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

---

(١) كقوله:

ومن كان بالبيضِ الكواعِبِ مُغْرَماً   فما زلتُ بالبيضِ القواضِبِ مُغْرَما

---

[١٧٤] الطغرائي: مؤيد الابن، عاش بين (١٠٦٣ ـ ١١٢٠م)، كان وزيراً وكاتباً لدى السلطان مسعود السلجوقي، أشهر شعره لاميته التي مطلعها البيت المذكور.

وقوله:

ذَوَائِبُ سُودٌ كالعناقِدِ أُرسِلَتْ فَمِنْ أجلِها مِنَّا النفوسُ ذوائِبُ

١٠ ـ ما لا يستحيل بالانعكاس

هو كون اللفظ يُقرأ طرداً وعكساً، نحو كن كما أمكنك ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣] وكقوله:

مودّته تدوم لكلِّ هولٍ وهل كلٌّ مودته تدوم

١١ ـ الموارَبَة

هي أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يغيّر معناه بتحريف أو تصحيف، أو غيرهما ليسلم من المؤاخذة، كقول أبي نواس:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع عِقْدٌ على خالصة

فلما أنكر عليه الرشيد ذلك، قال لم أقل إلّا:

لقد ضاء شعري على بابكم كما ضاء عِقْدٌ على خالِصَةْ

١٢ ـ ائتلاف اللفظ مع اللفظ

هو كون ألفاظ العبارة من واد واحد في الغرابة والتأمل ـ كقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥] لما أتى بالتاء التي هي أغرب حروف القسم أتى «بتفتأ» التي هي أغرب أفعال الاستمرار.

١٣ ـ التسميط

هو أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام، ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت، كقول جنوب الهذلية:

وحربٍ وردْتَ
وثَغْرٍ سَدَدْتَ
وعِلْجٍ شَدَدْتَ
عليه الحِبَالا

وقول الآخر:

في ثغره لَعَسٌ في خدّه قَبَسٌ في قَدّهِ مَيَسٌ في جسمه تَرَفُ

١٤ ـ الانسجام أو السهولة

هو سلامة الألفاظ وسهولة المعاني مع جزالتهما وتناسبهما كقول الشاعر:

ما وهب الله لامرىءٍ هِبةً ... أفضلُ مِنْ عقلِه ومن أدبهْ

هما كمال الفتى فإنْ فُقِدا ... فَفَقْدُه للحياةِ ألْيَقُ بِهْ

١٥ ـ الاكتفاء

الاكتفاء أن يحذف الشاعر من البيت شيئاً يستغني عن ذكره بدلالة العقل عليه كقول الشاعر:

فإنّ المنيَّة مَنْ يَخْشَها ... فسوف تصادُمه أينما

أي أينما توجَّه[1].

١٦ ـ التطريز

هو أن يكون صدر النثر أو الشعر مشتملاً على ثلاثة أسماء مختلفة المعاني، ويكون العجز صفة متكررة بلفظ واحد كقول القائل:

وتسقيني وتشربُ مِنْ رَحيقِ ... خليقِ أنْ يُلقَّبَ بالخُلوقِ

كأنَّ الكأسَ في يدها وفيها ... عقيقٌ في عقيقٍ في عقيق

---

(١) وكقوله:

ما للنوى ذنب ومن أهوى معي ... إن غاب عن إنسان عيني فهو في

وكقوله:

يا لائمي في هواها ... أفرطت في اللوم جهلا

ما يعلم الشوقَ إلّا ... ولا الصبابة إلّا

وكقوله:

ضلوا عن الماء لما أن سَرَوْا سَحَراً ... قومي فَضَلُّوا حَيَارى يلهثُون ظَما

والله أكرمني بالماء بَعْدَهُمُ ... فقلت يا لَيْتَ قومي يعلمون بما

وكقوله:

الدمع قاضٍ بافتضاحي في هوى ... ظبي يغارُ الغصنُ منه إذا مشى

وغدا بوجدي شاهداً ووشى بما ... أخفى فيالله مِنْ قاضٍ وَشَا

وكقوله:

لا أنتهي لا أنثني لا أرعوي ... ما دمت في قيد الحياة ولا إذا

نموذج

بين ما في الأبيات الآتية من المحسنات اللفظية:

١ ـ عضَّنا الدَّهر بنابهْ ... ليت ما حل بنا بهْ

٢ ـ إلى حتفي سعى قدمي ... أرى قدمي أراق دمي

٣ ـ لئن أخطأتُ في مَدْحَيـ ... ـكَ ما أخطأتَ في مَنْعي

لقد أنزلتُ حاجاتي ... بوادٍ غير ذي زرع

٤ ـ في الحديث: اللهم أعْط منفِقاً خَلَفًا وأعطِ مُمْسِكاً تَلَفًا[١٧٥].

٥ ـ قد بُلينا في عصرنا بأناس ... يَظْلِمُون الأنام ظُلْماً عَمَّا

يأكلون التراث أكْلاً لَمّا ... ويحبّون المال حبًّا جمّا

٦ ـ وإنْ أقَرَّ على رِقٍّ أنامِلَهُ ... أقَرَّ بالرق كُتَّابُ الأنامِ لَهُ

---

(١) فيه جناس تام بين (بنابه) الأولى أحد أنياب الأسنان و(بنابه) الثانية المركبة من (بنا) و(به).

(٢) فيه جناس تام بين أرى قدمي أي أنظر قدمي وأراق دمي أي صَبَّ وأَهْدَرَ دمي أي قتلني بلا دية.

(٣) في الشطر الأخير من البيت الثاني اقتباس من الآية الكريمة ﴿ربَّنا إني أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتي بوادٍ غيرِ ذي زَرْعٍ عند بيتِكَ المحرَّم﴾ [إبراهيم: ٣٧].

(٤) فيه سجع مرصع لأن إحدى الفقرتين كالثانية في الوزن والتقفية.

(٥) في البيت الثاني اقتباس من القرآن الكريم من سورة الفجر: ﴿وتأكُلُونَ التُّراثَ أكْلاً لَمّا وتحبون المالَ حُبًّا جمّا﴾ [الفجر: ١٩، ٢٠].

(٦) فيه جناس تام بين (أنامِله) و(الأنامِ لَهُ).

---

[١٧٥] صحيح مسلم/ كتاب الزكاة/ باب المنفق والممسك الحديث ١٦٧٨.

خاتمة

في السرقات الشعرية وما يتبعها

السرقة ـ هي أن يأخذ الشخص كلام الغير وينسبه لنفسه وهي ثلاثة أنواع: نسخ، ومسخ، وسلخ.

١ ـ النسخ، ويسمى انتحالاً أيضاً: هو أن يأخذ السارق اللفظ والمعنى معاً، بلا تغيير ولا تبديل، أو بتبديل الألفاظ كلها، أو بعضها بمرادفها، وهذا مذموم وسرقة محضة، كما فعل عبد الله بن الزَّبير بقول مُعَن بن أوْس[1]:

إذا أنت لم تُنصِفْ أخَاك وجدْتَه   على طَرَفِ الهِجران إنْ كان يَعْقِلُ

ويركبُ حدَّ السيف مِنْ أنْ تُضيمَهُ   إذا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السْيفِ مَزْحَلُ

وأمّا تبديل الألفاظ بمرادفها، كما فعل بقول الحُطَيْئَةَ:

دَع المكارمَ لا ترحَلْ لبُغْيَتها   واقْعُدْ فإنكَ أنْتَ الطَّاعمُ الكاسِي

ذَرِ المآثر لا تذهب لمطلبها   واجلسْ فإنَّكَ أنت الآكِلُ اللَّابسُ

وقريب منه تبدل الألفاظ بضدها مع رعاية النظم والترتيب كما فعل بقول حسَّان رضي الله عنه:

بِيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم   شُمُّ الأُنُوفِ مِنَ الطّرَازِ الأولِ

فقال غيره:

سُودُ الوجوهِ لئيمةٌ أحسابُهُمْ   فُطْسُ الأُنوفِ من الطّراز الآخِرِ

ب ـ والمسخ ـ أو الإغارة: هو أن يأخذ بعض اللفظ أو يغيِّر بعض النظم فإن امتاز الثاني بحسن السبك فممدوح، نحو:

مَنْ راقَبَ النَّاسَ لم يَظْفَرْ بحاجتِهِ   وفاز بالطَّيّباتِ الفَاتِكُ اللَّهِجُ

مع قول غيره:

مَنْ راقَبَ النَّاسَ مَاتَ هَمًّا   وفاز باللَّذاتِ الجسورُ

(١) الزبير بفتح فكسر في هذا ـ ويوجد اسم آخر بضم ففتح ـ ومعن بضم وفتح ـ ومعن بن زائدة بفتح فسكون.

فإن الثاني أعذبُ وأخصر، وإن امتاز الأول فقط فالثاني مذموم وإن تساويا فالثاني لا يُذَمُّ ولا يمدح، والفضل للسابق.

جـ ـ والسلخ، ويسمى إلماماً: هو أن يأخذ السَّارق المعنى وحده.

فإن امتاز الثاني فهو أبلغ، نحو:

هو الصِّنْعُ إنْ يَعْمَلْ فخير وإنْ يرِثْ ... فَلَلرَّيْثُ في بعضِ المواضعِ أنفع

مع قول غيره:

ومن الخير بُطْءُ سَيْبِكَ عنّي ... أَسْرَعُ السُّحْب في المسير الجَهَامُ

وإن امتاز الأول فالثاني مذموم، وإن تماثلا فهو أبعد عن الذم، كقوله:

ولَمْ يَكُ أكْثَرَ الفتيانِ مالاً ... ولكن كان أرْحَبَهُمْ ذِرَاعا

مع قول الآخر:

وليس بأَوْسَعِهِمْ في الغنى ... ولكنَّ معروفَهُ أوْسَعُ

ويتّصل بالسرقات الشعرية ثمانيةُ أمور، الاقتباس، أو التضمين، والعَقْدُ والحل. والتلميح، والابتداء، والتَّخلص، والانتهاء.

١ ـ الاقتباس: هو أن يضمّن المتكلم منثوره أو منظومه شيئاً من القرآن أو الحديث على وجه لا يشعر بأنه منهما، فمثاله من القرآن في النثر:

فلم يكُنْ إلّا كَلَمْحِ البصرِ أو هو أقرب. حتى أنشد فأغرب، ونحو قول الحريري: أنا أُنبِّئكم بتأويله، وأُميِّز صحيح القول من عليله، وكقول عبد المؤمن الأصفهاني: لا تَغُرَّنَّكَ من الظَّلَمَة كثرةُ الجيوش والأنصار، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] ـ وفي الشعر قوله[1]:

وثَغْرٍ تَنَضَّدَ مِنْ لؤلؤٍ ... بألبابِ أهْلِ الهَوَى يَلْعَبُ

---

(١) ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس للوزن أو غيره نحو:

قد كان ما خفتُ أنْ يكونا ... إنّا إلى الله راجعونا

وفي القرآن: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ [البقرة: ١٥٦] ويكون الاقتباس مذموماً في الهزل كقوله:

أوحى إلى عُشّاقه طَرْفَه ... هيهاتِ هيهاتِ لما توعدون

ورِدْفِ ينطقُ مِنْ خلفه ... لمثلِ هذا فليعمل العاملون

إذا ما اذلَهمَّتْ خُطوبُ الهَوَى يكادُ سَنَا برْقِهِ يَذْهَبُ

وقوله:

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جُرم فَصَبْرٌ جَميلُ
وإن تبدَّلْتَ بنا غَيرنا فحسبُنا اللّهُ ونعمَ الوكيلُ

وقوله:

لا تكن ظالماً ولا ترضى بالظُّلْـ مِ وأنكِرْ بكل ما يُسْتَطَاعُ
يوم يأتي الحسابُ ما لِظَلُوم مِنْ حميم ولا شفيعٍ يُطاعُ

وكقوله:

إنْ كانت العشاقُ مِنْ أشواقهم جَعَلُوا النَّسيم إلى الحبيبِ رسُولا
فأنا الذي أتْلُو لَهُمْ ياليتني كُنْتُ اتخذتُ مع الرسول سبيلا

وقوله:

ارحلوا فلسْتُ مُسائلاً عن دارِهم «أنا باخِعٌ نَفسِي على آثارهم»

وقوله:

ولاح بحكمتي نورُ الهدى في ليالٍ للضلالة مُدْلَهِمَّهْ
يُريدُ الجاهلون ليُطْفِئُوهُ ويَأبى اللّهُ إلّا أنْ يُتِمَّهْ

ومثاله من الحديث في النثر قول الحريري: شاهتِ الوجُوه، وقبح اللُّكَعُ ومَنْ يَزجُوه[١٧٦] ـ وكقول الحريري أيضاً:

وكِتْمَانُ الفَقْرِ زَهادَة و«انتظارُ الفَرَجِ بالصَّبْرِ» عبادة ومثاله من الحديث في الشعر قوله:

قال لي إنَّ رقيبي سيِّءُ الْخُلُق فَدَارِهْ
قلتُ دعني وجْهَكَ «الجـ ـنَّةُ حفَّتْ بالمكارِهْ»[١٧٧]

وكقوله:

فلو كانت الأخلاق تُحوى وارثة ولو كانت الآراءُ لا تَتَشَعَّبُ
لأصبح كلُّ الناسِ قد ضمَّهم هَوَى كما أنَّ كلَّ الناسِ قد ضمَّهُم أبُ

---

[١٧٦] مسند أحمد كتاب ومن مسند بني هاشم باب بداية مسند عبد الله بن عباس الحديث ٢٦٢٦.

[١٧٧] صحيح مسلم/كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/باب كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/الحديث ٥٠٤٩. ونصه: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات.

ولكنها الأقدار «كلٌّ مُيسَّر لِمَا هو مخلوق له»[١٧٨] ومقرّبُ

وقوله:

لا تُعادِ الناس في أَوْطَانِهِمْ قلّما يُرعَى غريبُ الوطنِ
وإذا ما شئت عيشاً بينهم «خالِقِ النَّاسَ بخُلقٍ حَسَن»[١٧٩](١)

٢ ـ والتّضمين: هو أن يضمّن الشاعر كلامه شعراً من شعر الغير مع التَّنبيه عليه(٢) إن لم يكن مشهوراً لدى نقّاد الشّعر وذوي اللّسَنِ نحو قوله:

---

(١) وينقسم الاقتباس إلى ضربين:
الأول: ضرب منه لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر كما تقدم.
الثاني: ما ينقل إلى معنى آخر، كقول ابن الرومي:

لئن أخطأتُ في مدحي كما أخطأتَ في منعي
لقد أنزلتُ حاجاتي بوادٍ غير ذي زرع

فقد كَنَى بهذا الوادي عن رجل لا يرجى نفعه ولا خير فيه، وهو في الآية الكريمة وادٍ لا ماء فيه ولا نبات، وقد أجازوا تغيير اللفظ المقتبس بزيادة فيه أو نقص أو تقديم أو تأخير، كما سبق.
واعلم أن الاقتباس ثلاثة أقسام:
مقبول: وهو ما كان في الخُطَب والمواعظ.
ومباح: وهو ما يكون في الغزل والرسائل والقصص.
ومردود: وهو ما كان في الهزل، كما تقدم ذكره.

(٢) أما تضمينه بلا تنبيه عليه لشهرته، فكقوله:

قد قلتُ لمّا أطْلَعَتْ وجناتُه حَوْل الشقيقِ الغضّ رَوْضَةَ آسِ
أعذاره السَّاري العجولُ ترفُّقاً ما في وقوفِكَ ساعةً مِنْ باسِ

فالمصراع الأخير مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام:

ما في وقوفك ساعة من باس تقضي حقوقَ الأربع الأدراس

وأحسن التضمين أن يزيد المضمِّن في كلامه نكتة لا توجد في الأصل كالتورية والتشبيه، كما في قوله:

إذا الوهم أبدى لي لَمَاها وثَغْرَها تذكّرتُ ما بين العُذَيْبِ وبارق

---

[١٧٨] صحيح البخاري/كتاب التوحيد/باب قوله تعالى: ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر/الحديث ٦٩٩٦ ونصه: كل يسر لما خلق له.

[١٧٩] مسند أحمد/كتاب مسند الأنصار/باب حديث أبي ذر الغفاري/الحديث ٣٠٥٥٦/ ونصه: اتق الله حيثما كنت وخالق الناس بخلق حسن.

إذا ضاق صدري وخِفتُ العِدا تمثَّلتُ بيتاً بحالي يليقُ
فَبِاللَّهِ أَبْلُغُ ما أرتجي وبالله أدفَعُ ما لا أُطِيقُ

وكقول الحريري يحكي ما قاله الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع.

على أني سأنشد عند بَيْعي أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا[1]

المصراع الأخير للعَرْجَى، وأصله:

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا لِيومِ كَريهَةٍ وسَدَادِ ثَغْرِ

٣ ـ والعِقْد: هو نَظْم النثر مطلقاً لا على وجه الاقتباس، ومن شروطه أن يُؤخَذ المنثور بجملة لفظه، أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر، فعِقْدُ القرآن الكريم كقوله:

أنِلْنِي بالذي استقرضتَ خطّاً وأشهِدْ مَعْشَراً قَدْ شاهدُوه
فإنَّ الله خلّاقُ البرايا عَنَتْ لجلالِ هَيْبَتِهِ الوجُوه
يقول: إِذَا تَدَايَنْتُم بدَيْنٍ إلى أجَلٍ مُسمًّى فاكْتُبُوه

وعِقْدُ الحديث الشريف كقوله:

إنَّ القلوب لأجنادٌ مُجنَّدة بالأذن مِنْ ربّها تَهْوَى وتأتلِفُ[180]

= ويذكُرُني مِنْ قَدّها ومدامعي مجرُّ عوالينا ومجرى السَّوابق

فالمصراعان الأخيران مطلع قصيدة لأبي الطيب المتنبي:

تذكرت ما بين العُذَيْب وبارق مَجَرَّ عوالينا ومجرى السوابق

يريد المتنبي أنهم كانوا نزولاً بين هذين الموضعين يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان، ويسابقون على الخيل أما الشاعر الآخر فأراد بالعذيب تصغير العذب وعنى به شفة الحبيبة، وببارق ثغرها الشبيه بالبرق، وبما بينهما ريقها، وهذه تورية بديعة نادرة في بابها، وشبه تبختر قدّها بتمايل الرماح، وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق.

(١) ولا بأس من التغيير اليسير كقوله:

أقول لمعشر غَلِطُوا وغَضُّوا من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابنُ جَلَا وطلاعُ الثَّنايا متى يضع العمامةَ تعرفوه

---

[١٨٠] صحيح البخاري/ أحاديث الأنبياء/ باب الأرواح جنود مجندة/ ونص الحديث: الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

فما تعارف منها فهو مُؤتلِفٌ   وما تناكر منها فهو مختلفُ[١٨١]

وكقوله:

واسْتَعْمِلِ الحلْمَ واحْفَظْ قَوْلَ بارِئِنا   سُبْحَانَهُ خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ عَجَل

٤ ـ والحل هو نثر[١] النَّظْم. وإنما يُقبل إذا كان جيّد السَّبك، حسن الموقع، كقوله:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظُنُونه   وصدَّق مَنْ يعتادُهُ مِنْ تَوَهُّم[٢]

والتلميح: هو الإشارة إلى قصّة معلومة أو شعر مشهور، أو مَثَلٍ سائر من غير ذكره، فالأول، نحو:

يا بَدْرُ أهْلُكَ جارُوا
وعلَّمُوكَ التَّجرِّي
وقبَّحُوا لَكَ وَصْلي
وحسَّنُوا لك هجري
فليفعلوا ما أرادوا
فإنهم أهل بدر

وكقوله: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦٤] أشار يعقوب في كلامه هنا لأولاده بالنسبة إلى خيانتهم السابقة في أمر أخيهم يوسف ـ ونحو قول الشاعر:

فَوَاللَّهِ ما أدْرِي أَأَحْلامُ نائِمٍ   ألَمَّتْ بنا أمْ كان في الرَّكْبِ يُوشع

والثاني، نحو:

لعَمْروٌ مَعَ الرَّمْضَاءِ والنارُ تلتظِي   أرقُّ وأحفى منك في ساعة الكَرْب

---

(١) نثره: لما قَبُحَتْ فَعَلاته وحَنظَلَت نَخَلاته. لم يزل سوء الظن يقتاده، ويصدّق توهمه الذي يعتاده.

(٢) إشارة إلى استيقاف يوشع للشمس. يروى أنه عليه السلام قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تَغْرُبَ قبل أن يفرغ من قتالهم ويدخل يوم السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فأبقى له الشمس حتى فرغ من قتالهم.

---

[١٨١] صحيح البخاري/انظر الصفحة السابقة.

إشارة إلى قول الآخر:

المستجيرُ بعمروٍ عند كُرْبَتِهِ   كالمسْتَجيرِ من الرَّمضاءِ بالنار

والثالث، نحو:

مَنْ غاب عنكم نسيتُمُوه   وقَلْبُهُ عندكم رهينَةْ
أظُنُّكُم في الوفاء مِمَّنْ   صُحْبَتُهُ صُحبةُ السفينةْ

٦ ـ وحسن الابتداء أو براعة المطلع: هو أن يُجعل أوّل الكلام رقيقاً سهلاً، واضح المعاني، مستقلاً عمّا بعده، مناسباً للمقام، بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكلّيته، لأنه أول ما يقرع السمع، وبه يُعرف مما عنده قال ابن رشيق: إن حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطيّة النجاح ـ وذلك كقوله:

المجدُ عوفِيَ إذْ عُوفيتَ والكَرَمُ   وزال عنك إلى أعْدائِكَ السَّقمُ

وتزداد حسناً إذا دلَّت على المقصود بإشارة لطيفة ـ وتسمى براعة استهلال[1] وهي أن يأتي النّاظم أو النّاثر في ابتداء كلامه بما يدلّ على مقصوده منه بالإشارةِ لا بالتصريح، كقول أبي محمد الخازن، مهنئاً الصاحب بن عباد بمولود:

بُشْرَى فقد أنْجَزَ الإقْبَالُ ما وَعَدا   وكوكبُ المجدِ في أُفُقِ العُلا صَعِدَا

وقول غيره في التهنئة ببناء قصر:

قَصْرٌ عليه تحيَّةٌ وسلام   خَلَعَتْ عليه جَمالَها الأيَّامُ

وكقول المرحوم أحمد شوقي بك في الرثاء:

أجَلٌ وإنْ طَالَ الزمانُ مُوَافِي   أخْلَى يَدَيْكَ من الخليلِ الوافي

وكقول آخر في الاعتذار:

لِنارِ الهمِّ في قلبي لهيبُ   فَعَفْواً أيُّها المَلِكُ المَهيبُ

وقد جاء في الأخبار أنّ الشّعر قُفْلٌ، وأوّله مِفْتاحُهُ

٧ ـ والتّخلص: هو الخروج والانتقال مما أُبتدىء به الكلام إلى الغرض

---

(١) وبراعة الطلب أن يشير الطالب إلى ما في نفسه دون أن يصرح بالطلب نحو: **﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي﴾** [هود: ٤٥] إشارة إلى طلب النجاة لابنه.

وكقوله:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة   سكوتي بيان عندها وخطاب

المقصود، برابطة تجعل المعاني آخذاً بعضُها برقاب بعض، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب إلى مدح أو غيره لشدة الالتئام والانسجام كقوله:

وإذا جَلَسْتَ إلى المُدَام وشُرْبِهَا — فاجْعَلْ حَدِيثَكَ كُلَّهُ في الكاسِ
وإذا نَزَعْتَ عن الغِوايةِ فَلْيَكُن — للَّهِ ذاك النَّزعُ لا للنَّاسِ
وإذا أردتَ مديحَ قَوْمٍ لم تُلَمْ — في مَدْحِهِمْ فامدحْ بني العباسِ

وقوله:

دَعَت النَّوى بفراقِهِمْ فتشتَّتُوا — وقَضَى الزَّمانُ بَبَيْنِهِمْ فَتَبَدَّدُوا

وقد ينتقل مما افتتح به الكلام إلى الغرض المقصود مباشرة بدون رابطة بينهما، ويسمّى ذلك اقتضاباً، كقول أبي تمّام:

لَوْ رأى اللَّهُ أنَّ في الشَّيْبِ خَيْراً — جاورتْهُ الأبرارُ في الخُلْدِ شِيبَا
كُلَّ يوم تُبْدي صُرُوفُ اللَّيالي — خُلُقاً من أبي سعيدٍ غَريبَا

٨ ـ وحسن الانتهاء، ويقال له حسن الختام: هو أن يجعل المتكلم آخر كلامه عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى، مُشْعِراً بالتمام، حتى تتحقّق براعة المقطع بحسن الختام، إذ هو آخر ما يبقى منه في الأسماع وربما حُفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به، يعني أن يكون آخر الكلام مُسْتَعذباً حسناً لتبقى لذته في الأسماء مؤذناً بالانتهاء، بحيث لا يُبقي تشوّقاً إلى ما وراءه، كقول أبي نواس:

وإني جدير إذْ بَلَغْتُك بالمنى — وأنتَ بما أمَّلْتُ فيك جدير
فإن تُولني منك الجميل فأهْلُهُ — وإلّا فإني عاذِرٌ وشَكُورُ

وقول غيره:

بقيتَ بقاءَ الدهريا كَهْفَ أهْلِهِ — وهذا دعاء للبريَّةِ شامِلُ

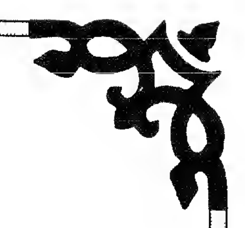
وقول ابن حِجَّةَ:

علَيْكَ سلامٌ نَشْرُهُ كلَّما بدا — به يتغالى الطّيبُ والمسكُ يُخْتَمُ

وقول غيره:

ما أَسْأَلُ اللَّهَ إلّا أنْ يَدُومَ لَنَا — لا أنْ تَزيدَ مَعَاليهِ فَقَدْ كَمُلَتْ

تمّ بحمد الله

الفهارس العامّة





١

فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

٢

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة

٣

فهرس الشواهد الشعرية وبحورها

البيت		البحر	الصفحة
فأصبحت بعد خط بهجتها	كأن قفرا رسومها قلما	[المنسرح]	٣٨
وما أرضى لمقلته بحلم	إذا انتبهت توهمه ابتشاكا	[الوافر]	٣٨
هناء محاذاك العزاء المقدما	فما عبس المحزون حتى تبسما	[الطويل]	٤٢
أصبت بسادة كانوا عيونا	بهم نسقي إذا انقطع الغمام	[الوافر]	٤٣
يزيدك وجهه حسناً	إذا ما زدته نظرا	[م الوافر]	٥٠
جاء شقيق عارضاً رمحه	إن بني عمك فيهم رماح	[السريع]	٥٩
ترفق أيها المولى عليهم	فإن الرفق بالجاني عقاب	[الوافر]	٥٩
قومي هم قتلوا أميم أخي	فإذا رميت يصيبني سهمي	[الكامل]	٦١
قد كنت عدتي التي أسطو بها	ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي	[الكامل]	٦١
أبا المسك أرجو منك نصراً على العدى	وآمل عزاً يخضب البيض بالدم	[الطويل]	٦١
كفى بجسمي نحولاً أنني رجل	لولا مخاطبتي إياك لم ترني	[البسيط]	٦١
وأنت الذي ربيت ذا الملك مرضعا	وليس له أم سواك ولا أب	[الطويل]	٦١
ذهب الذين يعاش في أكنافهم	وبقيت في خلف كجلد الأجرب	[الكامل]	٦١
إن كان لا يرجوك إلا محسن	فبمن يلوذ ويستجير المجرم	[الكامل]	٦١
أدعوك ربي كما أمرت تضرعاً	فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم	[الكامل]	٦١
ومكارمي عدد النجوم ومنزلي	مأوى الكرام ومنزل الأضياف	[الطويل]	٦٢
وما كل هاوٍ للجميل بفاعل	ولا كل فعال له بمتمم	[الطويل]	٦٢
غدرت يا موت كم أفنيت من عدد	بمن أصبت وكم أسكت من لجب	[البسيط]	٦٢
بكيتك يا علي بدمع عيني	فما أغنى البكاء عليك شيًا	[الوافر]	٦٢
وكانت في حياتك لي عظات	وأنت اليوم أوعظ منك حيا	[الوافر]	٦٢
إن الثمانين وبلغتها قد	أحوجت سمعي إلى ترجمان	[السريع]	٦٢
ولي منطق لم يرض لي كنه منزلي	على أنني بين السماكين نازل	[الطويل]	٦٢
أتيت جرماً شنيعا	وأنت للعفو أهل	[المجتث]	٦٣
فإن عفوت فمنٌّ	وإن قتلت فعدل	[المجتث]	٦٣
ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل	عفاف وإقدام وحزم ونائل	[الطويل]	٦٣
وإن امرءاً قد سار خمسين حجة	إلى منهل من ورده لقريب	[الطويل]	٦٣
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً	متبسماً عن باطن متجهم	[الكامل]	٦٣
أما الفراق فإنه ما أعهد	هو توأمي لو أن بينا يولد	[الكامل]	٦٣
وإن الذي بيني وبين بني أبي	وبين بني عمي لمختلف جدا	[الطويل]	٦٣
وإني لصبار على ما ينوبني	وحسبك إن الله أثنى على الصبر	[الطويل]	٦٤
وإني لقوال لذي البث مرحبا	وأهلا إذا ما جاء من غير مرصد	[الطويل]	٦٤

البيت		البحر	الصفحة
إنــمــا الــدنــيا هــبــات	وعــوار مــســتــرده	[م الرمل]	١٧٦
شــدة بــعــد رضــاء	ورضــاء بــعــد شــدة	[م الكامل]	١٧٦
محــاسـن أوصـاف المغـنـين جمـة	ومـا قـصـبـات الـسـبـق إلا لمعـبـد	[الطويل]	١٧٦
إلى الله أشـكـو أن في الـنـفـس حـاجـة	تمـر بهـا الأيـام وهـي كـمـا هـيـا	[الطويل]	١٧٦
وقـال رائـدهـم أرسـوا نـزاولـهـا	فحتف كل امرىء يجري بمقدار	[البسيط]	١٨٤
أقـول لـه ارحـل لا تـقـيـمـن عـنـدنـا	وإلاً فكن في السر والجهر مسلما	[الطويل]	١٨٤
زعـم الـعـواذل أنـنـي فـي غـمـرة	صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي	[الكامل]	١٨٤
وتـظـن سـلـمـى أنـنـي أبـغـي بهـا	بـدلاً أراهـا فـي الـضـلال تهـيـم	[الكامل]	١٨٥
في المهد ينطق عن سعادة جده	أثـر الـنـجـابـة سـاطـع الـبـرهـان	[الكامل]	١٨٥
كن للخليل نصيراً جار أو عدلا	ولا تـشـح عـلـيه جـاد أو بـخـلا	[البسيط]	١٨٨
عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة	فما لك بعد الشيب صبا متيما	[الطويل]	١٨٨
أخـط مـع الـدهـر إذا مـا خـطـا	واجـر مـع الـدهـر كـمـا يجـري	[السريع]	١٩٠
حـكـم المنـيـة فـي الـبـريـة جـاري	مـا هـذه الـدنـيـا بـدار قـرار	[الكامل]	١٩٠
لا تـدعـه إن كـنـت تـنـصـف نـائـبـاً	هـو فـي الحـقـيـقـة نـائـم لا نـائـب	[الكامل]	١٩٠
قـال لي كـيـف أنـت قـلـت عـلـيل	سـهـر دائـم وحـزن طـويـل	[الخفيف]	١٩١
قـالـت بـلـيت فـمـا نـراك كـعـهـدنـا	ليت الـعـهـود تجـددت بـعـد الـبلى	[الكامل]	١٩١
وإنــمــا المرء بــأصــغــريــه	كـل امـرىء رهـن بـمـا لـديـه	[السريع]	١٩١
لا تـطـلـبـن بـآلـة لـك حـاجـة	قـلـم الـبـلـيغ بـغـيـر خـط مـغـزل	[الكامل]	١٩١
يـرى الـبـخـيـل سـبـيـل المال واحـدة	إن الـكـريـم يـرى فـي مـالـه سـبـلا	[البسيط]	١٩١
نـفـسـي لـه نـفـسـي الـفـداء لـنـفـسـه	لـكـن بـعـض المالـكـين عـفـيـف	[الكامل]	١٩١
يـهـوى الـثـنـاء مـبـرز ومـقـصـر	حـب الـثـنـاء طـبـيـعـة الإنـسـان	[الكامل]	١٩٢
ألا مـن يـشـتـري سـهـراً بـنـوم	سـعـيـد مـن يـبـيـت قـريـر عـين	[الوافر]	١٩٢
فـآبـوا بـالـرمـاح مـكـسـرات	وأبـنـا بـالـسـيـوف قـد انحـنـينا	[الوافر]	١٩٢
فـمـا الحـداثـة عـن حـلـم بمـانـعـة	قد يوجد الحلم في الشبّان والشيب	[البسيط]	١٩٢
يـقـولـون إني أحمـل الـضـيـم عـنـدهـم	أعـوذ بـربي أن يـضـام نـظـيـري	[الطويل]	١٩٢
فـيـا مـوت زر إن الحـيـاة ذمـيـمـة	ويـا نـفـس جـدي إن دهـرك هـازل	[الطويل]	١٩٢
والـعـيـش خـيـر فـي ظـلا	ل الـنـوك ممـن عـاش كـدّا	[م الكامل]	١٩٧
عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم	ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا	[الطويل]	١٩٧
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها	فـلـيس إلى حـسـن الـثـنـاء سـبـيـل	[الطويل]	١٩٨
رأيـت الخـمـر جـامـدة وفـيـهـا	خـصـال تـفـسـد الـرجـل الحـلـيـمـا	[الوافر]	١٩٩
فــلا والله أشــربهــا حــيــاتي	ولا أسـقـي بهـا أبـداً نـديـمـا	[الوافر]	١٩٩

البيت		البحر	الصفحة
لو لم تكن نية الجوزاء خدمته	لما رأيت عليها عقد منتطق	[البسيط]	٣٠٧
سألت الأرض لم كانت مصلىً	ولم جعلت لنا طهراً وطيبا	[الوافر]	٣٠٧
فقالت غير ناطقة لأني	حويت لكل إنسان حبيبا	[الوافر]	٣٠٧
ما زلزلت مصر من كيد يراد بها	وإنما رقصت من عدله طربا	[البسيط]	٣٠٧
أرى بدر السماء يلوح حينا	ويبدو ثم يلتحف السحابا	[الوافر]	٣٠٧
وذاك لأنه لما تبدى	وأبصر وجهك استحيا وغابا	[الوافر]	٣٠٧
قالوا اشتكت عينه فقلت لهم	من كثرة القتل نالها الوصب	[المنسرح]	٣٠٨
حمرتها من دماء من قتلت	والدم في السيف شاهد عجب	[المنسرح]	٣٠٨
فلئن بقيت لأرحلن بغزوة	تحوي الغنائم أو يموت كريم	[المنسرح]	٣٠٨
يا خير من ركب المطي ولا	يشرب كأساً بكف من بخلا	[الكامل]	٣٠٨
لا خيل عندك تهديها ولا مال	فليسعد النطق إن لم تسعد الحال	[البسيط]	٣٠٨
أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة	وأتى رسولهم إلي خصيصا	[الكامل]	٣٠٩
قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه	قلت اطبخوا لي جبة وقميصا	[الكامل]	٣٠٩
من مبلغ أفنار يعرب كلها	إني بنيت الجار قبل المنزل	[الكامل]	٣٠٩
ألا لا يجهلن أحد علينا	فنجهل فوق جهل الجاهلينا	[الوافر]	٣٠٩
إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى	أصاخت إلى الواشي فلج بها الهجر	[الطويل]	٣٠٩
إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها	تذكرت القربى ففاضت دموعها	[الطويل]	٣٠٩
عيون وأصداغ وفرع وقامة	وخال ووجنات وفرق ومرشفا	[الطويل]	٣١٠
سيوف وريحان وليل وبانة	ومسك وياقوت وصبح وقرقف	[الكامل]	٣١٠
فعل المدام ولونها ومذاقها	في مقلتيه ووجنتيه وريقه	[الكامل]	٣١٠
ولحظه ومحياه وقامته	بدر الدجى وقضيب البان والراح	[البسيط]	٣١٠
إن الشباب والفراغ والجده	مفسدة للمرء أي مفسدة	[الزجر]	٣١٠
آراؤه وعطاياه ونعمته	وعفوه رحمة للناس كلهم	[البسيط]	٣١٠
آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم	في الحادثات إذا دجون نجوم	[الكامل]	٣١١
ما نوال الغمام وقت ربيع	كنوال الأمير يوم سخاء	[الخفيف]	٣١١
فنوال الأمير بدرة عين	ونوال الغمام قطرة ماء	[الخفيف]	٣١١
من قاس جدواك يوماً	بالسحب أخطأ مدحك	[المجتث]	٣١١
السحب تعطي وتبكي	وأنت تعطي وتضحك	[المجتث]	٣١١
من قاس جدواك بالغمام فما	أنصف في الحكم بين شكلين	[المنسرح]	٣١١
أنت إذا جدت ضاحك أبداً	وهو إذا جاد دامع العين	[المنسرح]	٣١١
ورد الخدود أرق من	ورد الرياض وأنعم	[م الكامل]	٣١١

البيت		البحر	الصفحة
خـاط لي عـمـرو قـبـاء	ليت عـينيـه سـواء	[م الرمل]	٣١٥
بـارك الله لـلـحـسـن	ولـبـوران فـي الخـتـن	[م الخفيف]	٣١٥
يـا إمـام الـهُـدَى ظَـفِـرْ	تَ ولـكـنْ بـبـنـتِ مـنْ؟	[م الخفيف]	٣١٥
هـو الـبـدر إلا أنـه الـبـحـر زاخـراً	سوى أنـه الـضـرغـام لـكـنـه الـوبـل	[الطويل]	٣١٥
وقـالـوا قـد صـفـت مـنـا قـلـوب	لـقـد صـدقـوا ولـكـن عـن ودادي	[الوافر]	٣١٦
إذا مـا غـضـبـنـا غـضـبـة مـضـريـة	هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما	[الطويل]	٣١٦
إذا مـا أعـرنـا سـيـداً مـن قـبـيـلـة	ذُرا مـنـبـر صـلى عـلـيـنـا وسـلـمـا	[الطويل]	٣١٦
ولـسـت بـنـظـار إلى جـانـب الـغـنـى	إذا كـانـت الـعـلياء في جـانـب الـفـقـر	[الطويل]	٣١٦
لم يـطـل ليلي ولـكـن لم أنـم	ونـفـى عـنـي الـكـرى طـيـف ألم	[الرمل]	٣١٧
فـاضـت يـداه بـالـنـضـار كـمـا	فـاضـت ظـبـاه فـي الـوغـى بـدمـي	[السريع]	٣١٧
أحـلامـكـم لـسـقـام الجـهـل شـافـيـة	كـمـا دمـاؤكـم تـشـفـي مـن الـكـلـب	[البسيط]	٣١٧
ألا أيـهـا المال الـذي قـد أبـاده	تـسـل فـهـذا فـعـلـه بـالـكـتـائـب	[الطويل]	٣١٧
سـمـح الـبـديـهـة لـيـس يـمـسـك لـفـظـه	فـكـأن ألـفـاظـه مـن مـالـه	[الكامل]	٣١٧
الحـرب نـزهـتـه والـبـأس هـمـتـه	والـسـيـف عـزمـتـه والله نـاصـره	[البسيط]	٣١٧
أتـرى الـقـاضـي أعـمـى	أم تـراه يـتـعـامـى	[م الرمل]	٣١٧
سـرق الـعـيـد كـأن ال	عـيـد أمـوال اليتـامـى	[م الرمل]	٣١٧
قف بـالـديـار الـتي لم يـعـفـهـا الـقـدم	بـلى وغـيـرهـا الأرواح والـديـم	[البسيط]	٣١٧
ومـا بـلـغـت كـف امـرىء مـتـنـاولاً	مـن المجـد إلا والـذي نـلـت أطـول	[الطويل]	٣١٨
ومـا ضـاع شـعـري عـنـدكـم حين قـلـتـه	بـلى وأبـيـكـم ضـاع فـهـو يـضـوع	[الطويل]	٣١٨
ولا بـلـغ المهـدون لـلـنـاس مـدحـة	وإن أطـنـبـوا إلا الـذي فـيـك أفـضـل	[الطويل]	٣١٨
خـلـقـوا ومـا خـلـقـوا لمـكـرمـة	فـكـأنـهـم خـلـقـوا ومـا خـلـقـوا	[الكامل]	٣١٨
رزقـوا ومـا رزقـوا سـمـاح يـد	فـكـأنـهـم رزقـوا ومـا رزقـوا	[الكامل]	٣١٨
فضحت الحيا والبحر جوداً فقد بكى	الحيا من حياء منك والتطم البحر	[الطويل]	٣١٨
ولـقـد أتـيـت لـصـاحـبـي وسـألـتـه	فـي فـرض ديـنـار لأمـر كـانـا	[الكامل]	٣٢٠
فـأجـابـنـي والله داري مـاحـوت	عـيـنـاً فـقـلـت لـه ولا إنـسـانـاً	[الكامل]	٣٢٠
طـلـبـت مـنـه درهـمـا	يـومـاً فـأظـهـر الـعـجـب	[م الرجز]	٣٢٠
وقـال ذا مـن فـضـة	يـصـنـع لا مـن الـذهـب	[م الرجز]	٣٢٠
قـال ثـقـلـت إذ أتـيـت مـراراً	قـلـت ثـقـلـت كـاهـلي بـالأيـادي	[الخفيف]	٣٢٠
قـال طـولـت قـلـت أوليت طـولا	قـال أبـرمـت قـلـت حـبـل ودادي	[الخفيف]	٣٢٠
ولما نـعـى الـنـاعـي سـألـنـاه خـشـيـة	وللعين خوف البين تسكاب أمطار	[الطويل]	٣٢٠
أجاب قضى قلنا قضى حاجة العلا	فـقـال مـضـى قـلـنـا بـكـل فـخـار	[الطويل]	٣٢٠

البيت		البحر	الصفحة
عباس عباس إذا احتدم الوغى	والفضل فضل والربيع ربيع	[الكامل]	٣٢٧
أعذب خلق الله نطقاً وفماً	إن لم يكن أحق بالحسن فمن	[الرجز]	٣٢٨
مثل الغزال نظرة ولفتة	من ذا رآه مقبلاً ولا افتتن	[الرجز]	٣٢٨
ما كنت تصبر في القديـ	ـم فلم صبرت الآن عنا	[م الكامل]	٣٢٨
ولقد ظننت بك الظنو	ن لأنه من ضنَّ ظنا	[م الكامل]	٣٢٨
إذا جلست إلى قوم لتؤنسهم	بما تحدث من ماض ومن آت	[البسيط]	٣٢٨
فلا تعيدن حديثاً إن طبعهم	موكل بمعاداة المعادات	[البسيط]	٣٢٨
من بحر شعرك أغترف	وبفضل علمك أعترف	[م الكامل]	٣٢٨
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه	بدمع يضاهي المزن حال مصابه	[الطويل]	٣٢٨
ومثل لعينيك الحمام ووقعه	وروعة ملقاه ومطعم صابه	[الطويل]	٣٢٨
إذا ملك لم يكن ذا هبهْ	فدعه فإن دولته ذاهبه	]	٣٢٩
لا تعرضن على الرواة قصيدة	ما لم تكن بالغت في تهذيبها	[الكامل]	٣٢٩
فإذا عرضت الشعر غير مهذب	عدوه منك وساوساً تهذي بها	[الكامل]	٣٢٩
وليت الحكم خمساً وهي خمس	لعمري والصبا في العنفوان	[الوافر]	٣٢٩
فلم تضع الأعادي قدر شاني	ولا قالوا فلان قد رشاني	[الوافر]	٣٢٩
لاح أنوار الهدى	من كفه في كل حال		[٣٢٩
منعم الجسم تحكي الماء رقته	وقلبه قسوة يحكي أبا أوس	[البسيط]	٣٢٩
وجاهل طال به عنائي	لازمني وذاك من شقائي	[الرجز]	٣٣٠
أبغض للعين من الأقذاء	أثقل من شماتة الأعداء	[الرجز]	٣٣٠
فهو إذا رأته عين الرائي	أبو معاذ أو أخو الخنساء	[الرجز]	٣٣٠
يا حمزة اسمح بوصل	وامنن علينا بقرب	[المجتث]	٣٣٠
في ثغرك اسمك أضحى	مصحفاً وبقلبي	[المجتث]	٣٣٠
فنحن في جزل والروم في وجل	والبر في شغل والبحر في خجل	[البسيط]	٣٣١
أفاد فساد وقاد فزاد	وساد فجاد وعاد فأفضل	[المتقارب]	٣٣١
يا خاطب الدنيا الدنية إنها	شرك الردى وقرارة الأقذار	[الكامل]	٣٣٢
دار متى ما أضحكت في يومها	أبكت غداً تبالها من دار	[الكامل]	٣٣٢
وإذا أظل سحابها لم ينتفع	منه صدى لجهامة الغرار	[الكامل]	٣٣٢
غاراتها لا تنقضي وأسيرها	لا يفتدى بجلائل الأخطار	[الكامل]	٣٣٢
يا أيها الملك الذي عم الورى	ما في الكرام له نظير ينظر	[الكامل]	٣٣٢
لو كان مثلك آخر في عصرنا	ما كان في الدنيا فقير معسر	[الكامل]	٣٣٢
أصالة الرأي صانتني عن الخطل	وحلية الفضل زانتني لدى العطل	[البسيط]	٣٣٣

فهرس الأعلام

كلمة الختام

الحمد لله وبعد:

فقد كان ضبط وتدقيق كتاب «جواهر البلاغة» عملاً غير يسير، واقتضى قسطاً وفيراً من الوقت والجهد، خاصة لدى التعريف بالأعلام ووضع الفهارس، لكن كل جهد يهون أمام انتفاع طلاب العلم من هذا الكتاب الذي يمكن أن تكون الحاجة إليه ماسة في المكتبة البلاغية، لافتقار معظم الكتب المتداولة في بابه إلى الشمول والإحاطة، ووفاء التمارين والتطبيقات بالمراد، وهو الجانب الغني في هذا الكتاب.

د. يوسف الصميلي
١٩٩٩/٤/٨

فهرس المحتويات